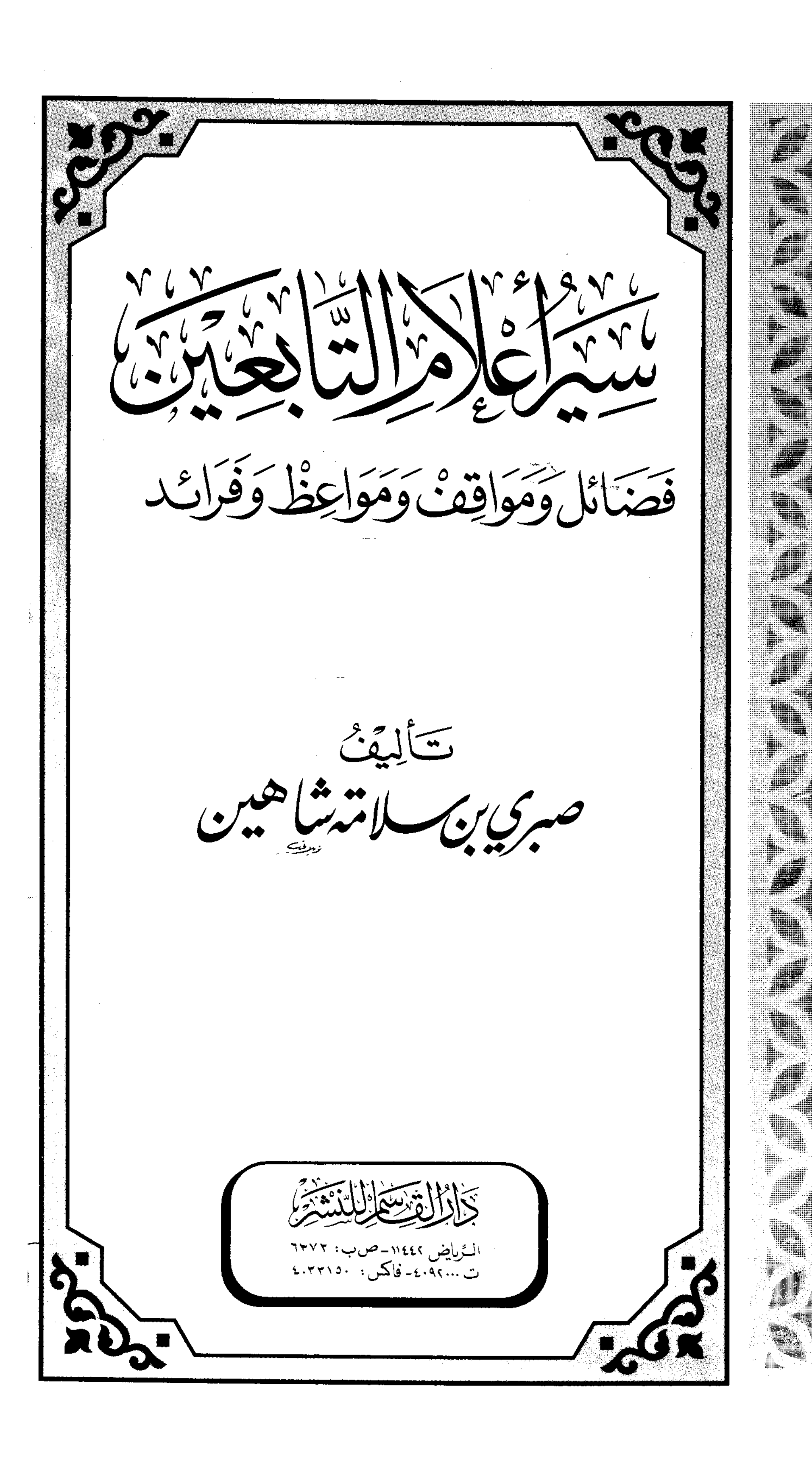


سير أعلام التابعين

فضائل ومواقف ومواعظ وفرائد

تأليف

صبري بن سلامة شاهين

دار القاسم للنشر

الرياض ١١٤٤٢ - ص ب: ٦٣٧٣

ت ٤٠٩٢٠٠٠ - فاكس: ٤٠٣٣١٥٠

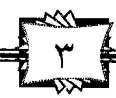

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وقل رب زدني علما﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي تفرد بالبقاء، وقضى على الخلائق جميعهم بالموت والفناء، وجعل لكل منهم أجلاً لا يجاوزه عند الانقضاء، أحمده سبحانه حمدًا يليق بجلاله وكماله يتبعه مني حسن الثناء، مع الاعتراف بالتقصير والتخليط صباح مساء، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أمات وأحيا، وخلق الزوجين الذكر والأنثى، وألهم كل نفس الفجور والتقوى، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أفضل الرسل والأنبياء، الداعي إلى صراط ربه: المحجة البيضاء، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الكرام الأماجد النجباء، وعلى التابعين لهم بإحسان وتابعيهم البررة الأصفياء الفضلاء، صلاة تدوم ما دامت الأرض والسماء.

أما بعد: فهذه نبذ جمعتها ونتف تتبعتها وقطوف قطفتها تذكرة لي ولإخواني وعبرة لمن أراد أن يتذكر أو يتبصر من أخبار التابعين الأخيار، جمعتها من كتب السير والتراجم، لأئمة أعلام، هم ذوو الشأن في هذا الفن، وعليهم العمدة والمدار، وكأني بك أيها القارئ اللبيب وأنت تفتح دفتي هذا الكتاب أنك تلج حدائق غنَّاء، وبساتين فيحاء، فعن يمينك زهور وورود، وعن شمالك خمائل وأشجار العود، وبين يديك نفح طيب وتغريد، وتحت رجليك المسك والعنبر فإذا ما انتهيت من قراءته وأنت ترنو بناظريك إلى أولئك الأماثل تأمل في صحبتهم وترجو أن تكون على محجتهم، وتأخذك



الأمانـي أن تكون في مسلاخ أحدهم أو على أقل تقدير أن تزاحمهم بالرّكَبِ وتتولى خدمتهم فـ «هم القوم لا يشقى بهم جليس» وهم الركب الذين دنوا للحسـنى أو كـادوا، يـرجون الـزيادة، فعلـيهم مـدار السعادة، فاستمسك ـ رعـاك الله ـ بهـديهم وسمـتهم وتحلَّ بحليتهم وائتزر بإزارهم ولا يلهينك ما فـيه مـن رقـع، ولا يصـدنك عنه أن يقال فيه: إنه عتيق فعليك بالعتيق ففيه الخـير كلـه وفيه النجاة كلها وإياك وبهرجة الحديث الجديد فإنه يبهر العقول ويأخـذ بالأبصـار حتـى إذا تفحصـت وفتشـت ونقـبت لا تجـد شـيئاً، وإذا وجـدت وجـدت مـا لا يغني من جوع ولا يستر من عري، فعليك بالسلف الكرام الصحب الكريم والتابع البر عديم النظير.

وهـذا الكتاب أيها القارئ الأريب لك غنمه يصحبك طيبه ونفعه، وعليَّ أنـا غـرمه، فـلا يضـرك مـنه شـيء، وحسبي أني بذلت فيه جهدي فالتقطته من مظـانِّ الصـحة ولم أتسـاهل في جمعـه، بـل تحـريت ودققـت، ولكـن مـع كثـرة الشـواغل وهجوم العوائق قد يند القلم أو يشرد الذهن فيقع مالا يصح أو يحل فأنـا سـائل أخـاً لي برحم العلم التي بيننا إذا ما وقع نظره على خطأ أو زلل أن يواصـلني مـا دمـت حـيًّا لأصـلح الخلـل ولـه مني الثناء العاطر وجزيل الشكر فلكـل عمـل رجاله وبضاعتي مزجاة وقدرها منزور والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبـي زور، بصـرني الله وإياكم بما فينا من العيوب وهيأ لنا إصلاحها وما تغفر به الذنوب. والله المسئول أن يتقبله مني وعليه قصد السبيل

صبري بن سلامة شاهين

بين يدي هذه السير المباركة

هذا الكتاب الذي يضم بين دفتيه ترجمة أربعين تابعيًّا ليس الهدف من وراء جمعه تكثير المكتبة الإسلامية وإضافة مجلد ليوضع على أرفف المكتبات العامة والخاصة ولكن رقمت هذه السير وزبرتها من أجل أن تكون نموذجاً لكل من يرغب في إصلاح نفسه وإصلاح من يعول وإصلاح مجتمعه.

انتقيت خيرة التابعين وركزت على إبراز محاسنهم والإشادة بفضائلهم والتنويه بمواقفهم الطيبة والحسنة لتأخذ النفوس بأحسن ما فيها، ورحم الله أبا حنيفة النعمان حين قال: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحبُّ إليَّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم.

ورحم الله الجنيد حين قال: الحكايات جند من جنود الله عز وجل، يقوِّي بها إيمان المريدين. فقيل له: هل لهذا من شاهد؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وصدق الشاعر القائل:

إذا أعجبتك خصالُ امرئٍ ... فكُنْهُ يكن منه ما يعجبك
فليس لدى المجد والمكرما ... ت إذا جئتها حاجب يحجبك

وقد قال سليمان التيمي رحمه الله: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: لو أن رجلاً عمل بقول أهل الكوفة في

النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهل مكة في المتعة كان فاسقاً.

وأقول: لو أخذ كل واحد منا بأفضل ما عند كل تابعي ممن ذكرتهم في هذا الكتاب لاجتمع فينا الخير كله.

من أجل ذلك وضعت هذا الكتاب ليكون دستوراً باقياً وأنموذجاً حيًّا نتمثل أحسن ما فيه، ونقتفي أطيب ما فيه، عسى الله أن يعيد للأمة مجدها التليد وعزها المسلوب الضائع بين ركام الحضارات الشرقية والغربية المناوئة لدين الله، حتى أصبحت الجموع الغفيرة من شباب الأمة اليوم يتطلعون إلى قدوات يقتدون بها، هم في الحقيقة قدوات هزيلة سيئة، تقود رعاياها إلى الجحيم والعياذ بالله.

أما قدوتنا نحن فهي متمثلة في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام وتابعيهم وتابعي تابعيهم، وعلماء الأمة الأبرار، وهذا الكتاب يمثل حلقة من حلقات إبراز هذه القدوات وقد قيل:

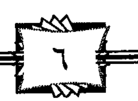
همَمُ الأحرار تحيي الرِّمَمَا ... نفحة الأبرار تحيي الأُمَمَا

وقيل:

ولا تجلس إلى أهل الدنايا ... فإن خلائق السفهاء تُعْدي

وقد سئل الإمام ابن الجوزي رحمه الله: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟ فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها.

وانتبه من رقدة الغفـ ... ـلة فالعمر قليل



واطـــرح «ســـوف» و «حتـــى» فهمـــــا داء دخيـــــل

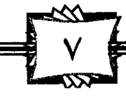
وقيــل:

وأنـــت في النـــاس تقـــاس بالـــذي اختـــرت خلـــيلا

فاصـــحب الأخيـــار تعلـــو وتنـــل ذكـــراً جمـــيلا

هذا ما أردت ترقيمه في هذه العجالة تذكيراً لنفسي وإخواني وسيراً على هدي سلفنا الأبرار الأطهار، عسى الله أن يجمعنا بهم في مستقر رحمته ودار كرامته وقد ثبت عن المعصوم ﷺ أنه قال: «المرء مع من أحب»[1].

(١) أخرجه البخاري (رقم ٦١٦٨)، ومسلم (رقم ٢٦٤٠).



١ ـ الحسن البصري
أستــاذ الوعــظ والزهــد

هـو الحسـن بـن أبـي الحسـن يسـار، أبـو سـعيد، مـولى زيد بن ثابت الأنصـاري، وكانـت أم الحسـن مـولاة لأم سـلمة أم المؤمنين. ولد الحسن ـ رحمـة الله عليه ـ لسنتين بقيتا من خلافة عمر. واسم أمه خيرة. ونشأ الحسن بـوادي القـرى، وحضـر الجمعـة مـع عـثمان بـن عفـان ـ رضي الله عنه ـ، وسمعه يخطب، وشهد يوم الدار وله يومئذ أربع عشرة سنة.

نشـأ الحسـن البصري وترعرع في بيت أم المؤمنين أم سلمة زوجة النبي ﷺ ونـال بقربه منها ومن غيرها من أمهات المؤمنين البركة والسعادة، وظل الحسـن يتـنعم في هـذه الأجواء، ويتربى على آثار النبوة المباركة. وينهل من تلـك المـوارد العذبـة الطيـبة، فاهـتدى بهـدي أمهات المؤمنين، وتتلمذ على أيـدي البقـية الباقـية مـن الصحب الكريم: عثمان وعلي وأبي موسى وأبي بكـرة وعمـران بـن حصـين وجـندب البجلـي وابن عمر وابن عباس وابن عمـرو بـن العـاص ومعاويـة ومعقـل بـن يسـار وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله.

ورؤي فـيه أثـر دعـوة مـباركة مـن الفـاروق عمـر بن الخطاب عندما جيـيء بالحسـن البصـري طفلاً مولودًا إلى عمر قال: (اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس).

مـن أجـل ذلـك قـال بلال بن أبي بردة: سمعت أبي يقول: والله لقد

أدركت أصحاب محمد ﷺ فما رأيت أحدًا أشبه بأصحاب محمد من هذا الشيخ - يعني - الحسن.

وعن حميد بن هلال قال لنا أبو قتادة: الزموا هذا الشيخ، فما رأيت أحدًا أشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه - يعني - الحسن.

وعن خالد بن رباح الهذلي: سئل أنس بن مالك عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن. قالوا: يا أبا حمزة نسألك تقول: سلوا الحسن مولانا؟! قال: سلوا مولانا الحسن، فإنه سمع وسمعنا، فحفظ ونسينا.

وعن عمر بن مرة قال: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين : الحسن ومحمد بن سيرين.

وعن المعتمر بن سليمان قال: كان أبي يقول: الحسن شيخ أهل البصرة.

وعن الأصبغ بن زيد : سمعت العوَّام بن حوشب يقول: ما أشبه الحسن إلا بنبيٍّ، أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم إلى الله - عز وجل -.

وقال أبو عوانة عن قتادة: ما جالست فقيهًا قط، إلا رأيت فضل الحسن عليه.

وعن مالك بن دينار قال : لقيت معبدًا الجهني بمكة، فقال: لقيت العلماء ولقيت الناس فلم أر مثل الحسن.

وعن حماد بن زيد قال: سمعت أيوب يقول: كان الرجل يجلس إلى الحسن ثلاث حجج ما يسأله عن مسألة هيبة له.

قال يونس وحميد الطويل: رأينا الفقهاء فما رأينا أحدًا أكمل مروءة

من الحسن.

وعـن الحجاج بن أرطاة: سألت عطاء عن القراءة على الجنازة قال: ما سمعـنا ولا علمنا أنه يقرأ عليها. فقلت : إن الحسن يقول: يقرأ عليها. قال: عليك بذاك، ذاك إمام ضخم يقتدى به.

وعـن الـربيع بـن أنس قال: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلا أسمع منه، ما لم أسمع قبل ذلك.

فكان الحسن جامعاً عالمًا عاليًا رفيعًا فقيهاً ثقةً مأمونًا عابدًا ناسكًا كبيرَ العلم فصيحاً جميلاً وسيمًا.

رجـل بهـذه الصـورة وهـذه المكانـة الـرفيعة والمنـزلة المنيفة أجدر أن يُجلـس إلـيه وأولى أن يُؤتـى، وتُزجـى إلـيه الركائب، ويلتف حوله الناس، يسـتمعون لـوعظه ودرسـه وإرشاده، لِم لا؟ وقد قال علي بن زيد: أدركت عـروة بـن الزبير ويحيى بن جعدة والقاسم فلم أر فيهم مثل الحسن، ولو أن الحسن أدرك أصحاب النبي ﷺ وهو رجل لاحتاجوا إلى رأيه.

ولم يصـل الحسـن البصـري إلى هذه الدرجة السامية إلا بعد أن ارتقى أعلـى مـنازل العـبودية لمـولاه وخالقـه ـ سبحانه وتعالى ـ وتسنم الذروة في العلـم والـزهد والورع والتقوى. الأمر الذي جعل من يراه يشهد بأنه رجل من أهل الآخرة.

فقـال مطر الوراق : لما ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة، فهو يخبر عما عاين.

وقال عوف: ما رأيت رجلاً أعلم بطريق الجنة من الحسن.

وقال إبراهيم بن عيسى اليشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، ما رأيته إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

هكذا كان، وكان يكثر أن يقول: يا ابن آدم ! والله إن قرأت القرآن، ثم آمنت به، ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

وعن هشام بن حسان: سمعت الحسن يحلف بالله، ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله.

وقال قتادة : كان الحسن من أعلم الناس بالحلال والحرام.

وقال أيوب السختياني: لو رأيت الحسن لقلت: إنك لم تجالس فقيهاً قط.

وعن الأعمش قال: مازال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها، وكان إذا ذكر الحسن عند أبي جعفر الباقر قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

انتشر أمر الحسن في البصرة وذاع فيها صيته، وعلا فيها شأنه، وفشا ذكره وأتى مجلسه الأكابر، وتتبع أخباره الأمراء والخلفاء حتى صار هو الإمام العلم والأستاذ المقدم.

فعن إبراهيم بن سعد قال: سمعت خالد بن صفوان عندما سئل : ألك علم بالحسن؟ قال : أنا أهل خبرة به، كانت داره ملعبي صغيراً، ومجلسه مجلسي كبيراً . قالوا: فما عندك فيه؟. قال: كان أحد الناس، وما

رأيته زاحم على شيء من الدنيا قط. أشبه الناس سريرة بعلانية، وأشبهه قولاً بفعل، إن قعد على أمر قام به، وإن قام على أمر قعد عليه، وإن أمر بأمر كان أعمل الناس به، وإن نهى عن شيء كان أترك الناس له، رأيته مستغنياً عن الناس، ورأيت الناس محتاجين إليه.

وكان أبو سعيد ـ رحمه الله ـ من سادات التابعين وكبرائهم وجمع كل فن من علم وزهد وورع وعبادة وكان أفصح الناس.

قال أبو عمرو بن العلاء: ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجاج بن يوسف، والحسن أفصح منه. وكان أجمل أهل البصرة هيئة وشارة. وعندما قدم مكة، جلس على سرير واجتمع الناس إليه وقالوا : لم نر مثل هذا قط.

وقال بكر بن عبد الله: الحسن أفقه من رأينا.

وشهد بذلك الشافعي ـ رحمه الله ـ.

وكان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ قوَّالا للحق شجاعاً لا يهاب في الله لومة لائم ولا يخشى في صدعه بالحق غائلة.

قال هشام بن حسان: كان الحسن أشجع أهل زمانه.

وقال الذهبي: كان رجلاً تام الشكل، مليح الصورة ، بهيًّا، وكان من الشجعان الموصوفين.

وقال جعفر بن سليمان: كان الحسن من أشد الناس، وكان المهلب إذا قاتل المشركين يقدمه.



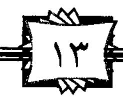
ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق، وأضيفت إليه خراسان وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي، وذلك في سنة ثلاث ومائة فقال لهم: إن يزيد خليفة الله، استخلفه على عباده، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون، فيكتب إليَّ بالأمر من أمره، فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فما ترون؟ فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقيَّة.

فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن؟ فقال: يا ابن هبيرة خَفِ الله في يزيد، ولا تخف يزيد في الله، إن الله يمنعك من يزيد، وإن يزيد لا يمنعك من الله، وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، ثم لا ينجيك إلا عملك، يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرًا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فأجاز ابن هبيرة الثلاثة ولكنه زاد في جائزة الحسن.

فقال الشعبي لابن سيرين: سفسفنا له فسفسف لنا.

ومواقفه الشجاعة الباسلة في وجه الحجاج تشهد له بعلو كعبه وسبقه في هذا الأمر، فقد تصدى لطغيانه، وجهر بين العامة بسوء أفعاله، وصدع في وجهه بكلمة الحق والصدق. ولا أدل على ذلك من موقفه القوي الشجاع حين بنى الحجاج بناءً في واسط ـ وهي مدينة متوسطة بين البصرة والكوفة ـ ونادى الحجاج الناس أن يخرجوا لينظروا إلى روعة البناء. فسارع



الحسن البصري وخرج في وسط الجموع الغفيرة وهم يطوفون بهذه البناية فوقف فيهم خطيباً يعظ الناس ويقلل الدنيا في أعينهم فقال: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيد وبنى أعلى مما بنى. ثم أهلك الله فرعون وأتى على ما بنى وشيد. ليت الحجاج يعلم أن أهل السماء قد مقتوه، وأن أهل الأرض قد غروه. فلما سمع الحجاج مقالة الحسن البصري امتقع لونه، وخرس لسانه، وغاص في جلده، ولم يتكلم ببنت شفة غير أنه اقتصر على قوله:

حسبك يا أبا سعيد .. حسبك.

فرد عليه الحسن البصري بثبات جنان ورباطة جأش:

لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه ..

ولم يملك الحجاج أن يفعل للحسن شيئاً وانصرف وفي اليوم التالي عاتب جنده وحراسه ووبخهم وعنفهم قائلاً لهم:

تبًّا لكم وسحقًا يقوم عبد من عبيد أهل البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول، ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه. والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء.

واستدعى الحسن لينكل به الحجاج في وسط حرسه وجنوده. وجاء الحسن ولما رأى النطع والسيف والسياف دعا ربه أن يكفيه شر الحجاج وأن يجعل نقمته بردًا وسلامًا كما جعل النار بردًا وسلاماً على إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فدخل الحسن على الحجاج، ولم يعبأ بما رأى ولم يهزه منظر

السيف والنطع والسياف، بل كما كان في عزة المؤمن ووقار الداعي إلى الله، فهابه الحجاج وأقبل عليه يرحب به ويدنيه من مجلسه ويوسع له. هذا ما حدث في وسط دهشة واستغراب الحرس والجنود.

وطفق الحجاج يسأل الحسن عن بعض أمور الدين والحسن يجيبه عن كل مسألة بثقة العالم الرباني لا يتتعتع ولا يهتز حتى انفض المجلس وأحسن الحجاج للحسن وطيَّبة.

وظل الحسن هذا دأبه مع الحجاج ومع غيره من الولاة الظلمة لا تلين له قناة ولا ينثني له عود، بل ظل صلبا صامدًا مهابًا في أعين أهل الجور والظلم ولقد بلغ الحسن البصري مكانة عالية ورفعة في نفوس الناس. ولما سأل أبو العباس السفاح الخليفة العباسي أبا بكر الهذلي: (بأي شئ بلغ حَسَنُكم ما بلغ؟ قال الهذلي: جمع القرآن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم لم يخرج من سورة إلى سورة حتى يعرف تأويلها وفيم أنزلت، ولم يقلب درهما في تجارة، ولا ولي سلطاناً، ولا أمر بشيء حتى فعله، ولا نهى عن شيء حتى وَدَعه قال الخليفة العباسي: فبهذا بلغ الشيخ ما بلغ.

ولقد بلغ من مكانة الحسن البصري ـ رحمه الله ـ في نفوس الناس ومن ثقتهم به أنهم كانوا ينتفعون به بمجرد النظر إليه دون أن يسمعوا كلامه أو يروا أفعاله.

قال يونس بن عبيد : كان الرجل إذا نظر إلى الحسن انتفع به وإن لم ير عمله ولم يسمع كلامه.

وكان الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً جامعاً لكل علوم الشريعة من العقائد والتفسير والفقه والحديث، حتى قال فيه حميد ويونس ابن عبيد: قد رأينا الفقهاء، فما رأينا منهم أجمع من الحسن.

وقال مغيرة : أعلم الناس بالديات والقضاء وأيام الناس الشعبي، وأعلمهم بالصلاة والزكاة والحلال والحرام النخعي، وأعلمهم بالمناسك عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير سعيد بن جبير، وأعلمهم بالتجارة والصرف ابن سيرين، والحسن سيدهم.

ولقد كان علم الفقه أبرز العلوم التى نبغ فيها الحسن رحمه الله وتميز به حتى شهد له العلماء بالسبق فيه والتقدم. الأمر الذي جعل قتادة يقول: ما جالست فقيهاً قط إلا فضل الحسن عليه.

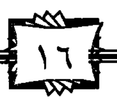
وقال بكر بن عبد الله المزني : من سرَّه أن ينظر إلى أفقه من رأينا فلينظر إلى الحسن.

وقال أيوب لرجل : ما رأت عيناك قط أفقه من الحسن.

وقال معاذ بن معاذ للأشعث : قد لقيت عطاء وعندك مسائل، أفلا سألته؟ قال: ما لقيت أحداً بعد الحسن إلا صغر في عيني.

وقال مروق العجلي: قال لي أبو قتادة: الزم هذا الشيخ ـ يعني الحسن البصري- وخذ عنه، فوالله ما رأيت رجلاً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب منه.

ولقد كان الحسن البصري ـ رحمه الله ـ إماما مجتهداً في الفقه، يرجع إليه في معرفة الأحكام مكثراً فيه حتى حمل من فقهه أبو سلمة وحده ثمانية

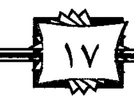


آلاف مسألة حيث قال أبو سلمة: حفظت عن الحسن ثمانية آلاف مسألة.

ولقد نال الحسن البصري منزلة خاصة عند الأمة في شخصيته الفذة ونال التقدير والإعجاب من علماء عصره فقد كان رأسًا في كثير من العلوم، فله باع طويل في التفسير والقراءات، وله صولات وجولات في الحديث الشريف كما أنه له فهما عميقاً ودراية في الفقه وأصوله، كما أنه في مجال اللغة وعلومها فهو الفارس الذي لا يجارى والفصيح الذي لا يمارى.. وهو الأستاذ في الوعظ والإرشاد والزهد والورع، وهو المقدم بلا منازع في الوعظ والخطابة وهو الصادق القوي الشجاع المغوار في ميدان المعارك وإنكار المنكر وإحقاق الحق، وهو البصير الناقد الحكيم في مواطن الفتن، وهو الملازم للعفة والطهارة، وهو الجامع للعلم والعمل، وهو الزاهد في متاع الدنيا ومطامعها، وهو الراغب في الآخرة وفيما عند الله، وهو صاحب المكرمات والخلق الحسن.

ولقد نظر الحسن البصري إلى الجانب العاطفي من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ـ عليهم رضوان الله تعالى ـ قولا وفعلا. نظر إلى كل هذا فصادف هوى في نفسه فأعرض عن الدنيا وزخرفها، وكان في مكنته أن يثرى ثراءً فاحشاً وأن يصل إلى أعلى ما يهفو إليه الناس، ولكنه أشاح بوجهه عن ذلك طالبا لثواب الآخرة واشتد في ذلك لدرجة أنه كان يغلب عليه الخوف على الرجاء والعقاب على الثواب.

واهتم الحسن اهتماماً عظيما بالدعوة لدين الله الأمر الذي جعله



يقول في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾. قال رحمه الله : هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

وكان رحمه الله حكيما في دعوته ينطق بالقول الفصل، ومن حكمه البليغة قوله: ليس العجب لمن هلك كيف هلك؟! ولكن العجب لمن نجا كيف نجا؟!. ولما سمع محمد بن الحسن بن علي بن حسين قال: سبحان الله هذا كلام صديق.

وكان يخاطب كل إنسان بمنزلته، وكان يعمم في مواعظه ولا يذكر أحداً باسمه إلا لحاجة فيقول: ابن آدم إنك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك. وكان يقول: إن امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أب قد مات لمعرق في الموت. وكان يخاطب القراء لما رآهم يجلسون على باب الأمير ابن هبيرة:

ما يجلسكم هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء!! أما والله ما مجالستهم بمجالسة الأبرار، تفرقوا فرّق الله بين أرواحكم وأجسادكم، فقد لفحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجزتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم الله. أما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم، لكنكم رغبتم فيما عندهم، أبعد الله من أبعد.

ومن حكمه البليغة قوله: لا يزال الرجل كريماً على الناس حتى يطمع

في دينارهم، فإذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وأبغضوه..

وقوله : فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذي لب فرحاً.

وقوله للرجل الذي قال: الفقهاء يقولون كذا. فقال رحمه الله: هل رأيت فقيها قط؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه، المداوم على عبادة ربه.

وقال الحسن لفرقد بن يعقوب: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج، فقال: يا أبا سعيد أخاف ألا أؤدّي شكره. قال الحسن: يالكع هل تقدر تؤدى شكر الماء البارد الذي تشربه.

ولقد كانت مواعظ الحسن البصري تجمع بين القوة والسهولة والإيجاز ومباشرة القلوب، وهي كانت تدور غالباً حول قصر الحياة الدنيا ودوام الدار الآخرة، والحث على الإيمان والعمل الصالح والتقوى والخشية والتحذير من غرور النفس وطول الأمل وكانت مواعظه رحمه الله مثالاً رائعاً جميلاً للنثر البليغ وللأدب الرفيع.

فمن مواعظه:

هيهات هيهات! أهلك الناس الأماني: قول بلا عمل، ومعرفة بغير صبر، وإيمان بلا يقين، ما لي أرى رجالاً ولا أرى عقولاً، وأسمع حسيساً ولا أرى أنيساً، دخل القوم والله ثم خرجوا، وعرفوا ثم أنكروا، وحرموا ثم استحلوا، إنما دين أحدكم لعقة على لسانه. إذا سئل: أمؤمن أنت بيوم الحساب؟ قال: نعم ! كذب ومالك يوم الدين، إن من أخلاق المؤمن قوة

في دين، وإيماناً في يقين، وعلماً في حلم، وحلما بعلم، وكيسا في رفق وتحملا في فاقة، وقصداً في غنى، وشفقة في نفقة، ورحمة لمجهود، وعطاء في الحقوق، وإنصافاً في الاستقامة، لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم في مساعدة من يحب، لا يهمز ولا يغمز ولا يلمز ولا يلغو ولا يلهو ولا يلعب ولا يمشي بالنميمة، ولا يتبع ما ليس له، ولا يجحد الحق الذي عليه ولا يتجاوز في العذر ولا يشمت بالفجيعة إن حلت بغيره ولا يسر بالمعصية إذا نزلت بسواه.

المؤمن في الصلاة خاشع، وإلى الركوع مسارع، قوله شفاء وصبره تقى وسكوته فكرة ونظره عبرة، يخالط العلماء ليعلم، ويسكت بينهم ليسلم، ويتكلم ليغنم، إن أحسن استبشر، وإن أساء استغفر، وإن عتب استعتب، وإن سفه عليه حلم، وإن ظلم صبر، وإن جير عليه عدل، ولا يتعوذ بغير الله، ولا يستعين إلا بالله، وقور في الملأ شكور في الخلاء، قانع بالرزق، حامد على الرخاء، صابر على البلاء، إن جلس مع الغافلين كتب من الذاكرين، وإن جلس مع الذاكرين كتب من المستغفرين.

هكذا كان أصحاب النبي ﷺ الأول فالأول حتى لحقوا بالله ـ عز وجل ـ، وهكذا كان المسلمون من سلفكم الصالح، وإنما غير بكم لما غيرتم ثم تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾.

ومن مواعظه قوله: ابن آدم إنما أنت ضيف والضيف مرتحل ومستعار، والعارية مؤداة ومردودة، فما عسى مقام ضيف وبقاء عارية، لله

دار أقوام نظروا بعين الحقيقة وقدموا إلى دار المستقر.

وقوله: ابن آدم إياك والاغترار، فإنك لم يأتك من الله أمان، وإن الهول الأعظم والأمر الأكبر أمامك إنك لا بد أن تتوسد في قبرك ما قدمت إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، فاغتنم المبادرة في المهل وإياك والتسويف بالعمل، فإنك مسئول، فأعد للمسألة جوابًا.

ومن مواعظه البليغة قوله: يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. يا ابن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه، وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم به. الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل.

وقوله: ابن آدم ما أوهنك وأكثر غفلتك، تعيب الناس بالذنوب وتنساها من نفسك، وتبصر القذى في عين أخيك وتعمى عن الجذع معترضا في عينك، ما أقل إنصافك، وأكثر حيفك.

وقوله : العلم خير تراث، والأدب أزين خدين، والتقوى خير زاد، والعبادة أربح بضاعة، والعقل خير وافد، وحسن الخلق خير قرين، والحلم خير وزير، والقناعة أفضل غنى، والتوفيق خير معين، وذكر الموت أوعظ واعظ.

ولما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أرسل إلى الأستاذ الواعظ والداعية المخلص الحسن البصري لكي يعظه ويصف له صفات الإمام العادل لكي يسير على سيرته، فكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز قائلا:

اعلم يا أمير المؤمنين أن الله ـ تعالى ـ جعل الإمام العادل قوام كل



مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. الإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله، الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكتنفها من أذى الحر والقر. والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته، ويدخر لهم بعد مماته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: كالأم الشفيقة، البرة الرفيقة بولدها، حملته كرها ووضعته كرها، وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه، ترضعه تارة، وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته، وتغتم بشكايته.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين: وصي اليتامى، وخازن المساكين، يربي صغارهم، ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين : كالقلب بين الجوانح، تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين : هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلامه ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم.

فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال، فأفقر أهله وفرق عياله. واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلاً غير منزلك الذي أنت فيه، يطول



فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك في قعره فريداً وحيداً، فتزود له ما يصحبك: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾، واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعث من في القبور وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة، والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

فالآن يا أمير المؤمنين وأنت في مهل، قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، لا تحكم في عباد الله بحكم الجاهلية، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وتحمل أثقالك وأثقالاً مع أثقالك، ولا يعرفك الذين ينعمون بما فيه بؤسك، ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك، لا تنظر إلى قدرتك اليوم، ولكن انظر إلى قدرتك غداً، وأنت مأمور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلك شفقة ونصحاً، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه، يسقيه الأدوية الكريهة، لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة. والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فما أبلغ هذه الموعظة! وما أحسن رصفها وأجمل وصفها، والله إنها لموعظة مشفق. ومن مواعظه وحكمه دعوته إلى مكارم الأخلاق فكان يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: قضاء حاجة أخ مسلم أحب إليَّ من اعتكاف شهر.



وقال : مروءة الرجل صدق لسانه، واحتمال مؤونة إخوانه، وبذل المعروف لأهل زمانه، وكفه الأذى عن جيرانه.

وقال: عِدةُ الكريم فعل وتعجيل. وعدة اللئيم تسويف وتطويل.

وقال: كنا نعد البخيل فينا الذي يقرض أخاه الدراهم، إذ كنا نتعامل بالمشاركة والإيثار.

وقال: ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدا، وارض بما قسم الله تكن غنيًّا، وأحسن جوار من جاورك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن عدلاً، وأقلل الضحك، فإنه يميت القلب كما يموت البدن.

قال شعيب صاحب الطيالسة: رأيت الحسن يقرأ القرآن فيبكي حتى يتحدر الدمع على لحيته.

قال رجل قبل موت الحسن البصري لابن سيرين: رأيت كأن طائراً أخذ أحسن حصاة بالمسجد فقال ابن سيرين: إن صدقت رؤياك مات الحسن. فلم يكن إلا قليلاً حتى مات الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكان قبل أن يموت أغمي عليه، ثم أفاق فقال لمن حوله: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم.

مات الحسن البصري عن عمر يقارب نحو ثمان وثمانين سنة في ليلة الجمعة في أول رجب سنة ١١٠هـ وكانت جنازته مشهودة وصلوا عليه عقيب صلاة الجمعة بالبصرة فشيعه الخلق وازدحموا عليه.

فقال حميد الطويل: توفي الحسن عشية الخميس وأصبحنا يوم الجمعة

ففرغنا من أمره وحملناه بعد صلاة الجمعة ودفناه فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا الجنازة كلهم حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ.

قال عنه أبو نعيم في الحلية : ومنهم حليف الخوف والحزن، أليف الهم والشجن، عديم النوم والوسن، أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن، الفقيه الزاهد، المتشمر العابد، كان لفضول الدنيا وزينتها نابذا، ولشهوة النفس ونخوتها واقذا.

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣ – ٥٨٨).
٢- الطبقات الكبرى (٧/ ١٥٧-١٧٧).
٣- تهذيب الكمال (٦/ ١٠٢-١٢٥).
٤- وفيات الأعيان (٢/ ٦٩-٧٣).
٥- البداية والنهاية (٩/ ٢٧٣-٢٧٤).
٦- شذرات الذهب (١/ ١٣٦-١٣٨).
٧- تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣١-٢٣٥).
٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك (٧/ ١٣٦-١٣٨).
٩- وفيات الأعيان (٢/ ٦٩-٧٣).
١٠- حلية الأولياء (٢/ ١٥٣-١٨٣ رقم ١٦٩).
١١- طبقات الحفاظ (ص٣٥ رقم ٦٤).

٢ ـ عمر بن عبد العزيز
الخليفة العادل الزاهد

حـدَّث يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بحديث يرفعه قـال: «**الـناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا...**» (رواه مسلم رقم ٢٦٣٨).

فللنسب الطيب والسلالة الطاهرة تأثير بالغ في صناعة الرجال وإعداد القـادة الأفـذاذ، كمـا أن النسب الأصيل يؤتي أكله كل حين بأذن ربه إذا ما تحلى بحلية الإيمان وزينة الإسلام.

فـتعالوا نتتبع النسب الطاهر للخليفة الخامس الراشد عمر بن عبد العزيز ـ رحمـه الله تعـالى ـ ففـي خلافـة عمـر بـن الخطـاب الفاروق حينما كان يعس في طـرقات المديـنة ليلاً مع مولاه أسلم، إذ سمعا صوت امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومـي إلى ذلـك اللبن فامذقيه بالماء. فرفضت البنت مشورة أمها وردَّت عليها رد التقـيّة الـورعة المؤمنة، بأن ذلك غش لا يجوز. وفي الصباح دعا عمر بن الخطاب أولاده لـيحث أحـدهم علـى الـزواج مـن هـذه البـنت الطيبة الطاهرة فتزوجها عاصم بن عمر وأنجبت لـه بنتا سموها: ليلى.

وتـزوج عبد العزيز بن مروان بن الحكم ليلى هذه فأنجبت لـه عمر بن عـبد العزيـز، وبذلك يكون الفاروق عمر بن الخطاب هو جد أمه ليلى. ولا غَرْوَ أن يكون في عمر بن عبد العزيز شبهٌ من جد أمه عمر بن الخطاب.



فمـن هـذا الأصـل تفـرع عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو حفص القرشي الأموي المدني ثم الدمشقي.

ولد رحمه الله بالمدينة على أرجح الأقوال سنة ستين للهجرة أو إحدى وستين وقيل إنـه ولـد بمصـر أيـام ولاية أبيه على مصر، والراجح أنه ولد بالمدينة لأن أباه عبد العزيز تولى إمرة مصر سنة ٦٥هـ.

ولقـد بشـر عمر بن الخطاب وابنه عبد الله بولادة عمر بن عبد العزيز وتوليه الأمر.

ولقـد كـان الفـاروق معروفا بذلك حتى قال فيه رسول الله ﷺ :«**لقد كـان فـيما قـبلكم مـن الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**» (رواه الـبخاري رقـم ٣٦٨٩). فهـو الـذي قـال لابنه عاصم : اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارس يسود العرب.

ولقـد صـدقت نبوءة عمر الفاروق في عمر بن عبد العزيز. وهو أيضا تأويـل رؤيـا رآها الفاروق حينما قام من نومه مستبشراً متعجباً، وهو يقول: ليت شعري مَنْ ذو الشين من ولدي الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جَوْراً.

وقـال عـبد الله بـن عمـر أيضا: من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلا.

حتـى ظـن عـبد الله أن المقصـود بذلك ولده بلال، لأنه كان في وجهه شـامة فظـنوه هـو، وحسـبوه المبشـر الموعود. ولكن لم يكن هو حتى أتى إلى الدنـيا ذلـك الطفـل الصـغير عمـر بـن عـبد العزيـز الذي كان يمرح ويلهو

ويلعب ذات يوم في حلوان بمصر فضربه جواد فشجه وأدماه ومسح الأب الدم عن وجه ابنه وضمد الجرح وطاف بخاطره: لعله النبوءة التي تنبأ بها الفاروق، ولعله البشارة التي رآها الفاروق في منامه. وكان هو، لذا قال أبوه عبد العزيز وهو أمير مصر لولده عمر الطفل الصغير: إن كنت أشجَّ بني أمية إنك إذاً لسعيد.

عن سهيل بن أبي صالح قال: كنا بعرفة، فمر عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي: يا أبت إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز. قال: وما ذاك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس. فقال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ: **«إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. قال: ثم يوضع له القبول في الأرض....»** (رواه مسلم ٢٦٣٧).

فمن هو عمر بن عبد العزيز؟

قال محمد بن علي بن الحسين: أما علمت أن لكل قوم نجيباً.. وأن نجيب بني أمية عمر بن عبد العزيز. وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

وقال عبيد الله بن عبد الله: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة.

وقال مجاهد: أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه سيحتاج إلينا فما خرجنا من عنده حتى احتجنا إليه.

وقال أيضا: أتينا عمر نعلمه، فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: أتينا عمر بن عبد العزيز ونحن نرى أنه يحتاج إلينا، فما كنا معه إلا تلامذة.

وقال أيضا: كان عمر بن عبد العزيز معلم العلماء.

وقال مالك وسفيان بن عيينة: عمر بن عبد العزيز إمام.

وقال فيه الذهبي: وكان إماماً فقيهاً مجتهداً، عارفاً بالسنن، كبير الشأن، ثبتاً، حجة حافظاً.

قال الليث: حدثني رجل كان صحب ابن عمر وابن عباس، وكان عمر بن عبد العزيز يستعمله على الجزيرة فقال: ما التمسنا علم شيء إلا وجدنا عمر بن عبد العزيز أعلم الناس بأصله وفرعه، وما كان العلماء عند عمر بن عبد العزيز إلا تلامذة.

وقال سفيان الثوري والشافعي ـ رحمهما الله ـ : الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز.

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: ليس أحد من التابعين قوله حجة إلا عمر بن عبد العزيز وعندما تولى عمر بن عبد العزيز إمرة المدينة وصلى خلفه أنس بن مالك قال أنس: ما صليت خلف إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا.

وقال عمر عن نفسه: إن نفسي هذه توّاقة، لم تعط من الدنيا شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه. قال سعيد بن عامر الراوي عنه: الجنة أفضل من الخلافة.

وقال العالم الزاهد مالك بن دينار: الناس يقولون: مالك زاهد. أيُّ

زهد عندي؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها.

وقال الإمام الزاهد الكبير أبو سليمان الداراني: كان عمر بن عبد العزيز أزهد من أويس القرني، لأن عمر ملك الدنيا بحذافيرها وزهد فيها، ولا ندري حال أويس لو ملك ما ملكه عمر كيف يكون؟ ليس من جرب كمن لم يجرب.

وقال ميمون بن مهران: إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي، وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: يروى في الحديث: أن الله ـ تبارك وتعالى ـ يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة دينها. فنظرنا في المائة الأولى، فإذا هو عمر بن عبد العزيز ونظرنا في المائة الثانية فإذا هو الشافعي.

وقال مالك بن دينار: لما استعمل عمر بن عبد العزيز على الناس. قال رعاء الشاء في رؤوس الجبال: من هذا العبد الصالح الذي قام على الناس؟ قيل لهم: وما علمكم بذاك؟ قالوا: إنه إذا قام على الناس خليفة عدل، كفت الذئاب عن شائنا.

وقال جسر القصاب: كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز فمررت براعٍ وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً، فحسبتها كلاباً ـ ولم أكن رأيت الذئاب قبل ذلك ـ فقلت: يا راعي ما ترجو بهذه الكلاب كلها؟ فقال: يا بني، إنها ليست كلابا، إنما هي ذئاب!! فقلت: سبحان الله! ذئب في غنم

لا يضرها؟! فقال: يا بني إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس! وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز.

وقال موسى بن أعين: كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز، فكانت الشاء والذئاب والوحوش ترعى في موضع واحد، فبينا نحن ذات ليلة إذ عرض الذئب لشاة. فقلنا: ما نرى الرجل الصالح - أي عمر بن عبد العزيز - إلا قد هلك. فحسبوا فوجدوه هلك في تلك الليلة.

لقد جمع عمر بن عبد العزيز القرآن وهو صغير وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها، حيث قال لأبيه: ترحلني إلى المدينة، فأقعد إلى فقهائها وأتأدب بآدابهم - وكان من توفيق الله له أن حبب إليه طلب العلم، فهجر الشباب وانصرف عن اللهو وضياع العمر والوقت فجالس علية القوم وتقرب من الفقهاء ورؤوس العلماء. وكان يقول لأمه وهو صغير: يا أماه أنا أحب أن أكون مثل خالي. أي عبد الله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما -.

فترد عليه أمه في بشاشة وفرحة: أنت تكون مثل خالك! أنت تكون مثل خالك!!

وكلّف أبوه عبد العزيز بن مروان صالح بن كيسان العالم العابد الحافظ الثقة بتربية ابنه عمر وتعليمه علوم الشريعة، فتولى تأديب عمر في صغره، فلقي منه كل رعاية وخير وتوجيه طيب مبارك. كما أنه تلقى العلم ولازم عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -، ونهل من علومه، وتتبع آثاره وتمنى أن يكون على منواله فحقق الله له الأمنية.

كمـا أنه تتلمذ على يد أنس بن مالك الصحابي الجليل خادم الرسول ﷺ وكـذلك لازم الإمـام الفقيه مفتي المدينة وعالمها الكبير عبيد الله بن عبد الله بـن عتـبة بـن مسـعود وتأدب بآدابه وأخذ عنه الكثير حتى قيل عنه: إنه معلـم عمـر بـن عـبد العزيز. فأكثر من ملازمته والجلوس إليه حتى بعد أن تـولى عمـر إمـرة المدينة. وكان مولعاً بمجلسه محبًّا لمذاكرته الأمر الذي جعله يقـول: لمجلـس مـن الأعمى: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحب إلـيَّ مـن ألـف ديـنار. وبعـد أن مات الشيخ الجليل عبيد الله وتولى عمر بن عـبد العزيز الخلافة كان عمر يقول: لو كان عبيد الله حيًّا ما صدرت إلا عن رأيـه، ولـوددت أن لـي بـيوم واحد من عبيد الله كذا وكذا. وكان يقول عنه أيضـاً: لـو أدركـني عبـيد الله بـن عبد الله بن عتبة إذ وقعت فيما وقعت فيه لهان عليَّ ما أنا فيه.

وتـتلمذ أيضـا علـى يد سالم بن عبد الله بن عمر الإمام الزاهد الحافظ الفقـيه، كـان يشبه أباه كثيراً. قال ابن المسيب: كان أشبه ولد عمر بعمر عبد الله، وأشبه ولد عبد الله بعبد الله سالم.

ولقـد بلـغ عمـر بـن عـبد العزيـز في العلم مبلغاً كبيراً وشأوا عظيماً، الأمـر الـذي جعـل أجلـة العلماء وكبار الفقهاء يشهدون بعلو كعبه وبلوغه المنزلة في العلم والدين والزهد والورع والحكمة والمكانة.

كما أن لـه باعاً طويلاً وجهوداً مشكورة في نشر العلم في الآفاق.

قـال عبـيد الله بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعاً مولى ابن عمر



إلى أهل مصر يعلمهم السنن - وأرسل عشرة من فقهاء مصر إلى إفريقيا لينشروا السنة هناك ويفقهوا الناس ويعلموهم دينهم.

كما أنه أرسل يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث بن يمجد الأشعري يفقهان الناس في البدو، وأجرى عليهما رزقا، فقبل يزيد الراتب ولم يقبله الحارث.

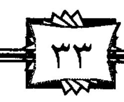
وكان عمر بنفسه يرسل الكتب والرسائل إلى الأمصار الإسلامية، يحثهم فيها على اتباع السنة واقتفاء آثار النبوة ويعلم الناس الفقه.

قال الإمام مالك: كان عمر بن عبد العزيز يكتب إلى الأمصار يعلمهم السنن والفقه، ويكتب إلى المدينة يسألهم عما مضى، وأن يعملوا بما عندهم.

وقال الحسن البصري: ما ورد علينا قط كتاب عمر بن عبد العزيز إلا بإحياء سنة أو إماتة بدعة أو رد مظلمة.

وساعد على نشر العلم في أرجاء البلاد ما كان يكفل به معاش طلبة العلم والفقهاء والقراء والمحدثين فكتب عمر إلى والي حمص يقول له: مُرْ لأهل الصلاح من بيت المال بما يغنيهم؛ لئلا يشغلهم شيء عن تلاوة القرآن وما حملوا من الأحاديث. وكتب له أيضا: انظروا إلى القوم الذين نصبوا أنفسهم للفقه، وحبسوها في المسجد عن طلب الدنيا، فأعطِ كل رجل منهم مائة دينار يستعينون بها على ما هم عليه من بيت مال المسلمين، حتى يأتيك كتابي هذا، وإن خير الخير أعجله، والسلام عليك.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: أن



أَجْرُوا على طلبة العلم الرزق، وفرِّغوهم للطلب.

وعـن ابن شهاب قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً، فبعث إلى كل أرض لـه عليها سلطان دفتراً.

وكـان عمـر بـن عـبد العزيـز ـ رحمـه الله ـ فقيها حكيما يدعو الناس بالتـزام مـا أرشد إليه القرآن والسنة، فقال كما عند الدارمي: يا أيها الناس! إن الله لم يـبعث بعـد نبـيكم نبـيا ولم ينـزل بعد هذا الكتاب الذي أنزله عليه كتابًا. فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال إلى يوم القيامة، وما حرم على لسـان نبـيه فهـو حـرام إلى يـوم القـيامة، ألا وإني لست بقاضٍ ولكني منفذ ولسـت بمبتدع ولكني متبع، ولست بخير منكم غير أني أثقلكم حملا. ألا وإنه ليس لأحد من خلق الله أن يطاع في معصية الله. ألا هل أسمعتُ.

وكـان رحمـه الله ورعـاً تقـيًّا في قضـائه، سـديداً في أحكامه، مصيباً في الفصـل بـين الـناس ورد المظـالم وفـض الخصـومات. فعـن الليث بن سعد ــ رحمـه الله ــ قـال حـدثني قـادمٌ البربريُّ أنه ذكر ربيعة بن أبي عبد الرحمن (المعـروف بربيعة الرأي) شيئا من قضاء عمر بن عبد العزيز إذا كان بالمدينة. فقال ربيعة: كأنك تقول: أخطأ. والذي نفسي بيده ما أخطأ قط.

وكـان رحمـه الله في صـلاته يشبه برسول الله ﷺ شهد لـه بذلك أنس ابـن مالك ـ رضي الله عنه ـ وأما خشوعه فقد قال ابن الجوزي في مناقبه: لما رفـع عمـر بـن عـبد العزيز رأسه من السجود خلف المقام نظروا إلى موضع سجوده مبتلاً من دموعه.

وقال علي بن زيد: ما رأيت رجلين كأن النار لم تخلق إلا لهما مثل الحسن وعمر بن عبد العزيز.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان زوجة عمر بن عبد العزيز: يا مغيرة! إنه يكون في الناس من هو أكثر صلاةً وصياماً من عمر بن عبد العزيز، وما رأيت أحداً قط أشد فَرَقاً من ربه من عمر. كان إذا صلى العشاء قعد في مسجده، ثم يرفع يديه فلم يزل يبكي حتى تغلبه عينه، ثم ينتبه، فلا يزال يدعو رافعاً يديه يبكي حتى تغلبه عينه. يفعل ذلك ليله أجمع.

وذكر ابن الجوزي عنه في مناقبه عن مقاتل بن حيان قال: صليت خلف عمر بن عبد العزيز فقرأ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ فجعل يكررها لا يستطيع أن يجاوزها ـ يعني من البكاء ـ وقرأ ذات يوم ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ فبكى بكاء شديدا حتى سمعه أهل الدار فجاءت زوجته فاطمة فجلست تبكي لبكائه، وبكى أهل الدار لبكائهما. فجاء عبد الملك ابن عمر فدخل عليهم وهم على تلك الحال يبكون فقال: يا أبه ما يبكيك؟ قال: خير يا بني! ود أبوك أنه لم يعرف الدنيا ولم تعرفه. والله يا بني لقد خشيت أن أهلك. والله يا بني لقد خشيت أن أكون من أهل النار.

وقال محمد بن الحسين: حدثني من شهد عمر بن عبد العزيز وهو أمير المؤمنين وقرأ عنده رجل: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ فبكى عمر حتى غلبه البكاء وعلا نشيجه فقام من مجلسه،

فدخل بيته وتفرق الناس.

وكان رحمه الله ذا أخلاق عالية فاضلة وصفات كريمة حميدة وجود واسع وسخاء عميم، يبتغي من وراء ذلك كله وجه الله ـ تعالى ـ وما كان يستعظم عطاء يقدمه لأحد.

وكان يقول: ما أعطيت أحدًا مالاً إلاَّ وأنا استقله، وإني لأستحي من الله ـ عز وجل ـ أن أسأل الجنة لأخ من إخواني، وأبخل عليه بالدنيا. فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك كنت بها أبخلَ.

وكان رحمه الله عظيم الخشية من الله ـ تعالى ـ منذ نعومة أظفاره فعن أبي قبيل أن عمر بن عبد العزيز بكى وهو غلام صغير فأرسلت إليه أمه وقالت: ما يبكيك؟ قال: ذكرت الموت ـ قال: وكان يومئذ قد جمع القرآن ـ فبكت أمه حين بلغها ذلك.

وكان دائما يراقب ربه حتى استولت على جل مشاعره، الأمر الذي جعله يقول: يا معشر المسترين! اعلموا أن عند الله مسألة فاضحة، قال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.

وكان يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

ودخل عليه الشاعر سابق البربري فقال له عمر: عظني يا سابق وأوجز قال: نعم يا أمير المؤمنين وأبلغ ـ إن شاء الله ـ قال: هات. فأنشده.

إذا أنت لم ترحل بزادٍ من التقى ... ووافيت بعد الموت من قد تزوَّدا
ندمت على أن لا تكون شركته ... وأرصدت قبل الموت ما كان أرصدا



فبكى عمر حتى سقط مغشيًّا عليه.

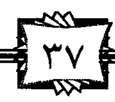
وبكى مرة فبكت زوجته فاطمة فبكى أهل الدار، لا يدري هؤلاء ما أبكى هؤلاء. فلما تجلت عنهم العبرة قالت له فاطمة: بأبي أنت يا أمير المؤمنين مم بكيت؟ قال: ذكرت يا فاطمة منصرف القوم من بين يدي الله - عز وجل -، فريق في الجنة وفريق في السعير. ثم صرخ وغشي عليه.

وكان رحمه الله مع خشيته لربه وتقواه وفعله الخيرات يخشى من ذنوبه ويخاف من الاغترار. قال له رجل: يا أمير المؤمنين كيف أصبحت ؟ قال: أصبحت بطيئًا بطينًا، متلوثاً في الخطايا أتمنى على الله الأماني. وضرب بيده على بطنه ثم قال: بطني بطيء عن عبادة ربي، متلوث بالذنوب والخطايا، يتمنى على الله منازل الأبرار ويعمل خلاف أعمالهم.

وكان يطمع في رحمة الله وأن يدركه عفوه ومغفرته وكان يقول: اللهم إن لم أكن أهلاً أن أبلغ رحمتك، فإن رحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء، فلتسعني رحمتك يا أرحم الراحمين.

وكان يقول: اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد، ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك، وهو الكفر، فاغفر لي ما بينهما.

وكان رحمه الله إمام الزاهدين على الإطلاق ومقدمهم بلا منازع. لم لا؟ وهو يرتع في العز والملك والعظمة والسلطان منذ صغره، نشأ في الأبهة والقصور العالية والأموال المتناهية الوفيرة والثراء العريض. ترك كل ذلك، واستغنى بربه عن هذا العرض الزائل وصغر في عينه. بل أقبلت عليه الدنيا



بحـذافيرها فلفظهـا وركلـها ولم يعـبأ بها فعد بذلك: الزاهد الحقيقي. بل هو سيد الزاهدين.

فكـان قـبل الخلافة يؤتى بالقميص الناعم اللين فيقول: ما أحسن هذا لـولا خشـونة فـيه، ويلبس الحلة بألف دينار. ولما ولي الخلافة وأصبح على خـزائن الأرض لـبس القمـيص الغلـيظ المـرقوع وهو يقول: ما أحسنه لولا لينه. وما ثمنه أكثر من عشرة دراهم.

وكـان يفـوح طيـباً ومسـكًا وعطرًا فإذا مشي في طريق عرف أنه مشي في هذا الطريق عمر بن عبد العزيز.

وكـان زهد عمر ليس من قبيل زهد القلة والفقر والمسكنة، ولكنه كان زهـد القـادر الـذي يملـك الدنـيا بحـذافيرها فأعـرض عنها وهي مقبلة عليه ورفضها وهي تلح عليه.

قـال مـيمون بـن مهران: أقمت عند عمر بن عبد العزيز ستة أشهر ما رأيته غيَّر رداءه، وكان يغسل من الجمعة إلى الجمعة ويبين بشيء من زعفران.

وقـال مسـلمة بن عبد الملك : دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه، فإذا عليه قميص وسخ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : يا فاطمة اغسـلي قمـيص أمـير المؤمـنين. قالت: نفعل ـ إن شاء الله ـ. ثم عدت فإذا القمـيص علـى حالـه، فقلـت: يـا فاطمـة ألم آمركم أن تغسلوا قميص أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه قالت: والله ما لـه قميص غيره.

وقال أبو أمية الخصي غلام عمر : دخلت يوماً على مولاتي فغدتني عدساً، فقلت: كل يوم عدس؟! قالت: يا بني هذا طعام مولاك أمير المؤمنين.

وكان رحمه الله متواضعاً لعامة المسلمين يخفض لهم الجناح ولا يتكبر على أحد، وكان رحيماً بالرعية ولم يخص نفسه بشيء يميزه عن غيره من مركب أو ملبس أو مأكل، وكان يرفض أن يسير الحراس والشرط بين يديه، وإذا دخل عليهم وقاموا له تبجيلاً وتعظيماً ويبدأوه بالسلام فينهاهم عن ذلك، ويقول لهم: لا تبدئوني بالسلام، إنما السلام علينا لكم.

ودخل عليه مرة رجل وهو في ملأ من الناس فخصه الرجل بالسلام دون غيره فقال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فرفض عمر بن عبد العزيز هذا المبدأ ورد عليه بأن يعمم السلام للجميع فقال له: عُمَّ بسلامك.

ويحكي ابنه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فيقول: قال لي رجاء ابن حيوة: ما أكمل مروءة أبيك، سمرت معه ذات ليلة فعشي السراج فقال لي: ما ترى السراج قد عشي؟ قلت: بلى. وإلى جانبه وصيف راقد. قال: قلت : أفلا أنبهه؟ قال: لا، دعه يرقد. قلت: أفلا أقوم أنا؟ قال: لا، ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه. قال: فوضع رداءه، ثم قام إلى بطة زيت معلقة فأخذها فأصلح السراج، ثم ردها في موضعها، ثم رجع وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

وقد بلغ حلمه مبلغاً عظيماً فها هو يدخل المسجد في ليلة مظلمة فمر برجل نائم فعثر به فرفع الرجل رأسه إليه وهو لم يعرفه فقال له: أمجنون

أنت؟ فرد عليه عمر ردًّا لطيفًا ولم يعنفه أو يزجره فقال له: لا. إلا أن الحارس انزعج من كلام الرجل لأمير المؤمنين فهمَّ به الحارس. وقال له عمر: مه، إنما سألني أمجنون أنت؟ فقلت له : لا.

وخرج ابنه يوماً يلعب مع الغلمان فضربه غلام فشجه فحمل الناس ابن عمر والطفل الذي شجه ودخلوا بهما على فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر فسمع عمر الجلبة فخرج عليهم وعلم بالخبر وجاءت أم الطفل وقالت: هو ابني وهو يتيم فقال لها عمر: هل له عطاء؟ قالت المرأة: لا. قال عمر لعماله : اكتبوه في الذرية. قالت فاطمة: فعل الله به وفعل، إن لم يشجه مرة أخرى! قال لها عمر : إنكم أفزعتموه.

وفي يوم كلَّمه رجل حتى أغضب الرجلُ أميرَ المؤمنين فهم به عمر وكاد أن ينال منه، ولكنه أمسك نفسه وكظم غيظه، ثم عفا عنه وقال له: أردتَ أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله مني غدًا! قم عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك.

أما حكمه ومواعظه ووصاياه فذلك معين لا ينضب، وبحر لا ساحل له، وعذب لا أجاج فيه.

فكان يقول رحمه الله: القلوب أوعية السرائر، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ منكم مفتاح وعاء سره.

ما قرن شيء إلى شيء أحسن من حلم إلى علم، ومن عفو إلى مقدرة.

وكتب مرة إلى رجل يعزيه في ابنه: أما بعد فإنا قوم من أهل الآخرة،

أسـكنا الدنـيا أموات أبناء أموات، والعجب لميت يكتب إلى ميت يعزيه عن ميت، والسلام.

وكـتب إلى ابـنه عـبد العزيز : يا بني إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير.

وقـال لمـيمون بـن مهـران: يـا مـيمون! لا تخلو بامرأة لاتحل لك وإن أقـرأتها القـرآن، ولا تتبع السلطان وإن رأيت أنك تأمره بمعروف وتنهاه عن منكـر، ولا تجـالس ذا هوى فيلقي في نفسك شيئا يسخط الله به عليك. ولا تصلن عاقًا، فإنه لن يصلك وقد قطع أباه.

وكـتب إلى عامـل يوصيه: أما بعد! فالزم الحقَّ ينزلك الحقُّ منازل أهل الحقِّ، يوم لا يقضى بين الناس إلا بالحقِّ وهم لا يظلمون.

وخطـب الـناس فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، فإن في تقوى الله خَلَفاً مـن كـل شـيء دونـه. ولـيس لـتقوى الله خلـف. يـا أيهـا الناس اتقوا الله وأطيعوا من أطاع الله ولا تطيعوا من عصى الله.

أيها الناس. أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم، وأصلحوا سرائركم تصـلح لكـم علانيـتكم. والله إن عـبداً لـيس بيـنه وبين آدم أب لـه إلا قد مات، إنه لمعرق لـه في الموت.

قـال عمـر مـرة لجلسـائه: أخبروني من أحمق الناس؟ قالوا: رجل باع آخـرته بدنـياه. فقال لهم عمر: ألا أنبئكم بأحمق منه؟ قالوا: بلى. قال: رجل باع آخرته بدنيا غيره.

وقال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة ثم قال لي: إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض.

وقال عمرو بن مهاجر: قال لي عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم هزني، ثم قل: يا عمر ما تصنع؟!.

وقال مرة : ادرؤوا الحدود ما استطعتم في كل شبهة، فإن الوالي إن أخطأ في العفو، خير من أن يتعدى في الظلم والعقوبة.

وقال عمر لعثمان الدجني: علم ابنك الفقه الأكبر. قال: وما الفقه الأكبر؟ قال: القناعة وكف الأذى.

وسئل عن معركة الجمل وصفين فقال رحمه الله: تلك دماء كف الله يدي عنها، وأنا أكره أن أغمس لساني فيها.

وقال عمر: إنما الزهد في الحلال، وأما الحرام فنار تسعر.

من قال: لا أدري. فقد أحرز نصف العلم.

وقال: إن استطعت فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحبهم، فإن لم تستطع فلا تبغضهم.

وقال لرجاء بن حيوة: والله لئن ابتليت بذلك (الخلافة) وإنها شرف الدنيا، لأطلبن بها شرف الآخرة.

وكتب الحجبة إلى عمر بن عبد العزيز أن يأمر للبيت بكسوة كما كان يفعل من كان قبله، فكتب إليهم: إني رأيت أن أجعل ذلك في أكبادٍ جائعة، فإنهم أولى بذلك من البيت.

وكـتب إلى أخ لــه في الله : لا تطلـبن شيئا من عرض الدنيا بقول ولا فعل تخاف أن يضر بآخرتك ويزرى بدينك، ويمقتك عليه ربك.

وبلـغ عمـر بـن عبد العزيز أن ابنا لـه اشترى فصًّا بألف درهم فتختم بـه فكـتب إلـيه عمـر: عزيمة مني إليك، لما بعت الفص الذي اشتريت بألف درهـم، وتصـدقت بثمـنه واشتريت فصًّا بدرهم واحد، ونقشت عليه: رحم الله امرأ عرف قدره. والسلام.

وكان آخر خطبة خطبها، أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

إنكـم لم تخلقـوا عبـثاً، ولم تتركـوا سـدى، وإن لكم معاداً ينزل الله فيه ليحكم بينكم، ويفصل بينكم.

وخـاب وخسر من خرج من رحمة الله، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض، ألم تعلمـوا أنـه لا يـأمن غـداً إلا من حذر الله اليوم وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان.

ألا تـرون أنكـم في أسـلاب الهـالكين وستصـير مـن بعـدكم للـباقين، وكـذلك حتـى تـردوا إلى خـير الـوارثين. ثـم إنكـم تشـيعون كل يوم غادياً ورائحـاً، قـد قضـى نحبه، وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في شـق صـدع، ثـم تتركـوه غـير ممهـد ولا موسـد، فارق الأحباب، وباشر التراب، ووجه للحساب، مرتهن بما عمل، غني عما ترك، فقير إلى ما قدم.

فاتقوا الله وموافاته، وحلول الموت بكم.

أمـا والله، إنـي لأقـول هـذا، ومـا أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما

عندي، وأستغفر الله.

وما منكم من أحد يبلغنا حاجته، لا يسع له ما عندنا، إلا تمنيت أن يبدأ بي وبخاصتي، حتى يكون عيشنا وعيشه واحداً.

أما والله، لو أردت غير هذا من نضارة العيش لكان اللسان به ذلولاً، وكنت بأسبابه عالماً، ولكن سبق من الله كتاب ناطق، وسنة عادلة، دلَّ فيها على طاعته، ونهى فيها عن معصيته. ثم رفع طرف ردائه، فبكى وأبكى من حوله. ثم نزل، فما خرج حتى أخرج إلى حفرته ـ رحمه الله ـ.

قال مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز : ما يقول الناس فيّ؟ قلت : يقولون: مسحور قال: ما أنا بمسحور، وإني لأعلم الساعة التي سقيت فيها، ثم دعا غلاماً له. فقال له: ويحك ما حملك على أن تسقيني السم؟! قال الغلام: ألف دينار أعطيتها، وعلى أن أعتق. قال: هاتها. قال: فجاء بها، فألقاها في بيت المال. وقال للغلام: اذهب حيث لا يراك أحد.

وعندما احتضر عمر قال لمن حوله: اخرجوا عني، فلا يبقى عندي أحد. وكان عنده مسلمة بن عبد الملك. قال : فخرجوا، فقعد مسلمة على الباب هو وفاطمة زوجة عمر فسمعوه يقول: مرحبا بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جان. قال: ثم قال ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ قال: ثم هدأ الصوت. فإذا هو قد مات، وقد استقبل القبلة وأغمض نفسه ووضع إحدى يديه على عينيه والأخرى على فيه.

ومـات الإمـام العـادل الـزاهد الخليفة الراشد، مات مسموماً في شهر رجـب سـنة إحـدى ومائـة ولـه حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، مات الـرجل الـزاهد العـادل فماتت معه كثير من الفضائل، ودفن بالتراب ودفن معه العدل وحل مكانه الظلم والجور.

فـرحم الله الـرجل الـذي أحـيا سـنة الخلفـاء الراشـدين، ونوَّر الدنيا بسيرته العطرة وعدله في العالمين.

قال عنه أبو نعيم في الحلية: كان واحد أمته في الفضل، ونجيب عشيرته في العـدل، جمـع زهداً وعفافاً وورعاً وكفافاً، شغله آجل العيش من عاجله، وألهـاه إقامـة العـدل عـن عاذلـه، كـان للـرعية أمناً وأماناً، وعلى من خالفه حجةً وبرهاناً، كان مفوهاً عليماً ومفهما حكيماً.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٥/ ٢٨٨-٣٨٧ رقم ٣٢٣).
٢- سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤-١٤٨ رقم ٤٨).
٣- تهذيب الكمال (٢١/ ٤٣٢-٤٤٦ رقم ٤٢٧٧).
٤- صفوة الصفوة (٢/ ٤٦١-٤٦٩ رقم ١٧٢).
٥- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٦٩-٧٢ رقم ٥٥٩).
٦- الطبقات الكبرى (٥/ ٢٥٣-٣٢٠ رقم ٩٩٥).
٧- شذرات الذهب (٢/ ٥-٩).
٨- تهذيب التهذيب (٣/ ٢٤٠-٢٤١).
٩- البداية والنهاية (٩/ ١٩٩-٢٢٤).

٣ ـ سعيد بن المسيب
أفضل التابعين وفقيه الفقهاء

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل : سعيد بن المسيب أفضل التابعين.

وقال مكحول فقيه الشام: طفت الأرض كلها في طلب العلم ، فما لقيت أحدا أعلم من سعيد بن المسيب.

وقال مرة: سعيد بن المسيب عالم العلماء.

ولو رأى رسول الله ﷺ سعيد بن المسيب لسرَّ به، كما أخبر بذلك عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

فكان سعيد من سادات التابعين فقهًا ودينًا وورعًا وعبادة وفضلاً، وهو شيخ الإسلام فهو جبل من جبال العلم والحفظ والذكاء. صدع بالحق ولم يخشَ في الله لومة لائم، وابتلي فصبر.

قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه، هو عندي أجل التابعين.

وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل من سعيد بن المسيب، وهو أثبتهم في أبي هريرة.

جاء رجل إلى عبد الله بن عمر يسأله عن مسألة فقال له عبد الله: ائت سعيد بن المسيب فسله، ثم ارجع إليّ فأخبرني. ففعل الرجل ذلك وأخبره فقال عبد الله بن عمر: ألم أخبرك أنه أحد العلماء.

وكان عبد الله بن عمر إذا سئل عن الشيء فأشكل عليه يقول للسائل: سلوا سعيد بن المسيب، فإنه قد جالس الصالحين.

وقال عنه مرة: هو والله أحد المفتين.

وكان الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز لا يقضي قضاء إلا ويسأل سعيد ابن المسيب، فأرسل عمر إلى سعيد رجلاً يسأله. ولكن الرجل دعا سعيد بن المسيب لكي يأتي عمر بن عبد العزيز فجاءه حتى دخل عليه، فتأسف عمر لذلك وقال لسعيد: أخطأ الرسول، إنما أرسلناه يسألك في مجلسك.

وعن ميمون بن مهران قال: قدمت المدينة، فسألت عن أعلم أهل المدينة، فدفعت إلى سعيد بن المسيب.

وقال قتادة: ما رأيت أعلم بالحلال والحرام منه.

وقال إسماعيل بن أمية : سعيد بن المسيب عالم العلماء.

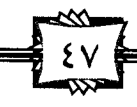
وقال الأوزاعي: سئل الزهري ومحكول: من أفقه من لقيتما؟ قالا: سعيد بن المسيب.

وقال القاسم بن محمد ومحمد بن عمر: هو سيدنا وأعلمنا وهو خيرنا وسيدنا.

وقال ابن سعد في طبقاته: وكان سعيد جامعاً ثقة كثير الحديث، ثبتًا فقيهًا مفتيًا مأمونًا ورعًا عاليًا رفيعًا.

وقال ابن حبان: كان أفقه أهل الحجاز وأعبر الناس للرؤيا، ما نودي بالصلاة من أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد.

وقال محمد بن يحيى بن حبان: كان رأس من بالمدينة في دهره، المقدم



عليهم في الفتوى سعيد بن المسيب. ويقال: فقيه الفقهاء.

وقال ابن خلكان: كان سيد التابعين من الطراز الأول، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع.

وقال الإمام الذهبي: هو الإمام شيخ الإسلام، فقيه المدينة، أجل التابعين كان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الدين قوّالاً بالحق، فقيه النفس. عالم المدينة بلا مدافعة.

وقال ابن كثير: سيد التابعين على الإطلاق.

وقال الخزرجي: رأس علماء التابعين وفردهم وفاضلهم وفقيههم.

هذا هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يقظة المخزومي القرشي المدني، يكنى بأبي محمد سيد التابعين أبوه وجده صحابيان وهو من قوم يعرفون بالشدة والصلابة التي ورثوها عن جده حزن ـ بمعنى الصعب ـ فقد جاء حزن هذا إلى رسول الله ﷺ فقال له: «ما اسمك؟» قال : أنا حزن. فقال له النبي ﷺ: «بل أنت سهل» فقال: يا رسول الله اسم سماني به أبواي، فعرفت به في الناس. قال: فسكت عنه النبي ﷺ. يقول سعيد بن المسيب: مازلنا نعرف الحزونة فينا أهل البيت.

ولد سعيد بن المسيب بالمدينة بعد استخلاف عمر بسنتين أي سنة ١٥هـ ونشأ ابن المسيب وسط البقية المباركة من الصحب الطيب المبارك يتربى على أعينهم، ويتتلمذ على موائدهم، ويتأدب على أخلاقهم وآدابهم،

نهـل من معينهم، واستقى من حياضهم فأشرب في قلبه حب السنة والعمل بهـا، وتفهـم القـرآن وطبقه في حياته حتى اختلطت التقوى والعبادة بذرات مشـاعره وأحاسيسـه، وسـرى في عـروقه الـورع، ونـبت بين جنباته الزهد، فأثمـر ثمـاراً يانعـة، وأتـى أكله حياة سعيدة في ظل هذا الدين القويم وهذه الشـريعة السـمحاء، فلـم يأخـذ عطـاء مـن الـولاة وكـان يتاجر في الزيت، ليـتعفف عمـا في أيـدي الـناس،، فـلا يريق ماء وجهه، ولا يجعل لأحد من البشر عليه مكرمة، أو يجعل لأحد عنده يدًا.

قـال أحمد العجلي: كان لا يأخذ العطاء، وله أربعمائة دينار يتجر بها في الزيت.

وقـال مالـك بـن أنـس رضي الله عنه: كان سعيد بن المسيب يماري غلامًا لـه في ثلثي درهم، وأتاه ابن عمه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يأخذها.

وقـال عمـران بـن عبد الله بن طلحة: دعي سعيد بن المسيب إلى نيف وثلاثـين ألفًـا لـيأخذها. فقـال: لا حاجـة لي فيها، ولا في بني مروان، حتى ألقى الله، فيحكم بيني وبينهم.

الأمـر الـذي جعـل ابن المسيب يقول: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس.

وقـال أيضـاً : لا خـير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، ويؤدي به أمانته ويستغني به عن خلق ربه.

وقال ابنه يحيى عنه: إنه مات وترك ألفين أو ثلاثة آلاف دينار.

وكان سعيد يقول: ما تركتها إلا لأصون بها ديني وحسبي.

وكان يقول أيضاً: اللهم إنك تعلم أني لم أمسكه بخلاً ولا حرصًا عليه، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها، وإنما أريد أن أصون به وجهي عن بني مروان، حتى ألقى الله، فيحكم فيّ وفيهم، أصل منه رحمي وأؤدي منه الحقوق التي فيه، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين واليتيم والجار.

وصدق ـ والله ـ ابن الجوزي حيث قال: في صيد الخاطر (ص٢٨٦).

ليس في الدنيا أنفع للعلماء من جمع المال للاستغناء عن الناس، فإنه إذا ضم إلى العلم حيزَ الكمالُ. وإن جمهور العلماء شغلهم العلم عن الكسب، فاحتاجوا إلى ما لابد منه، وقل الصبر، فدخلوا مداخل شانتهم، وإن تأولوا فيها، إلا أن غيرها كان أحسن لهم. فالزهري مع عبد الملك، وأبو عبيدة مع طاهر بن الحسين، وابن أبي الدنيا مع المعتضد، وابن قتيبة صدَّر كتابه بمدح الوزير. ومازال خلف من العلماء والزهاد يعيشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم، وهؤلاء وإن كانوا سلكوا طريقاً من التأويل فإنهم فقدوا من قلوبهم وكمال دينهم أكثر مما نالوا من الدنيا. وقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلماء يغشون الولاة لأجل نيل ما في أيديهم، فمنهم من يداهن ويرائي، ومنهم من يمدح بما لا يجوز، ومنهم من يسكت عن منكرات إلى غير ذلك من المداهنات، وسببها الفقر فعلمنا أن كمال العز وبعد الرياء إنما يكون في البعد عن العمال الظلمة، ولم نر من صح له هذا إلا في أحد رجلين: إما من كان له مال: كسعيد بن المسيب، كان يتجر في

الـزيت وغـيره وسـفيان الثوري كانت لـه بضائع وابن المبارك. وأما من كان شـديد الصبر قنوعاً بما رزق وإن لم يكفه كبشر الحافي وأحمد بن حنبل. ومتى لم يجـد الإنسـان كصـبر هـذين ولا كمـال أولـئك، فالظاهـر تقلـبه في المحـن والآفـات، وربمـا تلـف ديـنه. فعلـيك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس، فإنه يجمع لك دينك.

مـن أجـل ذلـك كـان رحمه الله عزيز النفس أبيَّ الشيم، ذا نفس عالية وهمـة سـامقة، لا ينظـر إلى فتات الدنيا وحطامها الرخيص الزائل، تنزه عن السفاسـف وتـرفع، فكـبر في أعـين الـناس فاتخذوه مثالاً يحتذى، وأصبحت أقـواله حكما، وآراؤه واجتهاداته قانونا متبعًا، وصار حديث المجالس، ومحط الركبان، وقبلة لطلبة العلم والعلماء. وكان بحق مهابا في صدور الرجال.

فهـذا أمـير المؤمـنين عبد الملك بن مروان وهو في طريقه إلى الحج قدم المديـنة ووقـف علـى باب المسجد فأرسل رجلاً إلى سعيد بن المسيب يدعوه فأتـاه الرسول وقال لـه: أجب أمير المؤمنين، واقف بالباب يريد أن يكلمك. فقـال: مـا لأمـير المؤمنين إليَّ حاجة ومالي إليه حاجة، وإن حاجته لي لغير مقضية. فرجع الرسول فأخبره. فقال لـه:

ارجـع فقـل لــه: إنما أريد أن أكلمك ولا تحركه. فرجع إليه فقال لـه: أجـب أمير المؤمنين فرد عليه مثل ما قال أولاً. فقال: لولا أنه تقدم إليّ فيك مـا ذهـبت إلـيه إلا برأسـك يرسـل إلـيك أمـير المؤمنين يكلمك تقول مثل هـذا؟! فقـال سعيد: إن كان يريد أن يصنع بي خيراً فهو لك، وإن كان يريد

غير ذلك فلا أحل حبوتي حتى يقضي ما هو قاض. فأتاه، فأخبره، فقال: رحم الله أبا محمد أبى إلا صلابة.

وكذا كان موقفه مع الوليد بن عبد الملك بن مروان لما تولى الخلافة بعد أبيه. فلما قدم الوليد إلى المدينة ودخل المسجد فرأى شيخاً قد اجتمع عليه الناس فقال: من هذا؟! قالوا: سعيد بن المسيب. فلما جلس الوليد أرسل إلى سعيد رسولاً فقال لسعيد: أجب أمير المؤمنين. فقال سعيد: لعلك أخطأت باسمي أو لعله أرسلك إلى غيري. فرد الرسول فأخبره فغضب أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك وهمَّ أن ينال من سعيد. وكان الناس فيهم تقية فأقبلوا عليه فقالوا: يا أمير المؤمنين ! فقيه المدينة وشيخ قريش وصديق أبيك لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه. فمازالوا به حتى أعرض عنه.

هذا كان موقف ابن المسيب من الظلمة أما أهل العدل والخير كعمر ابن عبد العزيز لما كان واليا على المدينة وأرسل إلى سعيد أتاه سعيد.

وقال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معقل يقول: مرسلات سعيد ابن المسيب أحب إليّ من مرسلات الحسن.

وقال أبو طالب : قلت لأحمد بن حنبل: سعيد بن المسيب؟ فقال: ومن مثل سعيد بن المسيب، ثقة من أهل الخير. قلت: سعيد عن عمر حجة؟ قال: هو عندنا حجة قد رأى عمر وسمع منه.

وأخذ سعيد علمه من زيد بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن عمر. ودخل على أزواج النبي ﷺ عائشة وأم سلمة وسمع من عثمان

وعلي وصهيب وابن مسلمة، وكانت جل رواياته المسندة عن أبي هريرة. لأنه كان قريباً منه جدًّا. خاصة وأنه تزوج بنت أبي هريرة. وكانت له زوجة أخرى أنجب منها الأولاد والبنات هي أم حبيب بنت أبي كريم، وله ثالثة هي أم مريم كانت أم ولد.

وكان رحمه الله طويل القامة جميل الوصف حسن الهندام أبيض الرأس واللحية، نظيف الجسد يعتني بمظهره. وكان أعور فقد إحدى عينيه، وكان له جميمة وكان يفرقها، وكان يعتم بعمامة سوداء ثم يرسلها خلفه.

وكان رحمه الله ذا وقار وبهاء وجلال يبدو في حركاته وسكناته ومنطقه وصمته فلا يسع أحد أن رآه إلا أن يجله ويعظمه ويهابه، كان كذلك وهو في غاية التواضع ليس فيه ذرة كبر أو شائبة بطر.

قال عبد الرحمن بن حرملة : ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير.

لم يبلغ ابن المسيب هذا المبلغ إلا بجهد جهيد بعد عون الله وتوفيقه فقد لقب بـ (راهب قريش) مع اشتغاله بطلب الحديث وتحصيل العلوم وجلوسه للتدريس والدعوة إلى الله والإفتاء فكان يسهر ليله بالصلاة ويمضي نهاره بالصوم ويكثر السفر إلى حج بيت الله الحرام حتى رسخ الإيمان في قلبه وتذوق حلاوة الطاعة وتغذى بالعبادة وأتعب جسده حتى سمت روحه وتمتعت نفسه وقرت عينه بالصلاة فكانت لا تفوته التكبيرة الأولى في صلاة الجماعة مدة خمسين سنة، وكان يقول رحمه الله: ما فاتتني

التكبيرة الأولى منذ خمسين سنة وما نظرت في قفا رجل في الصلاة منذ خمسين سنة. وكان يكثر من الصوم وحج أربعين حجة حتى قيل في حقه: جمع بين الحديث والتفسير والفقه والورع والعبادة. وقيل : صاحب عبادة وجماعة وعفة وقناعة.

وكان إذا أفطر أفطر بالخبز والزيت فلا إسراف ولا تبذير.

صدق رسول الله ﷺ القائل: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة» صححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٧٣ رقم ١٤٣).

فكان سعيد ـ رحمه الله ـ لا يسكت عن الظلم ولا يقر باطلا فإذا ما وقف على منكر أنكره، ولا يخشى لائمة ولا يحسب لأحد حسابا، فها هو المطلب بن السائب يقول: كنت جالساً مع سعيد بالسوق فمر بريد لبني مروان فقال له سعيد: مِنْ رسل بنِي مروان أنت؟ قال : نعم. قال سعيد: فكيف تركتهم؟ قال: بخير. قال سعيد: تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب. قال المطلب: فاشرأب الرسول فقمت إليه، فلم أزل أرجيه حتى انطلق. ثم قلت لسعيد: يغفر الله لك تشيط بدمك بالكلمة هكذا تلقيها. قال سعيد: اسكت يا أحيمق! فوالله لا يسلمني الله ما أخذت بحقوقه.

وعندما استعمل عبد الله بن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري

على المدينة فدعا الناس إلى البيعة لابن الزبير فقال سعيد بن المسيب: لا حتى يجتمع الناس.فضربه جابر ستين سوطاً. ولما بلغ ذلك ابن الزبير، كتب إلى جابر يلومه ويقول: مالنا ولسعيد، دَعْهُ.

ورغم التعذيب والسياط تتوالى على ظهر سعيد إلا أنه لم يسكت عن المنكر حتى ولو كان على الوالي فهذا جابر بن الأسود يعذبه وسعيد يقول له: والله ما ربعت على كتاب الله يقول الله: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾. وأنت تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة. وما هي إلا ليال، فاصنع ما بدا لك، فسوف يأتيك ما تكره. فما مكث إلا يسيرًا حتى قتل ابن الزبير.

وهذا الحجاج الحاكم الظالم الغشوم لا يقف أمامه أحد لظلمه وجبروته فقد قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك، ولا يهيجك ولا يؤذيك؟! قال سعيد: لا أدري، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفًّا من حصباء، فحصبته بها. قال الحجاج: فمازلت بعد ذلك أحسن الصلاة.

ولما عقد عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان بالعهد وكتب بالبيعة لهما إلى البلدان فبايع الناس إلا سعيد بن المسيب فضربة هشام ستين سوطاً، وطاف به في تبان من شعر حتى بلغ به رأس الثنية فلما كروا به قال سعيد: أين تكرون بي؟ قالوا: إلى السجن. قال سعيد: والله لو لا أنني ظننته الصلب ما لبست هذا التبان أبدًا. (أي حتى لا تكشف عورته إذا قتل) فردوه إلى

السجن فحبسه. وكتب إلى عبد الملك يخبره بخلافه، فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع بسعيد وقال: سعيد كان والله أحوج أن تصل رحمه من أن تضربه، وإنا لنعلم ما عنده خلاف.

وقيل لسعيد: ادع على بني أمية. قال: اللهم أعز دينك وأظهر أولياءك، واخز أعداءك في عافية لأمة محمد ﷺ.

وفي سنة ٩١هـ حج الوليد بن عبد الملك بالناس فلما قرب من المدينة، أمر عمر بن عبد العزيز أشراف المدينة فتلقوه فرحب بهم وأحسن إليهم، ودخل المدينة النبوية فأخلي له المسجد النبوي فلم يبق به أحد سوى سعيد بن المسيب، لم يتجاسر أحد أن يخرجه، وإنما عليه ثياب لا تساوي خمسة دراهم. فقالوا له: تنح عن المسجد أيها الشيخ، فإن أمير المؤمنين قادم. فقال: والله لا أخرج منه. فدخل الوليد المسجد، فجعل يدور فيه يصلى ههنا وههنا ويدعو الله ـ عز وجل ـ. قال عمر بن عبد العزيز: وجعلت أعدل به عن موضع سعيد خشية أن يراه، فحانت منه التفاتة، فقال: من هذا؟ هو سعيد بن المسيب. فقال عمر: نعم يا أمير المؤمنين! ولو علم بأنك قادم لقام إليك وسلم عليك. فقال الوليد: قد علمت بغضه لنا. فقلت (أي عمر): يا أمير المؤمنين ! إنه وإنه، وشرعت أثني عليه. وشرع الوليد يثني عليه بالعلم والدين. فقلت: يا أمير المؤمنين! إنه ضعيف البصر ـ وإنما قلت ذلك لأعتذر له ـ فقال الوليد: نحن أحق بالسعي إليه. فجاء فوقف عليه، فسلم عليه، فلم يقم له سعيد. ثم قال الوليد: كيف الشيخ؟

فقال: بخير والحمد لـه، كيف أمير المؤمنين؟ فقال الوليد: بخير والحمد لله وحده. ثم انصرف وهو يقول لعمر بن عبد العزيز: هذا فقيه الناس. فقال عمر: أجل يا أمير المؤمنين.

نعم هذه هي العزة وهي الكرامة وهي السلطان والإمارة. شيخ يعتز بالله وحده ولا يملك من أبهة السلطان وصولجان الحكم ولا من متاع الدنيا شيئاً يأتيه أمير المؤمنين ليسلم عليه وهو جالس لا يقوم لـه ولا يحفل به، إنها والله العزة والكرامة التي لا عزة بعدها ولا كرامة وراءها.

هذا هو الوليد بن عبد الملك وهو أمير المؤمنين الذى كان قد تقدم أبوه عبدالملك بن مروان أيام كان أميرًا للمؤمنين يتقدم لسعيد بن المسيب يطلب منه أن يزوج ابنته للوليد ابن أمير المؤمنين فرفض سعيد أن يزوج ابنته لابن أمير المؤمنين.

وعن ابن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياماً فلما جئته قال: أين كنت؟ قال : توفيت أهلي فاشتغلت بها. فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها! قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟! فقال: أنا. فقلت: أو تفعل؟! قال: نعم. ثم حمد الله ـ تعالى ـ وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين، فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي، واسترحت وكنت وحدي صائماً فقدمت

عشـائي أفطـر، كـان خبـزًا وزيـتًا، فـإذا بـآت يقـرع. فقلت: من هذا؟ قال: سـعيد. قـال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم يـر أربعـين سـنة إلا بـين بيـته والمسـجد، فقمـت فخـرجت، فـإذا سعيد بن المسـيب. فظنـنت أنـه قـد بدا له. فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك! قـال: لأنـت أحق أن تؤتى. قال: قلت: فما تأمر؟ قال إنك كنت رجلاً عزبا فتـزوجت فكـرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفـه في طـوله. ثم أخذها بيدها. فدفعها بالباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت مـن الـباب، ثـم قدمـتها إلى القصـة الـتي فـيها الـزيت والخبـز، فوضـعتها في ظـل السـراج لكـي لا تـراه. ثـم صـعدت إلى السـطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا: ما شأنك؟! قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنـته الـيوم، وقـد جـاء بها على غفلة. فقالوا: سعيد بن المسيب زوَّجك؟!! قلـت: نعـم، وهـا هـي في الـدار قـال فنـزلوا هـم إليها وبلغ أمي فجاءت. وقالـت: وجهـي مـن وجهـك حـرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيـام. قـال: فأقمت ثلاثة أيام، ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس، وإذا هـي أحفـظ الناس لكتاب الله، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الـزوج. قـال: فمكـثت شهراً لا يأتيني سعيد ولا آتيه. فلما كان قرب الشهر أتـيت سـعيدًا وهـو في حلقـته فسـلمت فـردَّ علـيَّ السلام ولم يكلمني حتى تقـوض أهـل المجلـس فلما لم يبق غيري. قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيـرا يـا أبـا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو. قال: إن رابك شيء

فالعصا. فانصرفت إلى منزلي فوجه إليّ بعشرين ألف درهم. قال عبد الله ابن سليمان: وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد. فأبى سعيد أن يزوجه، فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد، وصبَّ عليه جرة ماء، وألبسه جبة صوف. قال: عبد الله: وابن أبي وداعة هذا هو كثير ابن عبد المطلب بن أبي وداعة.

من حكمه ومواعظه ـ رحمه الله ـ:

- من استغنى بالله افتقر الناس إليه. ويكثر من قول : اللهم سلم، اللهم سلم.
- وقال: لا تقولن: مصيحف، ولا مسيجد. ولكن عظموا ما عظم الله، كل ما عظم الله فهو عظيم.
- وقال : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب، ولكن مِنَ الناس مَنْ لا ينبغي أن تذكر عيوبه.
- وقال: من كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله.
- يد الله فوق عباده. فمن رفع نفسه وضعه الله، ومن وضعها رفعه الله. الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته.
- الدنيا نذلة وهي إلى كل نذل أميل، وأنذل منها من أخذها من غير وجهها، ووضعها في غير سبيلها.

- ما يئس الشيطان من شيء إلا أتاه من قبل النساء.
- لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم الصالحة.

وعندما احتضر عبد الملك بن مروان أمر بفتح أبواب قصره فسمع قصارًا بالوادي. فقال: ما هذا؟ قالوا: قصار. قال: يا ليتني كنت قصارًا، أعيش من عمل يدي. فلما بلغ سعيد بن المسيب قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا، ولا نفر إليهم.

ولما مرض سعيد بن المسيب مرض الموت دخل عليه نافع بن جبير يعوده فأغمي عليه فقال نافع: وجهوه. ففعلوا فأفاق. فقال سعيد: من أمركم أن تحولوا فراشي إلى القبلة؟ أنافع؟ قالوا : نعم. قال له سعيد : لئن لم أكن على القبلة والملة والله لا ينفعني توجيهكم فراشي.

وعن عبد الرحمن بن حرملة قال: دخلت على سعيد بن المسيب وهو شديد المرض وهو يصلى الظهر، وهو مستلقٍ يؤمئ إيماءً، فسمعته يقرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾ ومات سعيد بالمدينة سنة أربع وتسعين في خلافة الوليد بن عبد الملك، وقد بلغ من العمر خمسًا وسبعين سنة. وكان يقال لهذه السنة التي توفي فيها سعيد (سنة الفقهاء) لكثرة من مات من الفقهاء فيها.

فرحمة الله على هذا الجبل الأشم سيد التابعين سعيد بن المسيب.

قال أبو نعيم في الحلية: فأما أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي، كان من الممتحنين، امتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم، صاحب

عـبادة وجماعـة وعفـة وقناعة، وكان كاسمه بالطاعات سعيدًا ومن المعاصي والجهالات بعيداً.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٢/ ١٨٤ ـ ٢٠٠ رقم ١٧٠).
٢- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢١٧ ـ ٢٤٦ رقم ٨٨).
٣- تهذيب الكمال (١١/ ٦٦ ـ ٧٥ رقم ٢٣٥٨).
٤- الطبقات الكبرى (٥/ ٨٩ ـ ١٠٩ رقم ٦٨٣).
٥- صفة الصفوة (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ رقم ١٥٩).
٦- وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥ ـ ٣٧٨ رقم ٢٦٢).
٧- شذرات الذهب (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧٢).
٨- البداية والنهاية (٩/ ١٠٦ ـ ١٠٧).
٩- المنتظم (٦/ ٣١٩ ـ ٣٢٦ رقم ٥٢٩).
١٠- تهذيب التهذيب (٢/ ٤٣ ـ ٤٥).

٤ ـ سعيد بن جبيــر
الفقيــه الشهيد

عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

ويذكر عن الإمام أحمد أنه قال: قتل سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج ـ أو قال مفتقر إلى علمه.

وقال إبراهيم النخعي: ما خلَّف سعيد بن جبير بعده مثله.

وقال خصيف : كان أعلمهم بالقرآن مجاهد، وأعلمهم بالحج عطاء، وأعلمهم بالحلال والحرام طاوس، وأعلمهم بالطلاق سعيد بن المسيب، وأجمعهم لهذه العلوم سعيد بن جبير.

وقال علي بن المديني: ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير. قيل: ولا طاوس قال: ولا طاوس ولا أحد.

وقال عبد الله بن مسلم: كان سعيد بن جبير إذا قام إلى الصلاة كأنه وتد.

وقال القاسم بن أبي أيوب الأعرج : كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش.

وعن جعفر بن أبي المغيرة قال: كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ يعني بذلك سعيد بن جبير.

وكان سعيد ـ رحمه الله ـ مجاب الدعوة.

قال أصبغ بن زيد: كان لسعيد بن جبير ديك يقوم إلى الصلاة إذا



صاح، فلم يَصِحْ ليلة من الليالي، أصبح سعيد ولم يصل. قال: فشق ذلك عليه، فقال له: ما له؟ قطع الله صوته. قال: ما سمع ذاك الديك يصيح بعدها. قالت له أمه: أي بني لا تدع على شيء بعدها.

وقال داود بن أبي هند: لما أخذ الحجاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولاً، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبين لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها، قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء.

وقال أبو القاسم هبه الله الطبري : هو ثقة إمام حجة على المسلمين.

وقال أشعث بن إسحاق: كان يقال: سعيد بن جبير جهبذ العلماء.

وقال خلف بن خليفة : حدثنا بوابُ الحجاج قال: رأيت رأس سعيد ابن جبير بعدما سقط إلى الأرض يقول : لا إله إلا الله.

وعن خلف عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، لما بان رأسه قال: لا إله إلا الله، لا إله إلا الله. ثم قالها الثالثة فلم يتمها.

هذا هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الكوفي. ووالبة هو ابن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة.

عاش رحمه الله في كنف الصحابة الكرام، وكان ذا همة عالية وشغف بطلب العلم فلازم علماء الصحابة فأخذ عنهم العلم، وروى عنهم حديث رسول الله ﷺ وهم أنس بن مالك والضحاك بن قيس الفهري وعبد الله

ابن الزبير وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مغفل وعدي بن حاتم وعمرو بن ميمون الأودي وأبو سعيد الخدري وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مسعود الأنصاري وأبو موسى وأبو هريرة وعائشة. ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ.

ويعد ابن جبير أكبر تلامذة حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس فنبغ نبوغاً فائقًا في التفسير وعلوم القرآن خاصة. الأمر الذي جعل أستاذه ومعلمه ابن عباس إذا سئل عن مسألة كان يقول للسائل: أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ فيحيل سائله إلى تلميذه النجيب.

حدَّث الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ﴾ قال : إذا عمل في أرض بالمعاصي فاخرجوا.

وعنه في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ قال : اذكروني بطاعتي، أذكركم بمغفرتي.

وعنه في قوله تعالى : ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ قال: الأيدي: القوة في العمل، والبصر فيما هم فيه من أمر دينهم.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ قال : يعطون ما يعطون وقلوبهم وجلة، يخافون ما بين أيديهم من الموقف والحساب.

وكان يقول رحمه الله : إن أفضل الخشية أن تخشى الله خشية تحول بينك وبين معصيته، وتحملك على طاعته، فتلك هي الخشية النافعة.

والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر

لـه وإن كثر منه التسبيح وتلاوة القرآن.

قيل لسعيد بن جبير: من أعبد الناس؟ قال: رجل اقترف من الذنوب، فكلما ذكر ذنبه احتقر عمله.

وقال لـه الحجاج: ويلك. فقال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

وعـن جعفـر عـن سعيد قال: من عطس عنده أخوه المسلم فلم يشمته كان ديناً يأخذه به يوم القيامة.

وقال سعيد: لأن أنشر علمي أحب إليّ من أن أذهب به إلى قبري.

وقـال لابـنه عـبد الملـك: أظهـر الـيأس مما في أيدي الناس، فإنه غناء، وإياك وما يعتذر منه، فإنه لا يعتذر من خير.

وقـال: لأن أضـرب علـى رأسـي أسـواطاً أحـبُّ إلـيَّ مـن أن أتكلم والإمام يخطب يوم الجمعة.

وحـدَّث ضرار بن مرة الشيباني عن سعيد بن جبير قال : التوكل على الله جماع الإيمان.

وعـن أبـي سـنان يحـدث عن سعيد بن جبير أنه كان يدعو: اللهم إني أسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك.

وعـنه قـال: لدغـتني عقرب، فأقسمت عليَّ أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ وكرهت أن أحنِّثها.

وقـال موسـى بن رافع: دخلت على سعيد بن جبير وقد أخذه صداع شـديد، فقـال لـــه رجل ممن عنده: هل لك أن نأتيك برجل يرقيك من هذه

الشقيقة؟ قال رحمه الله: لاحاجة لي في الرقى.

وكان يقول رحمه الله: لو فارق ذكر الموت قلبي لخشيت أن يفسد عليَّ قلبي.

وحدَّث عمر بن ذر قال: قرأت كتاب سعيد بن جبير: اعلم أن كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة.

وعن هلال بن خباب قال: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب، أو هلك علماؤهم.

وعن هشام قال سعيد: إنما الدنيا جمعة من جمع الآخرة.

وقال رحمه الله : إني لأزيد في صلاتي من أجل ابني هذا. أي رجاء أن يحفظ فيه.

وعن عمر بن ذر قال كتب سعيد بن جبير إلى أبي كتاباً أوصاه فيه بتقوى الله وقال: يا أبا عمر إن بقاء المسلم كل يوم غنيمة. وذكر الفرائض والصلوات وما يرزقه الله من ذكره.

وعن أبي حريز : أن سعيد بن جبير قال: لا تطفئوا أُسرُجَكُم ليالي العشر ـ تعجبه العبادة ـ يقول: أيقظوا خدمكم يتسحرون لصوم يوم عرفة.

وقال هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة. قال: فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا حتى بلغ، فلما بلغ جلس فلم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا، وكان كثير الذكر لله ـ عز وجل ـ.

وقال نصيف: رأيت سعيد بن جبير صلى ركعتين خلف المقام قبل صلاة الصبح. قال: فأتيته فصليت إلى جنبه، وسألته عن آية من كتاب الله

فلم يجبني. فلما صلى الصبح قال: إذا طلع الفجر فلا تتكلم إلا بذكر الله حتى تصلي الصبح.

وعن ابن شهاب قال: كان سعيد بن جبير يصلي العتمة في رمضان ثم يرجع فيمكث هنيهة ثم يرجع فيصلي بنا ست ترويحات، ويوتر بثلاث ويقنت بقدر خمسين آية.

وقال القاسم بن أيوب: سمعت سعيد بن جبير يردد هذه الآية في الصلاة بضعاً وعشرين مرة: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ولد سعيد بن جبير ـ رحمه الله تعالى سنة ٣٨هـ وقد قتل في سنة ٩٥.

فعن عمر بن سعيد ـ وهو ابن أبي حسين ـ قال: دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعي ليقتل، فجعل ابنه يبكي فقال سعيد لابنه: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟.

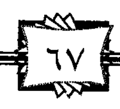
كان رحمه الله أسود اللون، أبيض الرأس واللحية.

فعن أيوب قال: سئل سعيد بن جبير عن الخضاب بالوسمة فكرهه، وقال: يكسو الله العبد النور في وجهه ثم يطفئه بالسواد.

وسئل سعيد ـ رحمه الله ـ عن القبلة للصائم؟ قال: قيل: إنه لبريد سوء.

وعن إسماعيل بن عبد الملك قال: سألت سعيد بن جبير عن فريضة من فرائض الجد، فقال: يا ابن أخي إنه كان يقال: من أحب أن يتجرأ على جراثيم جهنم فليتجرأ على فرائض الجد.

وعن أيوب قال: قام سعيد بن جبير يوماً من مجلسه فسألته عن



حديث فقال: ليس كل حين أحلب فأشرب.

وعن عثمان بن مردويه قال: كنت مع وهب بن منبه وسعيد بن جبير يوم عرفة بنجيل ابن عامر، فقال وهب لسعيد: أبا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه، فقال له وهب: إن من قبلكم كان إذا أصاب أحدهم بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء أعده بلاء.

ولقد ابتلى الله العباد والبلاد بالحجاج بن يوسف فأعمل فيهم بالسيف، ونشر بين الناس الرعب والفزع والخوف، وسفك الدم الحرام، وتجرأ على الله ـ تعالى ـ، وتعدى حدوده، فامتلأت قلوب العباد رهبة منه وخشية من عقوبته وسطوته وجبروته.

ثم قدر الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تمرد على الحجاج أحد قوّاده وهو عبد الرحمن بن الأشعث فقد سيّر الحجاج قائده ابن الأشعث بجيش ليغزو رتبيل ملك الترك في بلاده ما وراء سجستان. وكان ابن الأشعث معروفا بشجاعته وبسالته وقوته وبالفعل تم له ـ بفضل الله ـ فتح هذه البلاد والنصر على رتبيل فأرسل ابن الأشعث خُمس الغنائم إلى الحجاج ليودعها في بيت مال المسلمين، واستأذنه في التوقف عن القتال ريثما يتبين له أمر تلك البلاد، ويقف على معالمها ومداخلها ومخارجها حتى لا يعرض جيشه لصعوبات ومواقف حرجة قد تؤدي به في النهاية إلى الهزيمة والهلكة. فاشتاط الحجاج غيظا واعتبر ذلك منه تمردًا على أوامره أو خنوعاً وخوفاً

وجبناً. وكتب الحجاج لابن الأشعث كتاباً يهدده وينذره ويلوح عليه باللائمة والنقمة فغضب لذلك ابن الأشعث وانتهزها فرصة خاصة وأن الجيش ناقم على الحجاج غير راض عنه وعن حكومته ولا عن سياسته. فاستشارهم ابن الأشعث فيما يفعل بعد أن أطلعهم على الكتاب فصادف ميلاً في قلوبهم وحانت الفرصة التي يتخلصون من حكمه وبطشه وجبروته فدعوا ابن الأشعث إلى الخروج عليه، ولما استوثق ابن الأشعث من رغبتهم هذه أخذ منهم البيعة على ذلك ، فبايعه الجند على قتال الحجاج. ودارت بينهما معارك طاحنة، كان النصر فيها حليفا لابن الأشعث فاستولى على سجستان وأكثر بلاد فارس مما شجع ابن الأشعث على مواصلة حربه وقتاله وتخليص الكوفة والبصرة من بطش الحجاج وعتوه، ولكن مالت كفة النصر وأصبحت من نصيب الحاكم الظالم الغشوم الحجاج بن يوسف الثقفي.

وانهزم ابن الأشعث هزيمة منكرة، فر على إثرها لينجو بنفسه واستسلم الجيش المتمرد وأمر الحجاج بتجديد البيعة له والانطواء تحت عباءته فاستجاب الكثير وفر البعض، وكان من أمر الذين استجابوا له واستسلموا أن خيَّرهم الحجاج بين أمرين: أحلاهما مر وأخفهما تأباه النفس الأبية وتلفظه الفطرة السوية، خيَّرهم الحجاج بين أن يشهدوا على أنفسهم بالكفر بنقض البيعة لوالي أمير المؤمنين وبين أن يُقْتَلُوا. فاختار بعضهم القتل على أن يتكلـ [illegible] ـر، وبعضهم استعمل التَّقيَّة وأخذ بالرخصة وشهد على نفسه بالكمر درس واضطرارًا.

ونجَّا الله سعيد بن جبير من هذه الورطة فكان ممن فر واختفى عن أعين الحجاج عشر سنوات، ولكن قدر الله لابد نافذ. فعندما تولى خالد بن عبد الله القَسْري ولاية مكة من قبل الحجاج، وكان سيئ السيرة، فخاف أصحاب سعيد على سعيد فألحوا عليه بالفرار والخروج من مكة، ولكن سعيد أبى الخروج وقال لأصحابه:

والله لقد استحييت من الله مما أفر، ولا مفر من قدر الله.

وكان والي المدينة من قبل الحجاج عثمان بن حيان بدل عمر بن عبد العزيز فجعل يبعث من بالمدينة من أصحاب ابن الأشعث من العراق إلى الحجاج في القيود، فتعلم منه خالد بن عبد الله القسري فعين من عنده من مكة: سعيد من جبير وعطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبر وعمرو بن دينار وطلق بن حبيب. فبعث خالد بهؤلاء إلى الحجاج، ثم عفا عن عطاء وعمرو بن دينار، لأنهما من أهل مكة وبعث بأولئك الثلاثة. فأما طلق فمات في الطريق قبل أن يصل، وأما مجاهد فحبس فما زال في السجن حتى مات الحجاج. وأما سعيد بن جبير ذلك العابد القانت التقي الورع الطاهر، وصل مدينة واسط وهو مقيد في الأغلال، فأدخلوه على الحجاج، وهو ثابت القلب، هادئ النفس، رابط الجأش، قوي الحِجَاج، فصيح اللسان، لم يتزعزع، ولم يهن، راسخ رسوخ الجبال، دار بينهما حوار طويل يكشف عن عظمة رجل وحسن توكله على ربه وقوة إيمانه وصبره ويقينه، رجل فريد لم تلن له قناة ولم يفت في عضده تهديد أو

وعـيد فأقـبل علـى عـدوه بمـا يسوؤه وهو في قبضته والسيف مصلت على رقبته فلم يعبأ به وهو يعلم أنه مقتول لا محالة.

وعن الحسن، قال: لما أُتي الحجَّاج بسعيد بن جبير، قال: أنت الشقي ابن كسير؟ قال: بل أنا سعيد بن جبير، قال: بل أنت الشقي ابن كسير، قال: كانت أمي أعرف باسمي منك. قال: ما تقول في محمدٍ؟ قال: تعني النبي ﷺ. قال: نعم، قال: سيد ولد آدم النبي المصطفى خير من بقي وخير من مضى، قال: فما تقول في أبي بكر؟ قال: الصديق خليفة الله مضى حميداً وعاش سعيداً، مضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغير ولم يبدل، قال: فما تقول في عمر؟ قال: عمر الفاروق خيرة الله وخيرة رسوله، مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغير ولم يبدل، قال: ما تقول في عثمان؟ قال: المقتول ظلماً المجهز جيش العسرة، الحافر بئر رومة، المشتري بيته في الجنة، صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه، زوَّجه النبي بوحي من السماء، قال: فما تقول في عليٍّ؟ قال: ابن عم رسول الله ﷺ، وأول من أسلم وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين، قال: فما تقول في معاوية؟ قال: أنت أعلم ونفسك، قال: بت بعلمك، قال: إذاً يسوؤك ولا يسرك، قال: بت بعلمك، قال: اعفني، قال: لا عفا الله عني إن أعفيتك، قال: إني لأعلم أنك مخالف لكتاب الله ـ تعالى ـ تري من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهي تقحمك الهلكة، وسترد غداً فتعلم، قال: أما والله لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدا قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك، قال: إذا تفسد عليَّ دنياي وأفسد عليك آخرتك، قال: يا غلام، السيف والنطع، قال: فلما ولى ضحك، قال: أليس قد بلغني أنك لم

تضحك؟ قال: وقد كان ذلك، قال: فما أضحكك عند القتل؟ قال: من جرأتك على الله ومن حلم الله عنك، قال: يا غلام اقتله، فاستقبل القبلة وقال: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فصرف وجهه عن القبلة، قال ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ قال: اضرب به الأرض، قال ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ قال: اذبح عدو الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم.

وقبل أن ينزل السيف على رقبة سعيد دعا ربه قائلاً: اللهم لا تسلط الحجاج على أحد بعدي.

وسقطت رأس سعيد على الأرض، الرأس التي كانت تحوي علوماً كثيرة وتضم تفسير كلام رب العالمين سقطت على الأرض، وذكر أهل التاريخ أن رأسه هللت ثلاث مرات. لا إله إلا الله. يفصح في الأوليين ولم يفصح في الثالثة.

ومات سعيد الإنسان والجسد ولكن لم تمت ذكراه ولم يمت اسمه وعلمه وفقهه ومات أيضا الحجاج بعده بقليل شر ميتة فاشتدت عليه آلام المرض، وغصص الموت فكان يهب مذعورًا وهو يقول. ما لي ولسعيد بن جبير. ويكررها. حتى أهلكه الله وخلَّص العباد والبلاد من شره وطغيانه، ورؤي الحجاج في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني الله بكل امرئ قتلة واحدة وقتلني بسعيد بن جبير سبعين قتلة.

ولعل في هذا درساً للدعاة إلى الله أن يثبتوا في وجوه الطغاة ولا يهنوا

ولا يحزنوا ويسطرون صفحات مشرقة في تاريخ أمتهم وكفاحهم ضد الظالمين الحاقدين المتمردين على شرع الله وحكمته.

ويكون في ذلك درس أيضا لأولئك البغاة الطغاة الظلمة بأن نهايتهم إلي الله رب العالمين، وأنهم موقوفون بين يديه للحساب فلا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أخذوا بها وندموا عليها يوم لا ينفع الندم. و﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥٢]، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الروم:٥٧].

مصادر ترجمته :

١- حلية الأولياء (٤/ ٣٠١ - ٣٤٢ رقم ٢٧٦).

٢- السير (٤/ ٣٢١ - ٣٤٢ رقم ١١٦).

٣- تهذيب الكمال (١٠/ ٣٥٨ - ٣٧٦ رقم ٢٢٤٥).

٤- الطبقات الكبرى (٦/ ٢٦٧ - ٢٧٧ رقم ٢٣١٧).

٥- صفوة الصفوة (٣/ ٥٢ - ٥٨ رقم ٤١١).

٦- وفيات الأعيان (٢/ ٣٧١ - ٣٧٤ رقم ٢٦١).

٧- البداية والنهاية (٩/ ١٠٢ - ١٠٦).

٨- شذرات الذهب (١/ ٣٨٢ - ٣٨٦).

٩- تهذيب التهذيب (٢/ ٩-١٠).

٥ ـ عطاء بن أبي رباح
فقيه الحرم والبطاح

عن عمر بن سعيد عن أمه؛ أنها رأت النبي ﷺ في منامها فقال لها: سيد المسلمين عطاء بن أبي رباح.

وعن عاصم الثقفي قال: سمعت أبا جعفر يقول للناس وقد اجتمعوا عليه: عليكم بعطاء هو والله خير لكم مني.

قال عمرو بن دينار ومجاهد وغيرهما من أهل مكة: لم يزل شأننا متشابها متناظرين حتى خرج عطاء بن أبي رباح إلى المدينة، فلما رجع إلينا استبان فضله علينا.

وقال عبد العزيز بن أبي رباح عن ربيعة : فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

وعن قتادة قال: إذا اجتمع لي أربعة لم التفت إلى غيرهم ولم أُبالِ من خالفهم: الحسن وسعيد بن المسيب وإبراهيم وعطاء. قال: هؤلاء أئمة الأمصار.

وعن إسماعيل بن أمية: كان عطاء يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد.

وعن أبي حنيفة النعمان قال: ما رأيت فيمن لقيت أفضل من عطاء ابن أبي رباح.

وعن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ما رأيت مفتيا خيراً من عطاء بن أبي رباح، إنما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر، وهم

يخوضون، فإن تكلم أو سئل عن شيء أحسن الجواب.

وقال الأوزاعي : مات عطاء بن أبي رباح يوم مات. وهو أرضى أهل الأرض عند الناس، وما كان يشهد مجلسه إلا سبعة أو ثمانية.

وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل: ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاوس ومجاهد.

وقال يحيى بن سعيد عن ابن جريج: كان المسجد فراش عطاء عشرين سنة، وكان من أحسن الناس صلاة.

هذا هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح أسلم ـ وقيل سالم ـ بن صفوان مولى بني فهر أو جُمَع المكي. وقيل : إنه مولى أبي ميسرة الفهري من مولدي الجَنَدِ. كان من أجلاء الفقهاء وتابعي مكة وزهادها، سمع جابر بن عبد الله الأنصاري وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وخلقاً كثيراً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ. وروى عنه عمرو بن دينار والزهري وقتادة ومالك بن دينار والأعمش والأوزاعي وخلق كثير ـ رحمهم الله تعالى ـ ، وإليه وإلى مجاهد انتهت فتوى مكة في زمانهما.

قال قتادة: أعلم الناس بالمناسك عطاء.

وقال إبراهيم بن عمر بن كيسان: أذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج مناديا يصيح : لا يفتي الناس إلا عطاء بن أبي رباح. فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبي نجيح.

وحكي عن وكيع قال: قال لي أبو حنيفة النعمان بن ثابت: أخطأت

في خمسة أبواب من المناسك بمكة فعلمنيها حجَّام، وذلك أني أردت أن أحلق رأسي، فقال لى: أعربي أنت؟ قلت : نعم، وكنت قد قلت له: بكم تحلق رأسي؟ فقال: النسك لا يشارط فيه، اجلس. فجلست منحرفاً عن القبلة، فأومأ لي باستقبال القبلة، وأردت أن أحلق رأسي من الجانب الأيسر. فقال: أدر شقك الأيمن من رأسك، فأدرته، وجعل يحلق رأسي وأنا شاكت فقال لي: كبِّر. فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب فقال: أين تريد؟ قلت: رحلي. فقال: صل ركعتين ثم امض: فقلت: ما ينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم. فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.

كان رحمه الله أسود أعور أفطس أشل أعرج، ثم عمي، مفلفل الشعر.

قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام والناس مجتمعون على رجل فاطلعت فإذا عطاء بن أبي رباح جالس كأنه غراب أسود. وكان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث.

قال أبو هزان: سمعت عطاء بن أبي رباح يقول: من جلس مجلس ذكر كفَّر الله عنه بذلك المجلس عشر مجالس من مجالس الباطل. قال أبو هزان: قلت لعطاء: ما مجلس الذكر؟ قال: مجالس الحلال والحرام، كيف تصلى؟ كيف تصوم؟ كيف تنكح وتطلق وتبيع وتشتري؟.

وعن عمر بن سعيد عن أمه أنها أرسلت إلى ابن عباس تسأله عن شيء، فقال: يا أهل مكة تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء.

وعـن عمـر أيضـاً عـن أمه: قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال: أتجمعون لي يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبي رباح؟!.

وعـن أبـي جعفـر قـال: ما بقي على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج من عطاء.

وعـن عـبد العزيـز بـن أبي حازم عن أبيه قال: ما أدركت أحدًا أعلم بالحج من عطاء بن أبي رباح.

وعن أبي جعفر قال: خذوا من عطاء ما استطعتم.

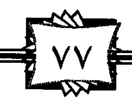
قال أبو حازم الأعرج : فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

وعـن قـتادة قـال: قال لي سليمان بن هشام : هل بالبلد ـ يعني مكة ـ أحـد؟ قلـت: نعـم، أقـدم رجـل في جزيـرة العرب علماً، فقال: من ؟ قلت عطاء بن أبي رباح.

عـن مصـعب بـن حـيان قال: كنت عند عطاء بن أبي رباح فسئل عن شيء؟ فقال: لا أدري نصف العلم. ويقال: نصف الجهل.

قـال عـبد العزيـز بـن رفـيع: سئل عطاء عن شيء ؟ فقال: لا أدري. قيل:ألا تقول برأيك؟ قال: إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي.

قـال يعلـي بن عبيد: دخلنا على ابن سوقة فقال: يا ابن أخي أحدثكم بحـديث لعلـه يـنفعكم فقد نفعني. قال لنا عطاء بن أبي رباح: إن من قبلكم كانـوا يعـدون فضـول الكـلام ما عدا كتاب الله أو أمر بمعروف أو نهي عن منكـر أو أن تـنطق في معيشـتك الـتي لابـد لـك مـنها، أتنكـرون أن عليكم



حافظين كراما كاتبين ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أما يستحي أحدكم لو نشرت صحيفته التي أملي صدر نهاره وليس فيها شيء من أمر آخرته.

وقال ابن جريج عن عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد.

وقال عمر بن ذر: ما رأيت مثل عطاء بن أبي رباح، وما رأيت عليه قميصاً قط، ولا رأيت عليه ثوباً يساوي خمسة دراهم.

قال عطاء: لو ائتمنت على بيت مال لكنت أميناً، ولا آمن على أمة شوهاء.

وعن ابن جريج قال: كان عطاء بعد ما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة وهو قائم لا يزول منه شيء ولا يتحرك.

وقال ابن عيينة لابن جريج: ما رأيت مصليا مثلك. فرد عليه ابن جريج: لو رأيت عطاء.

وعن معاذ بن سعد الأعور قال: كنت جالساً عند عطاء بن أبي رباح فحدث بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه فغضب، وقال: ما هذه الأخلاق؟ وما هذه الطبائع؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به، فأريه أني لا أحسن شيئاً منه.

وقال أحمد بن محمد الشافعي: كانت الحلقة في الفتيا بمكة في المسجد الحرام لابن عباس، وبعد ابن عباس لعطاء بن أبي رباح.

قال ابن جريج : رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده: أمسكوا

واحفظـوا عنى خمسًا: القدر خيره وشره، حلوه ومره من الله ـ تعالى ـ، ليس للعـبد فـيه مشـيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم إلا بحقهـا، وقـتال الفئة الباغية بالأيدي والنعال لا بالسلاح، والشهادة على الخوارج بالضلالة.

عن طلحة بن عمرو عن عطاء في قوله تعالى: ﴿ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قـال: لا يلهـيهم بـيع ولا شـراء عـن مواضـع حقوق الله التي فرضها الله ـ تعالى ـ عليهم أن يؤدوها في أوقاتها.

وعـن عمر بن الورد قال: قال لي عطاء: إن استطعت أن تخلو بنفسك عشية عرفة فافعل.

قـال أبـو حنـيفة: لقـيت عطاء بمكة فسألته عن شيء؟ فقال: من أين أنت؟ قلـت: مـن أهـل الكـوفة قـال: أنـت مـن أهـل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شـيعًا؟ قلـت: نعـم. قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت: ممن لا يسب السلف، ويؤمن بالقدر، ولا يكفر أحدًا بذنب. فقال لي عطاء: عرفت فالزم.

وعـن عـبد الله بـن الوليد الرصافي قال: قلت لعطاء: صاحب قلم إن هـو كـتب عـاش هو وعياله، وإن ترك افتقر؟ قال عطاء: من الرأس؟ قلت: خالـد القسـري. قـال: قـال العـبد الصـالح: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾.

وعـن عـبد الله بن حسان قال: قيل لعطاء: ما أفضل ما أعطي العباد؟ قال: العقل عن الله ـ عز وجل ـ وهو المعرفة بالدين.

قال ابن جريج عن عطاء: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يولد.

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس على السرير وحوله الأشراف وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته ، فلما بصر به عبد الملك قام إليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتق الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين، فإنك وحدك المسئول عنهم، واتق الله فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك. فقال عبد الملك ابن مروان أمير المؤمنين: أفعل يا أبا محمد. ثم نهض عطاء وقام لينصرف فأمسك به عبد الملك وقال له: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ فرد عليه عطاء بعزة نفس استغناء بالله عما في أيديهم فقال له: يا أمير المؤمنين مالي إلى مخلوق حاجة. ثم انصرف عطاء وخرج فقال عبد الملك وهو يرنو إليه بنظرة احترام وإكبار: هذا وأبيك الشرف. هذا وأبيك السؤدد.

وتولى إمرة المؤمنين سليمان بن عبد الملك بن مروان وفي سنة ٩٧هـ عزم أمير المؤمنين سليمان أن يحج بيت الله الحرام وهناك وهو يطوف بالبيت سأل عن مفتي الحرم فأشاروا إليه حيث يصلي فأخذ أمير المؤمنين

ولديه الصغيرين وذهب وجلس بجواره حتى انتهى من الصلاة فإذا بالمفتي شيخ أسود أفطس الأنف مفلفل الشعر كأنه الغراب الأسود. فنظر الصغيران إلى هذا الشيخ الذي ذهب إليه أبوهما أمير المؤمنين وانتظره حتى فرغ من صلاته. فحياه وسلم عليه أمير المؤمنين وجعل يسأله عن مناسك الحج والرجل الأسود يجيبه على كل سؤال إجابة شافية كافية. ولما انتهى أمير المؤمنين من مساءلته قام عنه وانصرف بينما وهم يمشون إذ سمعوا المنادي ينادي في الناس: ألا أيها الناس لا يفتي في هذا المقام إلا عطاء بن أبي رباح، فإن لم يكن فعبد الله بن أبي نجيح.

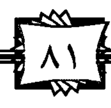
الأمر الذي لفت نظر الفتيين فقالا لأمير المؤمنين: يا أبت لماذا لم تأت وتستفت عطاء بن أبي رباح أو عبد الله بن أبي نجيح؟ ولا تأتي هذا الرجل الأسود الذي لم يوفك حقك من التعظيم والتبجيل !.

فقال أمير المؤمنين لولديه الصغيرين: هذا الذي استفتيته، ورأيتما ذلنا بين يديه هو عطاء بن أبي رباح.

فتعجب الولدان واستنكرا ما حدث فقال لهما أمير المؤمنين: يا بني تعلموا العلم فبه يشرف الوضيع ويحصل العبيد على مراتب الملوك.

نعم كان عطاء ـ رحمه الله ـ عبداً مملوكاً لامرأة من أهل مكة. وبالعلم أتاه الملوك وجلسوا بين يديه يتعلمون منه، وصدق الله العظيم القائل: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾.

قال أبو نعيم في الحلية: ومنهم فقيه الحرم والبطاح، مفترش الجنبين



واطراح، أبو محمد عطاء بن أبي رباح.

حج عطاء سبعين حجة وعاش مائة عام.

مصادر ترجمته :

١- حلية الأولياء (٣/ ٣٥٦ - ٣٧٤ رقم ٢٤٤).
٢- سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨ - ٨٨ رقم ٢٩).
٣- تهذيب الكمال (٢٠/ ٦٩ - ٨٥ رقم ٣٩٣٣).
٤- الطبقات الكبرى (٦/ ٢٠ - ٢٢ رقم ١٥٤٢).
٥- وفيات الأعيان (٣/ ٢٦١ - ٢٦٣ رقم ٤١٩).
٦- تهذيب التهذيب (٣/ ١٠١ - ١٠٣).
٧- شذرات الذهب (٢/ ٦٩ - ٧١).
٨- البداية والنهاية (٩/ ٣١٠ - ٣١١).
٩- المنتظم (٧/ ١٦٥ - ١٦٨ رقم ٦١٥).
١٠- صفة الصفوة (٢/ ٥٢٥ - ٥٢٧ رقم ٢٠٩).

٦ ـ عروة بن الزبير
الرجل الصالح

عن الزهري قال: كان عروة بحرًا لا ينزف ولا تكدره الدلاء.

وقال عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن : دخلت مع أبي المسجد، فرأيت الناس قد اجتمعوا على رجل، فقال أبي: انظر من هذا؟ فنظرت فإذا هو عروة، فأخبرته وتعجبت. فقال: يا بني لا تعجب! لقد رأيت أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه.

وقال عمر بن عبد العزيز : ما أجد أعلم من عروة بن الزبير، وما أعلمه يعلم شيئاً أجهله.

وعن الزهري قال : سألت ابن صعير عن شيء من الفقه. فقال : عليك بهذا. وأشار إلى ابن المسيب، فجالسته سبع سنين، لا أرى أن عالما غيره، ثم تحولت إلى عروة، ففجرت به ثبج بحر.

وعن ابن شوذب قال: كان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله، وكان وقع فيها الآكِلَةُ فنشرت، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه، ثم يأذن للناس فيه، فيدخلون يأكلون ويحملون.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: عروة بن الزبير تابعي ثقة، رجل صالح، لم يدخل في شيء من الفتن.

وقال ابن سعد : كان عروة ثقةً ثبتاً مأموناً كثير الحديث فقيهاً عالماً.



وقال هشام : والله ما تعلمنا جزءًا من ألفي جزء من حديث أبي.

وعن الزهري قال: كنت آتي عروة، فأجلس ببابه مليًّا، ولو شئت أن أدخل دخلت، فأرجع وما أدخل إعظامًا له.

وقال ابن شهاب : كان إذا حدثني عروة ثم حدثتني عمرة صدق عندي حديثُ عمرة حديثَ عروة. فلما استخبرتهما ـ وفي رواية : فلما تبحرتهما ـ إذا عروة بحر لا ينزف.

وعن هشام بن عروة قال : ما سمعت أحدًا من أهل الأهواء يذكر عروة إلا بخير.

وعنه أيضاً : أن أباه كان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر ويوم النحر، ومات وهو صائم.

عن هشام بن عروة أنه أباه كان يقول : رب كلمة ذلٍّ احتملتها أورثتني عزًّا طويلاً.

وعنه أيضاً عن أبيه عروة أنه قال : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات، فإن الحسنة تدل على أختها، وإن السيئة تدل على أختها.

وعنه قال : قال عروة لبنيه : يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه ـ عز وجل ـ ما يستحي أن يهديه إلى كريمه. إن الله ـ عز وجل ـ أكرم الكرماء، وأحق من اختير إليه.

وعنه أيضاً قال عروة : يا بني تعلموا، فإنكم إن تكونوا صغراء قوم

عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل.

وقال : الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.

وقال أيضًا : مكتوب في الحكمة: لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا، تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطاء.

وقال رحمه الله : إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة، وليصطبر عليها. قال: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [طه : ١٣١].

وقال أيضًا : ما بر والده من شد الطرف إليه.

وقال : ما حدثت أحدًا بشيء من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ضلالة عليه.

هكذا كان عروة ـ رحمه الله تعالى ـ وعاء علم يحمل بين جنباته فقهًا وفهمًا وحكمة ودراية، أحكم الأصول، وتمكن من الفروع فجاد بالخير على من حوله ونفع الله به خلقاً كثيرًا، وقد استجاب الله دعاءه وحقق له رغبته ورجاءه يوم أن اجتمع هو وأخواه مصعب وعبد الله ابنا الزبير ومعهم عبد الله بن عمر في حجر الكعبة في ليلة من ليالي شبابهم وفتوتهم وزهرة أعمارهم فقالوا: ليتمن كل منكم أمنية ويدعو الله أن يحققها لعل الله أن يستجيب لدعائكم.

فقال عبد الله بن الزبير: أما أنا فأتمنى الخلافة. وقال عروة: أتمنى أن



يـؤخذ عـني العلـم. وقـال مصـعب: أمـا أنا فأتمنى إمرة العراق والجمع بين عائشـة بـنت طلحة وسكينة بنت الحسين. وأما ابن عمر فقال: أتمنى المغفرة. فـنالوا مـا تمـنوا، ولعـل ابـن عمـر قـد غفـر له. هكذا ورد في السير للذهبي والحلـية لأبـي نعـيم بيـنما ذكـر ابن الجوزي في صفة الصفوة الموضع الذي يخص عروة فقط.

ولكـن قـال ابـن خلكـان في وفـيات الأعيان: وذكر العتبي أن المسجد الحـرام جمـع بـين عـبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير وأخويه مصعب وعـروة المذكـور أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبي سفيان، فقال بعضهم: هلم فلنتمـنه، فقـال عـبد الله بـن الـزبير: منيتي أن أملك الحرمين وأنال الخلافة. وقـال مصعب: منيتي أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتي قريش سكينة بنت الحسـين وعائشـة بـنت طلحـة. وقال عبد الملك بن مروان : منيتي أن أملك الأرض كلـها وأخلف معاوية. فقال عروة: لست في شيء مما أنتم فيه، منيتي الـزهد في الدنـيا والفـوز بالجـنة في الآخـرة، وأن أكـون ممن يُروى عنه هذا العلـم. قـال: فصـرف الدهر من صرفه إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله. وكـان عـبد الملـك لـذلك يقـول: مـن سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى عروة بن الزبير.

هـذا هـو عـروة ابـن ـ حـواري رسـول الله ﷺ ـ الزبير بن العوام بن خـويلد بـن أسـد بـن عـبد العـزى بن قصي بن كلاب. وأمه ذات النطاقين أسمـاء بنت أبي بكر الصديق وخالته عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهم ـ.

وجده لأمه صديق هذا الأمة ـ رضي الله عنه ـ. وجدته لأبيه : صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

قال المزيُّ في تهذيبه : فولد عروة بن الزبير : عبد الله وعمر والأسود وأم كلثوم وعائشة وأم عمر. وأمهم فاختة بنت الأسود ... ويحيى بن عروة ومحمدًا وعثمان وأبا بكر وعائشة وخديجة. وأمهم أم يحيى بنت الحكم... وهشام بن عروة وصفية لأم ولد. وعبيد الله بن عروة. وأمه أسماء بنت سلمة بن عمر ... ومصعب بن عروة وأم يحيى. وأمهما أم ولد اسمها واصلة. وأسماء بنت عروة. وأمها سودة بنت عبد الله بن عمر.

كانت أمنية عروة بن الزبير المتمثلة في طلب العلم ونهمه له وحرصه عليه وانقطاعه له فتفرغ لطلب العلم وأخذه من أفواه أصحاب رسول الله ﷺ فراح يتتبع مجالسهم ويؤم حلقاتهم ويدرس على أيديهم وسمع من كثير من الصحابة الذين عاصرهم عروة وروى عنهم يزيد عددهم على الخمسين وأخذ كثيراً عن خالته عائشة أم المؤمنين، حتى أصبح من فقهاء المدينة الذين يعوَّل عليهم في الفتيا وترد إليه المشكلات حتى إن عمر بن عبد العزيز لما تولى إمرة المدينة استعان به على الحق.

وكان عروة ـ رحمه الله وطيَّب ثراه ـ يجمع بين العلم النافع والعمل الصالح فكان يصوم الدهر إلا يوم الفطر ويوم الأضحى.

يقول هشام بن عروة: كنا نسافر مع عروة فنصوم ونفطر، فلا يأمرنا بالصيام ولا يفطر هو.



ولما أتاه الموت أتاه وهو صائم. وألح عليه أهله أن يفطر شفقة عليه وتخفيفاً لمعاناة المرض وسكرات الموت، ولكنه ـ رحمه الله ـ آثر أن يموت صائمًا رجاء أن يفطر على شراب من شراب الجنة.

وكان رحمه الله يقرأ كل يوم ربع القرآن نظرًا من المصحف فإذا جن عليه الليل وخلا كل حبيب بحبيبه وكل خل بخليله. خلى عروة بربه قائماً بين يديه يرتل ما قرأه بالنهار عن ظهر قلب في صلاته في الليل وظل هذا دأبه وهذا ديدنه إلا يوم أن قطعت رجله لمرض أصابه فيها.

وكان يحسن خشوعها وخضوعها ويطيل فيها يسأل ربه ويتضرع بين يديه ولما رأى أحد المصلين صلى صلاة خفيفة قال له:

يا ابن أخي أما كانت لك عند ربك ـ جل وعز ـ حاجة! و الله إني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي كل شيء حتى الملح.

وكان رحمه الله كريما جوادًا، وكان له بستان فيه من أنواع الفواكه والرطب فإذا حان وقت نضج الثمار يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ما لذ وطاب، ويحملون معهم إلى بيوتهم وهو سخي النفس كريم الشمائل، وكان كلما دخل بستانه تذكر أصحاب الجنة وكيف كان موقفهم؟ وكيف كان مآلهم؟ فيحمد ربه ويشكره على جزيل إنعامه وعميم فضله وإحسانه فيردد قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف ٣٩].

سافر عروة بن الزبير ومعه ابنه محمد بن عروة إلى الشام بدعوة خليفة

المسلمين الوليد بن عبد الملك، ولكن قدّر الله في هذه السفرة أمرًا عظيمًا وشاقا لا يصمد له إلا ذوو الإيمان الكبير واليقين العظيم والصبر الجميل والجلد والقوة.

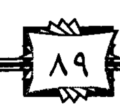
فها هو عروة يصاب بداء الآكلة في رجله فيعرض عليه قطعها قبل أن يسرى المرض في سائر جسده وأصبح أمام أمر واقع لا مندوحة له فيه. فلابد من قطع الساق ولكن كيف يتم هذا الأمر؟! ولم يكن عندهم من تقدم الطب ما هو عندنا اليوم.

فتخيل أخي المسلم لو أن أحدنا ـ عافاني الله وإياك ـ أصيب بشوكة دخلت في لحمه أو إبرة أو مسمار دخل في اللحم ولم ينفذ إلى العظم كيف يكون حالنا؟ فما بالك لو نفذ المسمار في العظم كيف يكون الحال؟ وكيف يكون الخطب؟ وكم تكون المصيبة والداهية والكارثة؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

تقطع رجل عروة وهو يقظ يشعر بكل شيء، ويرى بعينيه ما يحدث في رجله السكين يقطع اللحم ثم المنشار ينشر العظم. لم يتأوه ولم يضطرب ولم يحرك عضوًا عن عضو.

عرض عليه أن يسقيه الطبيب شيئًا يزول فيه عقله فلا يشعر بألم القطع، ولكنه ـ رحمه الله ـ قال للطبيب: امضِ لشأنك، ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً ويزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه.

لم يزد عروة على أن يقول: لا إله إلا الله والله أكبر. حتى خلص من النشر وقطع الساق. فلم يسمع له حسٌّ ولم يتضوَّر وجهه. وجعل يقول ـ



رحمه الله ـ: لئن أخذتَ لقد أبقيت، ولئن ابتليتَ لقد عافيتَ.

قال الوليد بن عبد الملك: ما رأيت شيخا قط أصبر من هذا.

ونزل به بلاء آخر في ذلك الوقت. دخل ابنه محمد الذي كان معه في سفره هذا ـ وهو أحب أبنائه إليه ـ. دخل محمد إصطبل فركضته بغلة فمات منها، وعلم عروة بموت ابنه محمد فتلقى الخبر بصبر عجيب وجلد فريد، فاسترجع وصبر واحتسب.

وقدم تلك السنة على الوليد بن عبد الملك قوم من بني عبس فيهم رجل ضرير فسأله الوليد عن عينيه فقال: يا أمير المؤمنين بت ليلة في بطن واد، ولا أعلم عبسيًّا يزيد ماله على مالى، فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل وولد ومال، غير بعير وصبي مولود. وكان البعير صعبًا فندَّ، فوضعت الصبيَّ واتبعت البعير، فلم أجاوز إلا قليلاً حتى سمعت صيحة ابني ورأسه في فم الذئب وهو يأكله. فلحقت البعير لأحبسه فنفحني برجله على وجهي فحطمه وذهب بعيني، فأصبحت لا مال لي ولا أهل ولا ولد ولا بصر. فقال الوليد: انطلقوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم منه بلاء.

ورجع عروة إلى المدينة وخلف في الشام ابنه محمدًا بعد أن واراه في التراب، وخلف أيضاً رجله هناك وعندما دخل وادي القرى وفي المكان الذي أصابته الآكلة فيه، قال: ﴿لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾.

ولما دخل المدينة أتاه الناس يسلمون عليه ويعزونه في رجله وولده.

فبلغه أن بعض الناس قالوا: إنما أصابه هذا بذنب عظيم أحدثه. فأنشد عروة في ذلك. والأبيات لمعن بن أوس :

لعمركَ ما أهويتُ كفي لريبةٍ ... ولا حملتني نحو فاحشةٍ رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ... ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
ولست بماشٍ ما حييت لمنكر ... من الأمر لا يمشي إلى مثله مثلي
ولا مؤثرٌ نفسي على ذي قرابة ... وأوثر ضيفي ما أقام على أهلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة ... من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي

تتابع الناس يدخلون على عروة بيته يعزونه ويواسونه فكان من أحسن الناس عزاء له عيسى بن طلحة لما دخل عليه ليعزيه قال عروة لأحد أبنائه: اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها فنظر فقال عيسى بن طلحة: يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق، ولقد بقَّى الله لنا ما كنا نحتاج إليه منك: رأيك وعلمك. فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة فقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرب في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض ـ إن شاء الله تعالى ـ. وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء وعنه غير أغنياء من علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك.

عاش عروة ثماني سنوات برجل واحدة وأتاه الموت وقد بلغ إحدى وسبعين سنة عمرها بالعلم النافع والعمل الصالح والتقوى والإيمان.

أتـاه المـوت وهـو صـائم ورفض أن يفطر عساه أن يكون إفطاره على مائدة من موائد الجنان، بين الحور العين.

مصادر ترجمته :

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٠٠ - ٢٠٨ رقم ١٧١).
٢- سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١ - ٤٣٧ رقم ١٦٨).
٣- تهذيب الكمال (٢٠/ ١١ - ٢٤ رقم ٣٩٠٥).
٤- الطبقات الكبرى (٥/ ١٣٦ - ١٣٩ رقم ٧٢٩).
٥- وفيات الأعيان (٣/ ٢٥٥ - ٢٥٨ رقم ٤١٦).
٦- تهذيب التهذيب (٣/ ٩٢ - ٩٤).
٧- شذرات الذهب (١/ ٣٧٢ - ٣٧٣).
٨- البداية والنهاية (٩/ ١٠٨ - ١١٠).
٩- المنتظم (٦/ ٣٣٣ - ٣٣٤ رقم ٥٣١).
١٠- صفة الصفوة (٢/ ٤٤١ - ٤٤٣ رقم ١٦١).

٧ ـ عامر بن شراحيل (الشعبي)
رأس الناس في زمـانه

عن مكحول قال : ما رأيت أحدًا أعلم من الشعبي.

وعن أبي مجلز قال : ما رأيت أحدًا أفقه من الشعبي؛ لا سعيد بن المسيب ولا طاوس ولا عطاء ولا الحسن ولا ابن سيرين، فقد رأيت كلهم.

وعن أبي حصين قال : ما رأيت أحدًا قط كان أفقه من الشعبي. قلت: ولا شريح. فغضب وقال : إن شريحًا لم أنظر أمره.

وعن أبي بكر الهذلي ، قال لي ابن سيرين: الزم الشعبي، فلقد رأيته يُستفتى وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون.

وقال أيضاً : قدمت الكوفة وللشعبي حلقة عظيمة، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثير.

وقال أبو مجلز : عليك بالشعبي، فإني لم أر مثله.

وقال عاصم بن سليمان : ما رأيت أحدًا كان أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي.

قال محمود بن غيلان: سمعت أبا أسامة يقول: كان عمر في زمانه رأس الناس وهو جامع، وكان بعده ابن عباس في زمانه، وكان بعده الشعبي في زمانه، وكان بعده الثوري في زمانه، ثم كان بعده يحيى بن آدم.

وقال سفيان بن عيينة : عن داود بن أبي هند قال : ما جالست أحدًا أعلم من الشعبي.

وعـن الصـلت بـن بهـرام قـال : مـا بلـغ أحد مبلغ الشعبي، أكثر منه يقول: لا أدري. وقال ابن عون : كان الشعبي إذا جاءه شيء اتقاه.

وقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى : كان إبراهيم صاحب قياس، والشعبي صاحب آثار.

وقال الزهري : العلماء أربعة : ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

وقـال ابـن عيينـة : علماء الناس ثلاثة : ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه.

عـن عبد الملك بن عمير قال: مر ابن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي، فقال: كأن هذا كان شاهداً معنا، ولهو أحفظ لها مني وأعلم.

وقال عاصم الأحول : كان الشعبي أكثر حديثاً من الحسن، وأسنَّ منه بسنتين.

عـن عـبد الله بن أشعث بن سوار عن أبيه قال: لما هلك الشعبي أتيت البصـرة، فـدخلت على الحسن، قلت: يا أبا سعيد هلك الشعبي. قال: إنا لله وإنـا إلـيه راجعـون، إن كـان لقـديم السـن، كـثير العلـم، وإنه لمن الإسلام بمكـان. ثـم أتيت محمد بن سيرين فقلت: يا أبا بكر هلك الشعبي. فقال مثل ما قال الحسن.

وعـن الأصـمعي قـال: اجتمع الشعبي والأخطل عند عبد الملك، فلما خـرجا، قـال الأخطل للشعبي: يا شعبي ارفق بي، إنك تغرف من آنية شتى، وأنا أغرف من إناء واحد.

هـذا هـو عامـر بـن شراحيل الشعبي الكوفي أبو عمرو، أمه كانت من سبي جَلُولاء، ولـد عامـر لسـت سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب، وهـو من شعب همدان. واختلفت الأقوال في سنة وفاته فمنهم من قال سنة ١٠٣ هــ ومـنهم من قال سنة ١٠٤ هـ ومنهم من قال سنة ١٠٥ ومنهم من قـال سنة ١٠٦، ١٠٧ ومن قال إنه مات قبل الحسن البصري بقليل والحسن مـات سـنة ١١٠ بلا خلاف. كان رحمه الله نحيفاً ضئيلاً، لأنه ولد مع أخ لـه توأم فإذا سئل عن نحافته كان يقول: إني زوحمت في الرحم.

ولقد أدرك من أصحاب النبي ﷺ خمسمائة صحابي ـ رضي الله عنهم أجمعـين ـ كمـا حكـى ذلـك عـن نفسه فقال رحمه الله : أدركت خمسمائة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: علي وطلحة والزبير في الجنة.

وقـال أحمـد بـن عـبد الله العجلـي: سمـع مـن ثمانـية وأربعـين مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ والشـعبي أكـبر مـن أبـي إسـحاق بسـنتين، وأبـو إسـحاق أكـبر مـن عـبد الملك بن عمير بسنتين، ومرسل الشعبي صحيح، لا يكاد يرسل إلا صحيحًا.

وقـال أبو بكر بن أبي خيثمة: سمعت يحيى بن معين يقول: إذا حدث الشعبي عن رجل فسماه، فهو ثقة يحتج بحديثه.

وقـال إسـحاق بن منصور عن يحيى بن معين وأبي زرعة وغير واحد: الشعبي ثقة.

تعلـم الشـعبي على يد الصحابة الكرام، ونهل من معين النبوة المباركة

عـن طـريقهم حتى نبغ في العلم وصار إماماً، وصارت أقواله حكما، وتخلَّق بالأخلاق الحسنة والصفات الطيبة فكان حليمًا حكيمًا.

قـال أبـو صـالح أحمـد بـن منصـور المـروزي عن أبي وهب محمد بن مـزاحم: جـاء رجـل إلى الشـعبي فشتمه في ملأ من الناس. فقال الشعبي: إن كنت كاذباً فغفر الله لك، وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي.

وقال مسعر عن محمد بن جحادة: كان الشعبي من أولع الناس بهذا البيت:

ليسـت الأحـلام في حـين الرضـا   إنمـا الأحـلام في حـين الغضـب

ومـن أقـواله الطيـبة : لـيس حسـن الجـوار أن تكـف أذاك عن الجار، ولكن حسن الجوار أن تصبر على أذى الجار.

وقال رحمه الله : العلم أكثر من أن يحصى، فخذ من كل شيء أحسنه.

وقـال أيضـاً : اتقوا الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنهما آفة كل مفتون.

وعـن داود بـن يزيد الأودي قال: قال لي الشعبي: يا أبا يزيد قم معي حتـى أفـيدك، فمشيت معه، وقلت: أي شيء يفيدني ؟ قال: إذا سئلت عما لا تعلم، فقل: الله أعلم به. فإنه علم حسن.

وعـن عيسـى الخـياط عـن الشـعبي قال: لو أن رجلاً سافر من أقصى الشـام إلى أقصـى الـيمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبل من عمره رأيت أن سـفره لم يضع. ولو سافر في طلب الدنيا أو الشهوات إلى خارج هذا المسجد لرأيت سفره عقوبة وضياعًا.

وعـن مالـك بـن مغـول قال عن الشعبي، وقال لـه رجل: أيها العالم! قال: العالم من يخاف الله.

وعـن أبـي إسـحاق، عـن الشـعبي قال: ما ترك أحد في الدنيا شيئاً إلا أعطاه الله في الآخرة ما هو خير له.

وقـال خالـد بـن ديـنار: سـألت الشـعبي عـن المزارعة؟ قال: دع الربا والريبة، وآت ما لا يريبك.

وعـن مجالـد عـن الشـعبي قال: تعايش الناس بالدين زمناً طويلاً حتى ذهـب الـدين، ثم تعايش الناس بالمروءة زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءة، ثم تعـايش الـناس بالحـياء زمـناً طـويلاً حتـى ذهـب الحـياء، ثم تعايش الناس بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيأتي بعد هذا ما هو أشد منه.

وعـن ابـن عـياش عـن الشـعبي قـال: كانـت العرب تقول: إذا كانت محاسـن الـرجل تغلـب مسـاوئه: ذلكـم الـرجل الكامل، وإذا كانا متقاربين ذلكم المتماسك، وإذا كانت المساوئ أكثر من المحاسن فذلكم المتهتك.

وعـن مجالـد عـن الشـعبي قـال: شـهدت شـريحًا وجاءته امرأة تخاصم رجـلاً، فأرسلت عينيها فبكت. فقلت: أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة؟ فقال: يا شعبي إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون.

وعـن إسماعـيل بن أبي خالد قال: سمعت الشعبي يقول: ما ترك عبد مالاً هو فيه أعظم أجرًا من ماله يتركه لولده يتعفف به عن الناس.

وعن مطرف عن الشعبي، قال: من زوَّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

وعـن عطـاء بن السائب عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها.

وعـن أبـي هانـئ المكتب قـال: سـئل عامـر الشعبي عن قتال أهل العراق وأهـل الشـام؟ فقـال: لا يزالون يظهرون علينا أهل الشام. قال عامر: ذلك بأنهم جهلوا الحق واجتمعوا، وتفرقتم. ولم يكن الله ليظهر أهل فرقة على جماعة أبدًا.

قـال مطـرف عـن الشـعبي قـال: البس من الثياب ما لا يزدريك فيه السفاء، ولا يعيبه عليك العلماء.

وعن أشعث عن الشعبي، قال: إني لأدع اللحم مخافة النسيان.

وعن عامر الأحول، عن الشعبي قال: زين العلم حلم أهله.

وعـن مجاهـد ، عـن الشـعبي قـال: مـن اجتـنب مجلس حيه كثر علمه وزكى عمله.

وعـن ابـن أبجـر قال: قال الشعبي: ما حدثوك عن أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم فخذه، وما قالوا برأيهم فَبُلْ عليه.

سـأل عـبد الـرحمن بـن حماد الشعبي عن مسألة فقال لـه: قال فيها عمر بن الخطـاب كـذا، وقال علي بن أبي طالب كذا. فقال عبد الرحمن للشعبي: ما ترى؟ فقال الشعبي: ما تصنع برأيي بعد قولهما، إذا أخبرتك برأيي فَـبُلْ عليه.

عـن صـالح بـن مسلم قال: قال عامر الشعبي: إنما هلكتم أنكم تركتم الآثار وأخذتم بالمقاييس.

وعـن ابـن شـبرمة عـن الشـعبي قـال: إنما سميت الأهواء أهواء لأنها

تهوى بصاحبها في النار.

وعن عمر بن ذر قال: أقبلت أنا وأبي على دار عامر الشعبي فقال له أبي: يا أبا عمرو! قال: لبيك. قال: ما تقول فيما قال فيه الناس من هذين الرجلين؟ قال الشعبي: أي هذين الرجلين؟ قال: علي وعثمان. قال الشعبي: إني والله لغني أن أجيء يوم القيامة خصيمًا لعلي وعثمان ـ رضي الله تعالى عنهما، وغفر لنا ولهما ـ.

وعن إسماعيل بن أبي خالد أن الشعبي قال لرجل كانت له أمة فأسلمت على يديه فقال الشعبي: إسلامها على يديك خير لك مما طلعت عليه الشمس.

عن محمد بن عمران قال: قال رجل للشعبي : إن فلانًا عالمًا. قال الشعبي: ما رأيت عليه بهاء العلم. قيل له: وما بهاؤه؟ قال الشعبي: السكينة، إذا عَلَّم لا يعنف، وإذا عُلِّم لا يأنف.

وعن حماد بن عبد الله قال: سمعت الشعبي يقول: لا تمنعوا العلم أهله فتأثموا، ولا تحدثوا به غير أهله فتأثموا.

وعن أبي الجابية الفرَّاء قال: قال الشعبي: إنا لسنا بالفقهاء، ولكنا سمعنا الحديث فرويناه، ولكن الفقهاء من إذا علم عمل.

وعن ابن عون : كان الشعبي منبسطاً، وكان إبراهيم منقبضًا فإذا وقعت الفتوى انقبض الشعبي وانبسط إبراهيم.

وقال سلمة بن كهيل: ما اجتمع الشعبي وإبراهيم إلا سكت إبراهيم.

وعن الشعبي قال: ما جلست مع قوم مذ كذا وكذا فخاضوا في

حديث إلا كنت أعلمهم به.

وعنه قال: ما مات ذو قرابة لي وعليه دين إلا وقضيت عنه، ولا ضربت مملوكاً لي قط ولا حللت حبوتي إلى شيء مما ينظر الناس.

قال أبو الحسن المدائني في كتاب الحكمة: قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟! قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب.

وعن ابن شبرمة : سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا، ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته، ولا أحببت أن يعيده عليَّ.

وعنه أيضاً قال: سمعت الشعبي يقول: ما سمعت منذ عشرين سنة رجلاً يحدث بحديث إلا أنا أعلم به منه، ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان به عالمًا.

وعن وادع الراسبي، عن الشعبي قال: ما أروي شيئاً أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهرًا لا أعيد.

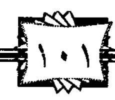
وحكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أيامًا كثيرة حتى استحثثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت؟ فقلت: لا. ولكني رجل من العرب في الجملة. فهمس بشيء، فدفعت إليّ رقعة وقال لي: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة. فلما صرت في بعض

الدار أريد الخروج تذكرتها فرجعت فأوصلتها إليه. فلما قرأها عبد الملك ابن مروان قال لي: أقال لك شيئا قبل أن يدفعها إليك؟ قلت: نعم، قال لي من أهل بيت المملكة أنت؟ قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة ثم خرجت من عنده. فلما بلغت الباب ، رددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة؟ قلت: لا. قال: اقرأها. فقرأتها، فإذا فيها: عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره؟ فقلت له: والله لو علمت ما حملتها وإنما قال هذا لأنه لم يرك. قال عبد الملك للشعبي: أفتدري لم كتبها؟ قلت: لا. قال : حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك. قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال.

وكلم الشعبي عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين في قوم حبسهم ليطلقهم فأبى، فقال له: أيها الأمير إن حبستهم بالباطل فالحق يخرجهم، وإن حبستهم بالحق فالعفو يسعهم، فأطلقهم ابن هبيرة إكرامًا للشعبي.

ويقال: إن الحجاج بن يوسف الثقفي قال له يومًا: كم عطاءك في السنة؟ فقال الشعبي: ألفين. فقال الحجاج: ويحك ! كم عطاؤك؟ فقال الشعبي: ألفان. قال الحجاج: كيف لحنت أولاً ؟! قال الشعبي: لحن الأمير فلحنت. فلما أعرب أعربت، وما أمكن أن يلحن الأمير وأعرب أنا. فاستحسن ذلك منه وأجازه.

وعن الشعبي، قال: لَمَّا قدِمَ الحجَّاج سألني عن أشياء من العلم فوجدني بها عارفاً، فجعلني عريفاً على قومي الشَّعْبيِّين ومَنْكِباً على جميع



همْدان وفرضَ لي، فَلمْ أزَلْ عنده بأحسنِ منزلة، حتى كانَ شأنُ عبدِ الرحمن بنِ الأشعث، فأتاني قُرَّاءُ أهلِ الكوفة، فقالوا: يا أبا عمرو، إنَّك زعيمُ القُرَّاء، فلم يزالوا حتى خرجتُ معهم، فقمتُ بين الصفَّين أذكر الحجَّاجَ وأعيبُه بأشياء، فبلغني أنَّهُ قال: ألا تعجبون من هذا الخبيث أما لئن أمكنني الله منه، لأجعلن الدنيا عليه أضيق من مَسْكِ جمل. قال: فما لبثْنا أن هُزِمْنا، فجئت إلى بيتي، وأغلقت عليَّ، فمكثت تسعةَ أشهر؛ فَندَب الناسَ لخُراسان، فقام قتيبةُ بن مسلم، فقال: أنا لها، فعقد له على خُراسان؛ فنادى مناديه: من لحق بعسكر قتيبة فهو آمن؛ فاشترى مَوْلًى لي حماراً، وزودني، ثم خرجْتُ، فكنتُ في العسكر، فلَمْ أزلْ معه حتى أتينا فَرْغانة؛ فجلس ذات يوم وقد برق؛ فنظرتُ إليه فقلت: أيها الأمير، عندي علم [ما تريد] فقال: ومن أنت؟ قلتُ: أعيذُكَ ألا تسالَ عن ذاك، فعرف أني مِمن يخفي نفسه؛ فدعا بكتاب فقال: اكتب نسخة. قلت: لا تحتاج إلى ذلك فجعلت أمل عليه وهو ينظر حتى فرغ من كتاب الفتح. قال: فحملني على بغلة وأرسل إلى بسرق من حرير، وكنتُ عنده في أحسن منزلة، فإني ليلة أتعشى معه، إذا أنا برسول الحجاج بكتاب فيه: إذا نظرت في كتابي هذا، فإن صاحب كتابك عامر الشعبي، فإن فاتك، قطعت يدك على رجلك وعزلتك. قال: فالتفت إليَّ، وقال: ما عرفتك قبل الساعة، فاذهب حيث شئت من الأرض، فو الله لأحلفن له بكل يمين؛ فقلت: أيها الأمير إن مثلي لا يخفى، فقال: أنت أعلم. قال: فبعثني إليه وقال: إذا وصلتُمْ إلى

خضراء واسط فقيِّدوه، ثم أدخلُوه على الحجاج.

فلما دنوت من واسط، استقبلني ابنُ أبي مسلم، فقال: يا أبا عمرو، إني لأضِنٌّ بك عن القتل، إذا دخلت على الأمير فقل كذا وقل كذا. فلما أدخلت عليه ورآني قال: لا مرحباً ولا أهلاً، جئتني ولست في الشرف من قومك، ولا عريفاً ففعلت وفعلت، ثم خرجت عليَّ. وأنا ساكت فقال: تكلَّم. فقلتُ: أصلح الله الأمير، كل ما قلته حق، ولكنا قد اكتحلنا بعدك السهر، وتحلَّسنا الخوف، ولم نكن مع ذلك بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، فهذا أوان حقنت لي دمي، واستقبلت بى التوبة. قال : قد فعلت ذلك.

قال عاصم الأحول، عن الشعبي قال: أتاني رجلان يتفاخران : رجل من بني عامر ورجل من بني أسد، والعامري آخذ بيد الأسدي، والأسدي يقول: دعني. وهو يقول: والله لا أدعك. فقال الشعبي: أخا بني عامر دعه. وقال للأسدي يشد أزره ويناصره ويأخذ بحقه: إنه كان لكم خصال ست لم تكن لأحد من العرب: إنه كانت منكم امرأة خطبها رسول الله ﷺ فزوجه الله إياها، وكان السفير بينهما جبريل عليه السلام، زينب بنت جحش، فكانت هذه لقومك. وكان منكم رجل من أهل الجنة يمشي على الأرض مقنعاً، وهو عكاشة بن محصن، وكانت هذه لقومك، وكان أول لواء عقد في الإسلام لرجل منكم لعبد الله بن جحش، وكانت هذه لقومك، وكان أول مغنم قسم في الإسلام مغنم عبد الله بن جحش، وكان أول من بايع بيعة الرضوان رجل من قومك، أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أبسط

يـدك حتـى أبايعـك فقـال: على ماذا؟ قال: على ما في نفسك. قال: وما في نفسـي؟ قـال: الفـتح أو الشـهادة. فـبايعه أبـو سـنان، وكـان الناس يجيئون فـيقولون: نـبايع علـى بـيعة أبـي سـنان. فكانـت هذه لقومك. وكانوا سُبُع المهاجرين يوم بدر. فكانت هذه لقومك.

هـذا هـو الشعبي الرجل العالم الصادق الحكيم الذي عاش طيلة حياته مكبًّا على العلم والمدارسة والتعليم والتحديث حتى أتاه اليقين من ربه وهو في حال مُرضٍ.

ورحـم الله أبـا نعيم حيث قال في الحلية: ومنهم الفقيه القوي، سالك السـمت المرضـي بالعلم الواضح المضي، والحال الزاكي الوضي، أبو عمرو عامـر بن شراحيل الشعبي، كان بالأوامر مكتفياً، وعن الزواجر منتهياً، تاركاً لتكلف الأثقال، معتنقًا لتحمل الواجب من الأفعال.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٤/ ٣٤٣ – ٣٧٣ رقم ٢٧٧).

٢- تهذيب الكمال (١٤/ ٢٨ – ٤٠ رقم ٣٠٤٢).

٣- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٩٤ – ٣١٩ رقم ١١٣).

٤- صفة الصفوة (٣/ ٥١ – ٥٢ رقم ٤١٠).

٥- شذرات الذهب (٢/ ٢٤ – ٢٧).

٦- وفيات الأعيان (٣/ ١٢ – ١٦ رقم ٣١٧).

٧- البداية والنهاية (٩/ ٢٣٧).

٨- الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٩ – ٢٦٧ رقم ٢٣١٦).

٩- طبقات الحفاظ (ص ٤٠ رقم ٧٤).

٨ ـ محمد بن سيرين
شيخ البصرة وإمام المعبرين

عن معاذ بن معاذ قال : سمعت ابن عون يقول: ما رأيت مثل محمد ابن سيرين.

وعن خليف بن عقبة، قال: كان ابن سيرين نسيجاً وحده.

وقال حماد بن زيد، عن عثمان البتي، قال: لم يكن بالبصرة أحد أعلم بالقضاء من ابن سيرين.

وعن شعيب بن الحبحاب قال: كان الشعبي يقول لنا: عليكم بذلك الأصم ـ يعني ابن سيرين ـ.

وقال ابن يونس : كان ابن سيرين أفطن من الحسن في أشياء.

وقال عون بن عمارة : حدثنا هشام، حدثني أصدقُ من أدركت : محمد بن سيرين.

وقال حبيب بن الشهيد : كنت عند عمرو بن دينار فقال: والله ما رأيت مثل طاوس، فقال أيوب السختياني وكان جالسًا: والله لو رأى محمد ابن سيرين لم يقله.

وقال عوف الأعرابي : كان ابن سيرين حسن العلم بالفرائض والقضاء والحساب.

وعن عاصم قال : سمعت مورِّقًا العجلي يقول : ما رأيت أحدًا أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين.

وقال عاصم وذكر محمد بن سيرين عند أبي قلابة، فقال : اصرفوه كيف شئتم، فلتجدنه أشدكم ورعا، وأملككم لنفسه.

وعن أبي قلابة أيضاً قال: ومن يستطيع ما يطيق ؟! محمد يركب مثل حَدِّ السِّنان.

وعن ابن عون قال: ثلاثة لم تر عيناي مثلهم : ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، كأنهم التقوا فتواصوا.

وعن محمد بن عمر الباهلي قال: سمعت سفيان يقول: لم يكن كوفي ولا بصري له مثل ورع محمد بن سيرين.

وقال ابن جرير الطبري ـ صاحب التفسير ـ : كان ابن سيرين فقيهًا عالماً ورعًا أديبًا كثير الحديث صدوقاً، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة.

وعن مهدي بن ميمون قال: رأيت محمد بن سيرين يحدث بأحاديث الناس، وينشد الشعر، ويضحك حتى يميل، فإذا جاء بالحديث من المسند كلح وتقبض.

وقال أشعث : كان ابن سيرين إذا سئل عن الحلال والحرام تغير لونه حتى تقول: كأنه ليس بالذي كان.

وقال بكر بن عبد الله المزني: من أراد أن ينظر إلى أورع من أدركنا فلينظر إلى محمد بن سيرين.

وقال هشام بن حسان: كان محمد يتّجر، فإذا ارتاب في شيء تركه.

وقال ابن عون : كان محمد من أشد الناس إزراء على نفسه.

وقال غالب القطان : خذوا بحلم ابن سيرين، ولا تأخذوا بغضب الحسن.

وعن حماد بن سلمة عن أيوب قال : كان محمد يصوم يومًا ويفطر يومًا.

وعن رجاء، قال : كان الحسن يجيء إلى السلطان ويعيبهم، وكان ابن سيرين لا يجيء إليهم ولا يعيبهم.

وعن ابن عون أن عمر بن عبد العزيز بعث إلى الحسن فقبل، وبعث إلى ابن سيرين فلم يقبل.

قال هشام : ما رأيت أحدًا عند السلطان أصلب من ابن سيرين.

وعن هشام بن حسان أن ابن سيرين اشترى بيعًا من منونياً[1] فأشرف فيه على ربح ثمانين ألفا، فعرض في قلبه شيء فتركه. قال هشام: ما هو والله برباً.

وقال هشام : ترك محمد أربعين ألفًا في شيء ما يرون به اليوم بأسًا.

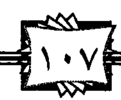
وقال أنس بن سيرين: كان لمحمد سبعة أوراد، فإذا فاته شيء من الليل قرأه بالنهار.

وعن ابن عون قال: إن محمدًا كان يغتسل كل يوم.

وقال يونس بن عبيد: لم يكن يعرض لمحمد أمران في ذمته إلا أخذ بأوثقهما.

---

(١) جاء في حاشية سير أعلام النبلاء (٤/ ٦١٦) قرية من قرى (نهر الملك) كانت أولا مدينة ولها ذكر في أخبار الفرس. و"نهر الملك" كورة واسعة ببغداد.



وقال جرير بن حازم : كنت عند محمد، فذكر رجلاً فقال: ذاك الأسود، ثم قال: إنا لله إني اغتبته.

وقال هشام : قال محمد بن سيرين : قلت مرة لرجل : يا مفلس. فعوقبت.

قال أبو سليمان الداراني بعد أن بلغه قول ابن سيرين هذا. فقال: قَلَّت ذنوب القوم فعرفوا من أين أتوا، وكثرت ذنوبنا فلم ندر من أين نُؤْتى.

وعن ابن عون قال: كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئةٍ ذكره هو بأحسن ما يعلم. وجاءه ناس فقالوا: إنا نلنا منك فاجعلنا في حِلٍّ. قال: لا أُحلُّ لكم شيئاً حرمه الله.

وقال أبو عوانة: رأيت محمد بن سيرين في السوق فما رآه أحد إلا ذكر الله.

وعن زهير الأقطع : كان محمد بن سيرين إذا ذكر الموت، مات كل عضو منه على حدة.

وعن ثابت البناني قال: كان الحسن متوارياً من الحجاج، فماتت بنت له، فبادرت إليه رجاء أن يقول لي : صلِّ عليها. فبكى الحسن حتى ارتفع نحيبه، ثم قال لي: اذهب إلى محمد بن سيرين، فقل له: ليصلِّ عليها. فعرف حين جاء الحقائق أنه لا يعدل بابن سيرين أحدًا.

وكان محمد ـ رحمه الله ـ يتجر في الزيت فأصابته فاقة شديدة، وأصبح مديناً وسجن بسبب هذا الدين، ولم يقع فيه إلا من أجل الحفاظ على تقواه وديانته وورعه.

قال المدائني : كان سبب حبسه أنه أخذ زيتًا بأربعين ألف درهم،

فـوجد في زق مـنه فـأرة، فظـن أنهـا وقعت في المعصرة، وصب الزيت كله. وكان يقول: إني ابتليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة. قال: فكانوا يظنون أنه عيَّر رجلاً بفقر.

وعـن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار أن السجَّان قال لابن سـيرين: إذا كـان الليـل فاذهـب إلى أهلـك، فـإذا أصبحت فتعال. قال ابن سيرين: لا والله، لا أكون لك عوناً على خيانة السلطان.

ومحمـد بـن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ يكنى بأبي بكر، كان أبوه عبدًا لأنس بـن مالـك ـ رضـي الله عـنه ـ كاتبه على أربعين ألف درهم. وقيل: عشرين ألفا، وأدى المكاتـبة وكـان مـن سـبي ميسـان ويقـال: مـن سـبي عين التمر. وكان أبوه سـيرين مـن أهـل جرجـرايا، وكان يعمل قدور النحاس وكانت أمه صفية مولاة أبـي بكـر الصديق ـ رضي الله عنه ـ طيبها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ عند إهـدائها لـزوجها سيرين، ودعون لها ـ رضى الله عنهن ـ وحضر زواجها ثمانية عشر بدريًّا فيهم أبي بن كعب يدعو وهم يؤمنون.

روى محمـد بـن سيرين عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان.

ولـد لــه ثلاثـون ولـدًا من امرأة واحدة عربية، ولم يبق منهم غير عبد الله، ولما مات محمد بن سيرين كان عليه ثلاثون ألف درهم دينا فقضاها عنه ولده عبد الله. فبارك الله في مال عبد الله هذا حتى نما وكثر وزاد، فلما مات عبد الله بن محمد بن سيرين قُوِّم ماله بثلاثمائة ألف درهم.

هكذا يصنع البر بأهله.

قال ابن عون : لما مات أنس بن مالك أوصى أن يصلي عليه ابن سيرين ويغسله.

قال : وكان ابن سيرين محبوساً، فأتوا الأمير وهو رجل من بني أسد ـ فأذن له، فخرج فغسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بالطَّفِّ، ثم رجع فدخل كما هو إلى السجن ولم يذهب إلى أهله. وقيل: إنه لم يخرج من السجن إلا بعد أن أذن له صاحب الدين.

وكان ابن سيرين إذا دخل منزلاً لم يره أحد إلا ذكر اسم الله لصلاحه. وكان يقول: ما أهون الورع ! فقيل : وكيف هو هَيِّنٌ ؟! فقال : إذا رابك شيء فدعه.

وأما تعبير الرؤيا فيعد ابن سيرين هو إمام هذا الفن وهو المقدم فيه، بل هو رأسه، فلا يمارى ولا يجارى ولا يشق غباره.

قال رحمه الله : رأيت يوسف النبيَّ ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ في النوم فقلت له: علمني تعبير الرؤيا. قال: افتح فاك. ففتحته، فتفل فيه، فأصبحت فإذا أنا أعبر الرؤيا.

قال ابن قتيبة : كان ابن سيرين غاية في العلم، نهاية في العبادة، روى عن كثير من الصحابة، وروى عنه الجم الغفير من التابعين، وأريد على القضاء فهرب إلى الشام، ثم أتى المدينة.

قال أبو طالب عن أحمد بن حنبل: محمد بن سيرين من الثقات.

وقال يحيى بن معين : ثقة.

وقال العجلي : بصري تابعي ثقة، وهو من أروى الناس عن شريح وعَبيدة، وإنما تأدب بالكوفيين أصحاب عبد الله.

وقال محمد بن سعد : كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا، كثير العلم، ورعًا، وكان به صمم.

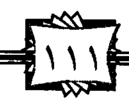
وعن ابن عون : كان محمد من أرجى الناس لهذه الأمة، وأشد الناس إزراءً على نفسه.

وعن أم عباد امرأة هشام بن حسان قالت: كنا نزولاً مع ابن سيرين في الدار، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه ومزاحه بالنهار.

وقال ابن حبان : مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وكان أنس كاتب أباه سيرين على عشرين ألف درهم، وكان محمد بن سيرين من أورع أهل البصرة، وكان فقيهًا فاضلاً حافظًا متقنًا، يعبِّر الرؤيا، رأى ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ مات في شوال سنة عشر ومائة بعد الحسن البصري بمئة يوم وهو ابن سبع وسبعين سنة، وصلى عليه النضر بن عمرو المقرائي الشامي.

وقال هشام بن حسان: حدثتني حفصة بنت سيرين قالت: كانت والدة محمد حجازية، وكان يعجبها الصبغ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبًا اشترى ألين ما يجد، فإذا كان عيد صبغ لها ثيابًا، وما رأيته رافعًا صوته عليها، كان إذا كلمها كالمصغي إليها.

وعن ابن عون، أن محمدًا كان إذا كان عند أمه لو رآه رجل لا يعرفه،



ظن أن به مرضًا من خفض كلامه عندها.

وعن هشام بن حسان قال: حدثني بعض آل سيرين قال: ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط إلا وهو يتضرع.

وعن ابن عون، قال: دخل رجل على محمد وهو عند أمه، فقال: ما شأن محمد أيشتكي شيئاً ؟ قالوا : لا ، ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه.

سأل رجل ابن سيرين سؤالاً، فأحسن له الفتيا، فقال الرجل: والله يا أبا بكر لأحسنت الفتيا فيها ـ أو القول فيها ـ قال : وعرَّض الرجل، كأنه يقول: ما كانت الصحابة لتحسن أكثر من هذا. فقال ابن سيرين: لو أردنا فقههم لما أدركته عقولنا.

وكان ابن سيرين يوصي الرجل الذي يريد السفر للتجارة فيقول له: اتق الله ـ تعالى ـ واطلب ما قدر لك في الحلال، فإنك إن تطلبه من غير ذلك لم تصبه أكثر ما قدر لك.

وعن ابن عون قال : سمعت محمدًا يقول في شيء راجعته فيه: إني لم أقل لك : ليس به بأس، وإنما قلت لك : لا أعلم به بأساً.

وسئل ابن سيرين عن الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة، يتبعها حياءً من أهلها، له في ذلك أجر؟ قال ابن سيرين : أجر واحد !! بل له أجران: أجر لصلاته على أخيه، وأجر لصلته الحي.

وعن حبيب، عن ابن سيرين قال: إذا أراد الله ـ تعالى ـ بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه، يأمره وينهاه.

عن عمران بن عبد العزيز قال: سمعت محمد بن سيرين وسئل عمن يسمع القرآن فيصعق، قال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره فإن سقطوا فهم كما يقولون.

وكان ابن سيرين ـ رحمه الله ـ يقول:

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

وكان رحمه الله إذا دعي إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول: اسقوني شربة سويق. فيقال له: يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو إلى العرس تشرب سويقًا؟ قال رحمه الله: إني أكره أن أحمل حر جوعي على طعام الناس.

وعن عاصم الأحول قال: كنت عند ابن سيرين فدخل عليه رجل، فقال: يا أبا بكر ما تقول في كذا؟ قال: ما أحفظ فيها شيئاً. فقلنا له: فقل فيها برأيك. قال: أقول فيها برأيي ثم أرجع عن ذلك الرأي، لا والله.

بعث ابن هبيرة أمير العراقين إلى ابن سيرين والحسن والشعبي. قال: فدخلوا عليه، فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا. قال. رأيت ظلماً فاشيًا. قال: فهزه ابن أخيه بمنكبه. فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تسأل إنما أنا أسأل. فأرسل ابن هبيرة إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين. فأما ابن سيرين فلم يأخذها.

وعن ابن عون قال: دخلت على محمد بن سيرين وبين يديه شهدة، فقال: هلم فكل فإن الطعام أهون من أن يقسم عليه.

وعنه أيضاً قال: ما أتينا محمد بن سيرين في يوم قط إلا أطعمنا خبيصًا



أو فالوذجًا.

وقال أبو خلدة: دخلت على محمد بن سيرين أنا وابن عون وسهم الفرائضي، فقال: ما أدري ما أتحفكم به، كلكم في بيته خبز ولحم؟ فقدم إلينا شهدة، وجعل يقطع لنا بيده ونأكل.

وعن هشام قال: كان آل ابن سيرين لا يدخل عليه داخل إلا قربوا له طعاماً.

سمع ابن سيرين رجلاً يسب الحجاج، فأقبل عليه فقال له: مه أيها الرجل، فإنك لو قد وافيت الآخرة كان أصغر ذنب عملته قط أعظم عليك من أعظم ذنب عمله الحجاج، واعلم أن الله ـ تعالى ـ حكم عدل، إن أخذ من الحجاج لمن ظلمه، فسوف يأخذ للحجاج ممن ظلمه، فلا تشغلن نفسك بسب أحد.

وقال موسى بن المغيرة: رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله ـ تعالى ـ. فقال له رجل : يا أبا بكر في هذه الساعة؟! قال ابن سيرين: إنها ساعة غفلة.

وعن الجريري قال : كنا عند محمد بن سيرين فلما أردنا القيام، قلنا: دعوة يا أبا بكر!. قال : اللهم تقبل منا أحسن ما نعمل، وتجاوز عنا في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون.

وقال سلام بن مسكين: سمعت محمد بن سيرين يقول: إذا اتقى الله العبدُ في اليقظة لا يضره ما رؤي له في النوم.

وعن ابن عون، عن ابن سيرين قال: كانوا يرون حسن الخلق عونا

على الدين.

وعنه قال ابن سيرين : ثلاثة ليس معهم غربة : حسن الأدب، وكف الأذى، ومجانبة الريب.

وعنه أيضاً قال ابن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه.

وعن عاصم الأحول عن ابن سيرين قال : كانوا لا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فننظر إلى أهل السنة، فنأخذ حديثهم، وإلى أهل البدعة فلا نأخذ حديثهم.

وقال رحمه الله : ظلم لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم منه وتكتم خيره.

وكان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال له: اتق الله في اليقظة لا يضرك ما رأيت في المنام.

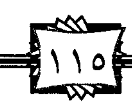
قال ابن شبرمة : دخلت على محمد بن سيرين بواسط، فلم أرَ أجبن من فتوى منه، ولا أجرأ على رؤيا منه.

وروي أيضاً عن عبد الله بن شوذب مثله.

وله رحمه الله في تعبير الرؤيا عجائب.

قال له رجل : رأيت طائرًا سمينًا ما أعرفه، تدلى من السماء فوقع على شجرة، وجعل يلتقط الزهر، ثم طار. فتغير وجه ابن سيرين، وقال : هذا موت العلماء.

قال ابن سيرين : رأيت جليساً في المنام، فإذا ساقاه من ذهب، فقلت له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة، وأبدلني بدل ساقي



ساقين من ذهب، أسرح بهما في الجنة حيث شئت. قلت: بماذا ؟ قال: بعزل الأذى عن الطريق.

وعن يوسف الصباغ عن ابن سيرين قال: من رأى ربه ـ تعالى ـ في المنام دخل الجنة.

وعن أبي جعفر عن ابن سيرين أن رجلاً رأى في المنام كأن في حجره صبيًّا يصيح، فقص رؤياه على ابن سيرين فقال له: اتق الله ولا تضرب العود.

وعن حبيب أن امرأة رأت في المنام أنها تحلب حية، فقصت على ابن سيرين فقال لها : اللبن فطرة، والحية عدو، وليست من الفطرة في شيء، هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء.

قال رجل لابن سيرين : إني رأيت كأني ألعق عسلاً من جام من جوهر، فقال: اتق الله وعاود القرآن، فإنك رجل قرأت القرآن، ثم نسيته قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أحرث أرضا لا تنبت. قال: أنت رجل تعزل عن امرأتك.

وقال رجل : رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقى. قال: أنت رجل مصارم لأخيك.

وقال آخر : رأيت كأني أطير بين السماء والأرض، قال: أنت رجل تكثر المنى.

وقال آخر : رأيت كأني أبول دمًا. قال: تأتي امرأتك وهي حائض؟



قال الرجل: نعم. قال ابن سيرين : اتق الله ولا تعد.

وقال رجل: يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبلة لها مثقبان، فوجدت أحدهما عذبا والآخر ملحًا. قال له ابن سيرين: اتق الله! لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها.

وقال آخر : إني رأيت كأن على رأسي تاجًا من ذهب. فقال له ابن سيرين: اتق الله! فإن أباك في أرض غربة، وقد ذهب بصره، وهو يريد أن تأتيه. قال: فما راده الرجل الكلام حتى أدخل يده في حجزته فأخرج كتاباً من أبيه يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمره بالإتيان إليه.

وعن هشام بن حسان قال : قص رجل على ابن سيرين فقال: رأيت كأن بيدي قدحًا من زجاج فيه ماء، فانكسر القدح وبقي الماء. فقال له: اتق الله! فإنك لم تر شيئاً.

فقال الرجل : سبحان الله !! قال ابن سيرين : فمن كذب فما عليَّ، ستلد امرأتك وتموت ويبقى ولدها. فلما خرج الرجل قال: والله ما رأيت شيئاً. فما لبث أن ولد له وماتت امرأته.

وقال له رجل : رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون، فقال: فتش على امرأتك فإنها أمك، ففتش فإذا هي أمه. وذلك أن الرجل أخذ من بلاده صغيرًا سبيًا، ثم مكث في بلاد الإسلام إلى أن كبر، ثم سبيت أمه فاشتراها جاهلاً أنها أمه، فلما رأى هذه الرؤيا وذكرها لابن سيرين فأمره أن يفتش على ذلك، ففتش فوجد الأمر على ما ذكره.

وقال له آخر: رأيت كأني دست ـ أو قال وطئت ـ تمرة فخرجت منها فأرة. فقال له: تتزوج امرأة ـ أو قال تطأ امرأة ـ صالحة تلد بنتا فاسقة، فكان كما قال.

وقال له آخر: رأيت على سطح بيتي حبات شعير فجاء ديك فلقطها، فقال له: إن سرق لك شيء في هذه الأيام فأتني. فوضعوا بساطًا على سطحهم فسرق، فجاء إليه فأخبره، فقال: اذهب إلى مؤذن محلتك فخذه منه، فجاء إلى المؤذن فأخذ البساط منه.

وقال له رجل: رأيت الحمام تلقط الياسمين. فقال: مات علماء البصرة.

وأتاه رجل فقال: رأيت رجلاً عريانا واقفا على مزبلة وبيده طنبور يضرب به، فقال له ابن سيرين: لا تصلح هذه الرؤيا في زماننا هذا إلا للحسن البصري، فقال الحسن هو والله الذي رأيت. فقال : نعم، لأن المزبلة الدنيا وقد جعلها تحت رجليه، وعريه تجرده عنها، والطنبور يضرب به هي المواعظ التي يقرع بها آذان الناس.

وقال له آخر: رأيت كأني أستاك والدم يسيل فقال له: أنت رجل تقع في أعراض الناس وتأكل لحومهم وتخرج في بابه وتأتيه.

وقال له آخر : رأيت كأني أرى اللؤلؤ في الحمأة، فقال له: أنت رجل تضع القرآن والعلم عند غير أهله ومن لا ينتفع به.

وجاءته امرأة فقالت: رأيت كأن سنورًا أدخل رأسه في بطن زوجي،



فأخـذ مـنه قطعة، فقال لها ابن سيرين: سرق لزوجك ثلاثمائة درهم، وستة عشـر درهمـا، فقالـت: صـدقت، مـن أين أخذته؟ فقال: من هجاء حروفه وهـي حسـاب الجمـل، فالسـين سـتون، والنون خمسون، والواو ستة والراء مائـتان، وذلك ثلاثمائة وستة عشر، وذكرت السنور أسود فقال: هو عبد في جواركم، فالزموا عبداً أسود كان في جوارهم وضرب فأقر بالمال المذكور.

وقـال لــه رجـل: رأيـت لحـيتي قـد طالـت وأنا أنظر إليها. فقال لـه: أمؤذن أنت؟ قال : نعم! قال لـه: اتق الله ولا تنظر إلى دور الجيران.

وقـال لــه آخـر: رأيـت كـأن لحـيتي قد طالت حتى جززتها ونسختها كساء وبعته في السوق. فقال لـه: اتق اللّه فإنك شاهد زور.

وقال لـه آخر: رأيت كأني آكل أصابعي، فقال لـه تأكل من عمل يدك.

ورأى ابـن سـيرين في مـنامه كـأن الجـوزاء تقـدمت الثـريا، فأخـذ في وصيته، قال: يموت الحسن البصري وأموت بعده، هو أشرف مني.

وقـال لـه رجل: رأيت على ساق رجل شعرًا كثيرًا. فقال : يركبه دين ويمـوت في السجن. فقال الرجل: أنت هو. فاسترجع ابن سيرين، ومات في السجن وعليه أربعون ألف درهم. قضاها عنه ولده أو بعض إخوانه.

وقالـت لـه امرأة : رأيت كأن القمر دخل في الثريا. فنادى مناد من خلفي: قضـي علـى ابـن سـيرين. فاصـفر لونه، وقام وهو آخذ ببطنه. فقالت لـه عمته: مالك؟ قال : زعمت هذه المرأة أني أموت إلى سبعة أيام. فدفن في اليوم السابع.

رحمه الله وغفر لـه وبوأه من الجنة غرفًا جزاء ما قدم لدينه ولأمته الإسلامية.

قال مهدى بن ميمون : رأيت ابن سيرين يلبس طيلسانًا، ويلبس كساءً أبيض في الشتاء وعمامة بيضاء وفروة.

وقال سليمان بن المغيرة : رأيت ابن سيرين يلبس الثياب الثمينة والطيالس والعمائم.

وقال أبو خلدة : رأيت ابن سيرين يتعمم بعمامة بيضاء لاطية، قد أرخى ذوائبها من خلفه، ورأيته يخضب بالصفرة.

وقال أبو الأشهب : رأيت عليه ثياب كتان.

وعن محمد بن عمرو قال: رأيت ابن سيرين يخضب بحناء وكتم، ورأيته لا يحفى شاربه.

وقال قرة بن خالد : كان نقش خاتم محمد بن سيرين كنيته: أبو بكر. ورأيته يتختم في الشمال.

قال حميد الطويل : أمر ابن سيرين سويدًا أن يجعل له حلة حبرة يكفن فيها.

كان الحكم بن حجل صديقًا لابن سيرين، فحزن عليه لما مات حتى كان يعاد. ثم قال: رأيته في المنام في حال كذا وكذا. فسألته لما سرني: ما فعل الحسن؟ قال: رفع فوقى سبعين درجة. قلت: بم؟ فقد كنا نرى أنك فوقه! قال: بطول الحزن.

قال غير واحد : مات ابن سيرين بعد الحسن البصري بمئة يوم سنة عشر ومئة.

ورحـم الله أبـا نعيم حين قال عنه في الحلية: ومنهم ذو العقل الرصين والـورع المـتين، المطعـم للإخـوان والزائـرين، ومعظـم الـرجاء للمذنـبين والمـوحدين، أبـو بكـر محمد بن سيرين، كان ذا ورع وأمانة وحيطة وصيانة، كان بالليل بكاءً نائحًا، وبالنهار بسامًا سائحًا، يصوم يومًا ويفطر يومًا.

فرحمه الله رحمة واسعة وجعل مكانه في عليين.

مصادر الترجمة :

١- سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦ – ٦٢٢ رقم ٢٤٦).
٢- حلية الأولياء (٢/ ٢٩٨ – ٣٢٠ رقم ١٩٣).
٣- تهذيب الكمال (٢٥/ ٣٤٤ – ٣٥٤ رقم ٥٢٨٠).
٤- وفيات الأعيان (٤/ ١٨١ – ١٨٢ رقم ٥٦٥).
٥- شذرات الذهب (٢/ ٥٢ – ٥٤).
٦- البداية والنهاية (٩/ ٢٨٠ – ٢٨١).
٧- صفة الصفوة (٣/ ١٧٠ – ١٧٥ رقم ٥٠٤).
٨- تاريخ بغداد (٢/ ٤١٥ – ٤٢١ رقم ٩٣٦).

٩ ـ مجاهد بن جبر
شيخ القراء والمفسرين

هو الإمام شيخ القراء والمفسرين أبو الحجاج المكي الأسود مولى السائب بن أبي السائب، ويقال: مولى عبد الله بن السائب القارئ. ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي.

قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة والضحاك.

وقال خصيف: كان مجاهد أعلمهم بالتفسير.

وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد.

وقال يحيى القطان: مرسلات مجاهد أحب إليَّ من مرسلات عطاء بكثير.

وكذا قال الآجري عن أبي داود.

وقال ابن معين وأبوزرعة: ثقة.

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل: مارأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله ـ تعالى ـ إلاعطاء وطاوساً ومجاهداً.

وقال ابن سعد: كان ثقة فقيهاً، عالماً كثير الحديث.

وقال ابن حبان: كان فقيهاً، ورعًا، عابدًا، متقنا.

وقال أبو جعفر الطبري: كان قارئًا عالمًا.

وقال العجلي: مكي تابعي ثقة.

وقال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به.

وقال ابن جريج: لأن أكون سمعت من مجاهد، فأقول: سمعت مجاهدًا أحب إليَّ من أهلي ومالي.

وقال ابن الجوزي: كان فقيهًا دينًا ثقةً.

وقال الأعمش: كنت إذا رأيت مجاهدًا ازدريته، متبذِّلاً، كأنه خربندة (أي حارس الحمار أو مؤجره) ضل حماره وهو مغتم.

وعنه أيضا قال: كان مجاهد كأنه حمّال، فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ.

وروي عن مجاهد قال: قال لي ابن عمر: وددت أن ابني سالمًا وغلامي نافعاً يحفظان حفظك.

وقال الأعمش: كنت إذا رأيت مجاهداً تراه مغمومًا، فقيل له في ذلك، فقال أخذ عبد الله بن عمر بيدي، ثم قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي وقال لي: «**يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

وعن ليث عن مجاهد قال: إن الله ـ عز وجل ـ ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده.

وقال أيضا: إن العبد إذا أقبل إلى الله ـ عز وجل ـ بقلبه أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه.

وقال: من أعز نفسه أذل دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه.

وقال: لا تحد النظر إلى أخيك، ولا تسأله من أين جئت؟ وأين تذهب؟.

وعن محمد بن إسحاق بن أبان بن صالح، عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقفه على كل آية أسأله: كيف أنزلت؟ وكيف كانت؟.

وعن مجاهد قال: إن لبني آدم جلساء من الملائكة فإذا ذكر الرجل أخاه



المسلم بخير قالت الملائكة: ولك بمثله. وإذا ذكره بسوء قالت الملائكة: ابن آدم المستور عورته أربع على نفسك، واحمد الله الذي ستر عيوبك.

وعن عمر بن ذر قال: قال مجاهد: ما من مرض يمرضه العبد إلا ورسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه العبد أتاه ملك الموت، فقال: أتاك رسول بعد رسول، فلم تعبأ به، وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

وعن الأعمش قال: كنا عند مجاهد فقال: القلب هكذا. وبسط كفه، فإذا أذنب الرجل ذنبا قال: هكذا، وعقد واحدًا. ثم أذنب وعقد اثنين، ثم ثلاثا، ثم أربعا، ثم رد الإبهام على الأصابع في الذنب الخامس، ثم يطبع على قلبه.

قال مجاهد: فأيكم يرى أنه لمْ يطبع على قلبه.

وعن عمر بن ذر عن مجاهد قال: إذا أراد أحدكم أن ينام، فليستقبل القبلة، ولينم على يمينه، وليذكر الله، وليكن آخر كلامه عند منامه: لا إله إلا الله، فإنها وفاة، لا يدري لعلها تكون منيته، ثم قرأ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾.

وعن شعبة عن رجل: سمعت مجاهدًا يقول: صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني.

وعن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال: ربما أخذ ابن عمر لي بالركاب.

وروى الأجلح عن مجاهد، قال: طلبنا هذا العلم ومالنا فيه نية، ثم رزق الله النية بعد.

وقال منصور عن مجاهد، قال: لا تنوهوا بي في الخَلقِ.

وروى حميد عن الأعرج عن مجاهد، قال: كنت أصحب ابن عمر في السفر، فإذا أردت أن أركب مسك ركابي، فإذا ركبت سوى عليَّ ثيابي.



فرآني مرة كأني كرهت ذلك في، فقال: يا مجاهد إنك لضيق الخُلق.

وعن ليث عن مجاهد قال: ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم.

وقال مجاهد: الفقيه من يخاف الله وإن قل علمه، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه.

وعنه منصور، عن مجاهد ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ قال: وعملك فأصلح. وقال في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾: خذ من دنياك لآخرتك أن تعمل فيها بطاعته.

وعن ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ وقال: للذى يذكر الله عز وجل عند المعاصي.

وعنه في قوله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم ﴾ قال: الخشوع في الصلاة.

﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ قال: القنوت: الركوع والخشوع وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله ـ تعالى ـ. قال: وكانت العلماء إذا قام أحدهم إلى الصلاة هاب الرحمن أن يشذ نظره، أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء من الدنيا إلا ناسياً ما دام في الصلاة.

وعن مجاهد ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ قال: عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد ﷺ ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ قال: ينزوا بعضهم على بعض زناة في الأزقة.

وعن الأعمش قال: سمعت مجاهدًا يقول: القلب بمنزلة الكف، فإذا أذنب الرجل ذنبا انقبض أصبع حتى تنقبض أصابعه كلها أصبعًا أصبعًا. قال:

ثم يطبع عليه، فكانوا يرون أن ذلك الران. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وعن منصور عن مجاهد ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ قال: الذنوب تحيط بالقلوب، كلما عمل ذنبا ارتفعت حتى تغشى القلب، وحتى يكون هكذا، ثم قبض يده، ثم قال: هو الران.

وقال مجاهد: ما من ميت يموت إلا عرض عليه أهل مجلسه، إن كان من أهل الذكر فمن أهل الذكر، وإن كان من أهل اللهو فمن أهل اللهو.

وقال: لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرًا حتى يذكر الله قائما وقاعدًا ومضطجعًا.

وعن مجاهد قال إبليس: إن يعجزني ابن آدم فلن يعجزني من ثلاث خصال: أخذه مال بغير حقه، وإضاعة إنفاقه في غير حقه، ومنعه عن حقه.

وعنه قال: الرعد ملك يزجر السحاب بصوته.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ قال: الأوصال التي كانت بينهم في الدنيا.

وفي قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ قال: الغناء.

وفي قوله: ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ قال: يلعنهم دواب الأرض وما شاء الله - تعالى - الحيات والعقارب. قال: يقولون: نمنع القطر بذنوبهم.

وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: إن هذا العلم لا يتعلمه مستح ولا متكبر.

وعن مجاهد قال: لو أن رجلاً أنفق مثل أحد في طاعة الله - تعالى - لم يكن من المسرفين.

وعنه في قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾ قال: العلم والفقه.

وفي قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ قال: الفقهاء والعلماء.

وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ: أفضل العبادة الرأي الحسن، يعنى اتباع السنة.

وقال: ما أدري أي النعمتين أفضل؟ أن هداني للإسلام أو عافاني من الأهواء.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ قال: أما الظاهرة فالإسلام والرزق، وأما الباطنة فما ستر من العيوب والذنوب.

وقال رحمه الله: من لم يتب إذا أصبح وإذا أمسى فهو من الظالمين.

وعن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: لا تنامن إلا على وضوء، فإن الأرواح تبعث على ما قبضت عليه.

وعن طلحة عن مجاهد قال: إذا لقي الرجلُ الرجلَ فضحك في وجهه ذابت عنهم الذنوب كما ينثر الريح الورق اليابس عن الشجر. قال: فقال: ويحك إن هذا العمل يسير فقال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

وعن عبدة بن أبي لبابة عن مجاهد قال: ما التقى مسلمان فتصافحا إلا غفر لهما ذنوبهما قبل أن يتفرقا أو تحاتت عنهما ذنوبهما. قلت: إن ذلك يسير. قال مجاهد: لا تقل ذلك إن الله ـ عز وجل ـ يقول: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قال عبدة: فكان مجاهد أفقه مني.

وعنه في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ قال: المزامير.

عن الفضل بن دكين قال: حدثنا فطر قال: رأيت مجاهدًا أبيض الرأس واللحية.

وعن إبراهيم بن عبد الأعلى أن مجاهدًا كان يكنى أبا الحجاج.

وعن وكيع بن الجراح عن بعض أصحابه أن مجاهدًا مات وهو ساجد.

وكذا قال الفضل بن دكين: توفي مجاهد سنة اثنتين ومائة وهو ساجد.

وقال ابن جريج: بلغ مجاهد يوم مات ثلاثا وثمانين سنة.

وقال يحيى القطان: مات مجاهد سنة أربع ومائة وكان فقيهًا عالما ثقة كثير الحديث.

ورحم الله أبا نعيم حيث قال عنه في الحلية: ومنهم العالم الحبر ذو الأحلام والصبر أبو الحجاج مجاهد بن جبر، صاحب التأويل والتفسير والأقاويل والتذكير.

فرحمه الله وجزاه خيرًا على ما قدم للإسلام والمسلمين.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٣/ ٣١٩-٣٥٥ رقم٢٤٣).

٢- الطبقات الكبرى (٦/ ١٩-٢٠ رقم١٥٤١).

٣- تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥-٢٦).

٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٩٤-٩٥).

٥- تهذيب الكمال (٢٧/ ٢٢٨-٢٣٦ رقم٥٧٨٣).

٦- سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩-٤٥٧ رقم١٧٥).

٧- صفوة الصفوة (٢/ ٥٢٣-٥٢٥ رقم٢٠٨).

٨- شذرات الذهب (٢/ ١٩-٢٠).

٩- البداية والنهاية (٩/ ٢٣٠-٢٣٥).

١٠- طبقات الحفاظ (ص٤٢ رقم٨١).

١٠ ـ عكرمة
مولى ابن عباس
أحد أوعية العلم

عكرمة القرشي الهاشمي العلامة الحافظ المفسر أبو عبد الله المدني مولى عبد الله بن عباس، أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن أبي الحر العنبري فوهبه لعبد الله بن عباس حين جاء والياً على البصرة لعلي بن أبي طالب.

عن عمرو بن دينار: دفع إليَّ جابر بن زيد مسائل، أسأل عكرمة وجعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه.

وعنه أيضاً أنه سمع أبا الشعثاء يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

قال سفيان: الوجه الذي عليه فيه عكرمة المغازي، إذ تكلم فسمعه إنسان قال: كأنه مشرف عليهم يراهم.

وقيل لسعيد بن جبير: تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: نعم، عكرمة.

وقال مصعب بن عبد الله: تزوج عكرمة أم سعيد بن جبير، فلما قتل سعيد، قال إبراهيم: ما خلف بعده مثله.

وقال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة.



وفي رواية عنه قال: كان أعلم التابعين أربعة، كان عطاء أعلمهم بالمناسك، وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير، وكان عكرمة أعلمهم بسيرة النبي ﷺ، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلهم أبداً: عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة. فأقبل مجاهد وسعيد يلقيان على عكرمة التفسير، فلم يسألاه عن آية إلاّ فسرها لهما، فلما نفد ما عندهما جعل يقول: أنزلت آية كذا في كذا، وآية كذا في كذا.

قال الثوري: خذوا التفسير عن أربعة، عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك.

قال يحيى بن أيوب: قال لي ابن جريج: قدم عليكم عكرمة؟ قلت: بلى. قال: فكتبتم عنه؟ قلت: لا. قال: فاتكم ثلثا العلم.

وعن أيوب قال: كنت أريد أن أرحل إلى عكرمة، إلى أفق من الآفاق، فإني لفي سوق بالبصرة إذا رجل على حمار، فقيل لي: عكرمة. فاجتمع الناس إليه، فقمت إليه، فما قدرت على شيء أسأله، ذهبت مني المسائل، فقمت إلى جنب حماره، فجعل الناس يسألونه وأنا أحفظ.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: مر عكرمة بعطاء وسعيد بن جبير يحدثهم، فلما قام، قلت لهما: ما تنكران مما حدث شيئاً؟ قالا: لا.

وعن أبي إسحاق: سمعت سعيد بن جبير يقول: إنكم لتحدثون عن عكرمة بأحاديث لو كنت عنده ما حدث بها. قال: فجاء عكرمة، فحدث

بتلك الأحاديث كلها، والقوم سكوت، فما تكلم سعيد، ثم قام عكرمة، فقالوا: يا أبا عبد الله ما شأنك؟ قال: فعقد ثلاثين وقال: أصاب الحديث.

سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية؟ فقال سعيد: لا تسألني عن القرآن، وسل عنه من يزعم أنه لا يخفى عنه منه شيء. يعني عكرمة.

قال أبو بكر المروذي: قلت لأحمد: يحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم يحتج به.

وقال عثمان بن سعيد: قلت لابن معين: فعكرمة أحب إليك من ابن عباس أو عبيد الله؟ قال: كلاهما. ولم يختر، قلت: فعكرمة أو سعيد بن جبير؟ قال: ثقة وثقة.

وروى جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحيى بن معين قال: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة، فاتهمه على الإسلام.

قال الذهبي رحمه الله في السير: هذا محمول على الوقوع فيهما بهوىً وحَيْفٍ في وزنهما، أما من نقل ما قيل في جرحهما وتعديلهما على الإنصاف، فقد أصاب.

وقال يعقوب بن شيبة: سمعت علي بن المديني يقول: لم يكن في موالي ابن عباس أغزر من عكرمة.

وقال أحمد العجلي: مكي تابعي ثقة بريء مما يرميه به الناس من الحرورية يعني من رأيهم.

قال البخاري: ليس أحد من أصحابنا إلا وهو يحتج بعكرمة.



وقال النسائي: ثقة.

وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه (أي عكرمة) فقال: ثقة. قلت: يحتج بحديثه؟ قال: نعم إذا روى عنه الثقات، والذي أنكر عليه يحيى بن سعيد ومالك فلسبب رأيه.

قيل لأبي: فموالي ابن عباس؟ قال: كُريب وسُميع وشعبة وعكرمة وهو أعلاهم.

وسئل أبي عن عكرمة وسعيد بن جبير أيهما أعلم بالتفسير؟ فقال: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة.

وقال الحافظ ابن عدي في «كامله»: وعكرمة لم أُخرِّج هنا من حديثه شيئاً، لأن الثقات إذا رووا عنه فهو مستقيم الحديث إلا أن يروي عنه ضعيف، فيكون قد أُتي من قبل الضعيف لا من قبله، ولم يمتنع الأئمة من الرواية عنه، وأصحاب الصحاح أدخلوا أحاديثه إذا روى عنه ثقة في صحاحهم، وهو أشهر من أن أحتاج أن أخرج له شيئاً من حديثه، وهو لا بأس به.

وقال أبو أحمد الحاكم: احتج بحديثه الأئمة القدماء، لكن بعض المتأخرين أخرج حديثه من خير الصحاح.

وقال ابن سعد: قالوا: وكان عكرمة كثير العلم والحديث، بحراً من البحور، وليس يحتج بحديثه ويتكلم الناس فيه.

وعن سلام بن مسكين قال: كان عكرمة من أعلم الناس بالتفسير.

وعن عمرو بن مسلم قال: قدم عكرمة على طاوس فحمله على



نجيب ثمنه ستون ديناراً وقال: ألا نشتري علم هذا العبد بستين ديناراً؟

وعن أيوب قال: حدثني صاحب لنا قال: كنت جالساً إلى سعيد وعكرمة وطاوس، وأظنه قال: وعطاء في نفر. قال: فكان عكرمة صاحب الحديث يومئذ. قال: وكأن على رؤوسهم الطير، فإذا فرغ فمن قائل بيده هكذا وعقد ثلاثين، ومن قائل برأسه هكذا يُميِّل رأسه. قال: فما خالفه أحد منهم في شيء إلا أنه ذكر الحوت فقال: كان يسايرهما في ضحضاح من الماء.

فقال سعيد بن جبير: أشهد على ابن عباس أني سمعته يقول: كانا يحملانه في مكتل.

وقال محمد بن فضيل عن عثمان بن حكيم: كنت جالساً مع أبي أمامة بن سهل بن حنيف إذ جاء عكرمة فقال: يا أبا أمامة أذكرك الله هل سمعت ابن عباس يقول: ما حدثكم عني عكرمة فصدقوه، فإنه لم يكذب عليَّ؟ فقال أبو أمامة: نعم.

وقال داود بن أبي هند عن عكرمة: قرأ ابن عباس هذه الآية: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ قال ابن عباس: لم أدر أنجا القوم أم هلكوا؟ قال: فما زلت أبين له أبصره حتى عرف أنهم نجوا. قال: فكساني حلة.

قال سفيان بن عيينة: سمعت أيوب يقول: لو قلت لك: إن الحسن ترك كثيراً من التفسير حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها لصدقت.

ومات عكرمة رحمه الله وكُثَيِّر عزة الشاعر المعروف في يوم واحد. قيل: سنة أربع ومئة. وقيل: سنة خمس ومائة. وقيل سنة ست. وقيل: سبع.

قال الواقدي: حدثتني ابنته أم داود أنه توفي سنة خمس ومئة، وهو ابن ثمانين سنة.

ولما مات قال الناس: مات اليوم أفقه الناس. (يعنون عكرمة) وأشعر الناس (يعنون كثير عزة).

وعن عكرمة رحمه الله: قال لي ابن عباس: انطلق فأفت الناس، فمن سألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عني ثلثي مؤونة الناس.

عن خالد السختياني عن عكرمة قال: أدركت مئين من أصحاب النبي ﷺ في هذا المسجد.

وعن الزبير بن الحارث عن عكرمة قال: كان ابن عباس يجعل في رجلي الكبل ويعلمني القرآن والسنن. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: كان من علماء زمانه بالفقه والقرآن.

وكان جابر بن زيد يقول: عكرمة من أعلم الناس، ولا يجب لمن شم رائحة العلم أن يعرج على قول يزيد بن أبي زياد، لأن يزيد ليس ممن يحتج بنقل مثله، لأن من المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح. قال: وعكرمة حمل عنه أهل العلم الحديث والفقه في الأقاليم كلها، وما أعلم أحداً ذمه بشيء إلا بدعابة كانت فيه.

وقال ابن منده: أما حال عكرمة في نفسه فقد عدّ له أئمة من نبلاء التابعين فمن بعدهم، وحدثوا عنه، واحتجوا بمفاريده في الصفات والسنن والأحكام، روى عنه زهاء ثلاث مئة رجل من البلدان، منهم زيادة على



سبعين رجلاً من خيار التابعين ورفعائهم، وهذه منزلة لا تكاد توجد لكثير أحد من التابعين على أن من جرَّحه من الأئمة لم يمسك من الرواية عنه، ولم يستغنوا عن حديثه، وكان يتلقى حديثه بالقبول، ويحتج به قرناً بعد قرن وإماماً بعد إمام إلى وقت الأئمة الأربعة الذين أخرجوا الصحيح وميزوا ثابته من سقيمه وخطأه من صوابه، وأخرجوا روايته وهم البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، فأجمعوا على إخراج حديثه واحتجوا به على أن مسلماً كان أسوأهم رأيا فيه، وقد أخرج عنه مقروناً، وعدَّله بعدما جرَّحه.

وقال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي: قد أجمع عامة أهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة، واتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا: أحمد بن حنبل، وابن راهويه ويحيى بن معين وأبو ثور. ولقد سألت إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديثه فقال: عكرمة عندنا إمام الدنيا. تعجب من سؤالي إياه. وحدثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين وسأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة فأظهر التعجب.

وقال أبو عبد الله: وعكرمة قد ثبتت عدالته بصحبة ابن عباس وملازمته إياه، وبأن غير واحد من العلماء رووا عنه وعدَّلوه.

قال: وكل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غير جرحه.

وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري وأبو عبد الله الحاكم وأبو عمر ابن عبد البر فيه نحواً مما تقدم عن محمد بن نصر. وبسط أبو جعفر الطبري



القول في ذلك ببراهينه وحججه. وقد لخص ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في مقدمة شرح البخاري في ترجمة عكرمة فدفع عنه ما اتهم به من انتحاله رأي الخوارج. وسبق إلى ذلك الحافظ المنذري في جزء مفرد.

قال عبد الحميد بن بهرام: رأيت عكرمة أبيض اللحية عليه عمامة بيضاء طرفها بين كتفيه، قد أدارها تحت لحيته وقميصه إلى الكعبين وكان رداؤه أبيض.

عن محمد بن راشد قال: مات ابن عباس وعكرمة عبد، فاشتراه خالد بن يزيد بن معاوية من علي بن عبد الله بن عباس بأربعة آلاف دينار. فبلغ ذلك عكرمة فأتى عليًّا فقال له: بعتني بأربعة آلاف دينار؟ قال علي: نعم. قال عكرمة: أما إنه ما خير لك، بعت علم أبيك بأربعة آلاف دينار! فذهب عليٌّ إلى خالد فاستقاله فأقاله، وأعتق علي بن عبد الله بن عباس عكرمة وجعله حرًّا.

قال أيوب: قال عكرمة: إني لأخرج إلى السوق فأسمع الرجل يتكلم بالكلمة، فينفتح لي خمسون باباً من العلم.

وقال أبو مسلمة سعيد بن يزيد: سمعت عكرمة يقول: ما لكم لا تسألوني، أفلستم؟

وقال أيوب: قال عكرمة: أرأيت هؤلاء اللذين يكذبوني من خلفي، أفلا يكذبوني في وجهي.

وعن أرطاة بن أبي أرطاة أنه سمع عكرمة يحدث القوم وفيهم سعيد ابن جبير وغيره، فقال: إن للعلم ثمناً فأعطوه ثمنه، قالوا: وما ثمنه

يا أبا عبد الله؟ قال: أن تضعه عند من يحسن حفظه ولا يضيعه.

وقال سليمان الأحول: لقيت عكرمة ومعه ابن له، قلت: أيحفظ هذا حديثك شيئاً؟ قال: إنه يقال: أزهد الناس في عالمٍ أهلُهُ.

قال حماد عن أيوب، سمعت رجلاً قال لعكرمة: فلان قذفني في النوم. قال: اضرب ظله ثمانين.

عن عبد الرحمن بن حسان: سمعت عكرمة يقول: طلبت العلم أربعين سنة، وكنت أفتي بالباب وابن عباس في الدار.

كتب الحجاج بن يوسف إلى عثمان بن حيان: سل عكرمة مولى ابن عباس عن يوم القيامة، أيوم من الدنيا هو أم من الآخرة؟ فسأله فقال عكرمة: صدر ذلك اليوم من الدنيا، وآخره من الآخرة.

قال إبراهيم: وحدثني أبي عن عكرمة: لكل شيء أساس وأساس الإسلام الخلق الحسن.

وعن سماك بن حرب قال: سمعت عكرمة يقول: لقد فسرت ما بين اللوحين.

سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال عكرمة: نزلت في سفح ذلك الجبل. وأشار إلى سلع.

عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: قلت لعكرمة بنيسابور: الرجل يدخل الخلاء وفي أصبعه خاتم فيه اسم الله؟ قال عكرمة: يجعل فصه في باطن كفه، ثم يقبض عليه.



وعن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قال: الدنيا كلها قريب، وكلها جهالة.

وعن سماك عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾ قال: الكفار إذا دخلوا القبور وعاينوا ما أعد الله من الخزي يئسوا من رحمة الله.

وعن عكرمة قال: قال لقمان لابنه: قد ذقت المرارة فليس شيء أمر من الفقر، وحملت الحمل الثقيل فليس شيء أثقل من جار السوء، ولو أن الكلام من فضة لكان الصمت من ذهب.

مات عكرمة رحمه الله سنة خمس ومائة وهو ابن ثمانين سنة.

وقيل غير ذلك. وعكرمة في الأصل اسم للحمامة الأنثى.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم مفسر الآيات المحكمة، ومنور الروايات المبهمة أبو عبد الله مولى ابن عباس عكرمة، كان في البلاد جوالاً، ومن علمه للعباد بذالاً.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٣/ ٣٧٤ـ ٣٩٨ رقم ٢٤٥).

٢- تهذيب الكمال (٢٠/ ٢٦٤ ـ ٢٩٢ رقم ٤٠٠٩).

٣- سير أعلام النبلاء (٥/ ١٢ ـ ٣٦ رقم ٩).

٤- تهذيب التهذيب (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٨).

٥- الطبقات الكبرى (٥/ ٢١٩ ـ ٢٢٤ رقم ٩٠٤).

٦- شذرات الذهب (٢/ ٣٢ ـ ٣٣).



٧- وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ رقم ٤٢١).

٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ١٠٢ رقم ٥٧٩).

٩- صفة الصفوة (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ رقم ١٦٨).

١٠- البداية والنهاية (٩/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦).

١١- طبقات الحفاظ (ص٤٣ ـ ٤٤ رقم ٨٥).

١١ ـ طــاوس بن كيسان
أحد الأعلام علماً وعملًا

هو طاوس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي، ثـم الـيمني الجَـنَدي الحافظ، كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ الـيمن لـه، فقيل: هو مولى بحير بن ريسان الحميري، وقيل: بل ولاؤه لهمدان. ولد في خلافة عثمان بن عفان أو قبل ذلك.

سمـع مـن زيـد بـن ثابـت وعائشة وأبي هريرة وزيد بن أرقم وابن عباس، ولازمه مدة وهو معدود في كبراء أصحابه. قيل إن اسمه ذكوان، وطاوس لقب.

روى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: إني لأظن طاوسًا من أهل الجنة.

وقال قيس بن سعد: هو فينا مثل ابن سيرين في أهل البصرة.

عـن ابـن أبـي نجـيح قـال: قال مجاهد لطاوس: رأيتك يا أبا عبد الرحمن تصـلي في الكعـبة، والـنبي ﷺ علـى بابهـا يقـول لـك: اكشف قناعك، وبيِّن قـراءتك. قـال طاوس: اسكت لا يسمع هذا منك أحد. قال: ثم خُيِّل إليَّ أنه انبسط في الكلام. يعنى فرحًا بالمنام.

عن ابن عيينة قال: قال عمر عبد العزيز لطاوس: ارفع حاجتك إلى أمير المؤمـنين ـ يعـني سـليمان بـن عـبد الملـك ـ قال: مالي إليه حاجة. فكأن عمر عجب من ذلك.

قـال سـفيان: وحلـف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة: ورب هذه البنية ما رأيت أحدًا، الشريفُ والوضيع عنده بمنزلة، إلا طاوسًا.

حدّث النعمان بن الزبير الصنعاني أن محمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى بعث إلى طاوس بسبع مائة دينار أو خمسمائة. وقيل للرسول: إن أخذها الشيخ منك، فإن الأمير سيحسن إليك ويكسوك فقدم بها على طاوس الجند فأراده على أخذها، فأبى فغفل طاوس فرمى بها الرجل في كُوَّة البيت، ثم ذهب وقال لهم: قد أخذها. ثم بلغهم عن طاوس شيء يكرهونه، فقال: ابعثوا إليه، فليبعث إلينا بمالنا. فجاءه الرسول، فقال: المال الذي بعث به الأمير إليك. قال طاوس: ما قبضت منه شيئًا. فرجع الرسول وعرفوا أنه صادق، فبعثوا إليه الرسول الأول، فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبد الرحمن. قال: هل قبضت منك شيئا؟ قال: لا. ثم نظر حيث وضعه، فمد يده فإذا بالصرة قد بنى العنكبوت عليها، فذهب بها إليهم.

قال ابن شهاب: لو رأيت طاوسًا علمت أنه لا يكذب.

وعن حبيب بن أبي ثابت قال: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلهم عند أحد: عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة.

وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: ما رأيت عالمًا قط يقول: لا أدرى أكثر من طاوس.

وعن ليث قال: كان طاوس إذا شدَّد الناسُ في شيء رخص هو فيه، وإذا ترخص الناس في شيء شدّد فيه.

وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يجل طاوسًا، ويأذن له مع الخواص. ولما قدم عكرمة اليمن، أنزل طاوس عنده، وأعطاه نجيبًا.

وعن عمرو بن دينار قال: حدثنا طاوس ولا تحسبن فينا أحدًا أصدق

لهجة من طاوس. وعنه قال: ما رأيت أحدًا قط مثل طاوس.

قال ابن عيينة: قلت لعبيد الله بن أبي يزيد: مع من كنت تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: وطاوس؟ قال: أَيْهَاتِ[1]! ذاك كان يدخل مع الخواص.

وعن ليث بن أبي سليم قال: كان طاوس يعُدُّ الحديث حرفًا حرفًا، وقال: تعلّم لِنفسك، فإن الناس قد ذهبت منهم الأمانة.

قال ابن معين وأبو زرعة: طاوس ثقة.

وقال ابن حبان: كان من عُبَّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، مستجاب الدعوة، حج أربعين حجة.

وعن ابن أبي روّاد قال: رأيت طاوسًا وأصحابه إذا صلوا العصر استقبلوا القبلة، ولم يكلموا أحدًا، وابتهلوا بالدعاء.

روي عن يحيى بن معين قال: سُمِّي طاوسًا، لأنه كان طاوس القراء.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: طاوس أحب إليك أم سعيد بن جبير؟ قال: ثقات. ولم يخير.

قال عبد الرزاق عن أبيه: كان طاوس يصلي في غداة باردة مُغيِّمة فمر به محمد بن يوسف أخو الحجاج بن يوسف أو أيوب بن يحيى في موكبه وهو ساجد، فأمر بساج أو طيلسان مرتفع فطرح عليه فلم يرفع رأسه، حتى فرغ من حاجته، فلما سلم نظر فإذا الساج عليه، فانتفض ولم ينظر إليه ومضى إلى منزله.

---

(١) بمعنى: بعد، مثل هيهات.



وقال معمر بن سليمان الرقي عن عبد الله بن بشر أن طاوسًا كان له طريقان إلى المسجد طريق في السوق، وطريق آخر، وكان يأخذ في هذا يومًا وفي هذا يومًا، فإذا مر في طريق السوق، فرأى تلك الرؤوس المشوية، لم يتعش تلك الليلة. وفى رواية: لم ينعس.

وعن الحسن بن حصين بن أبي الحر العنبري: مرّ طاوس بروّاس، فأخرج رأساً، فغشي عليه.

وعن معمر عن ابن طاوس قال: كنت لا أزال أقول لأبي: إنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان، وأن يفعل به. قال فخرجنا حجاجًا، فنزلنا في بعض القرى، وفيها عامل لمحمد بن يوسف أو أيوب بن يحيى يقال له: أبو نجيح، وكان من أخبث عُمّالهم، فشهدنا صلاة الصبح في المسجد، فإذا أبو نجيح قد أُخبر بطاوس، فجاء فقعد بين يديه فسلم عليه فلم يجبه، ثم كلمه فأعرض عنه، ثم عدل إلى الشق الآخر، فأعرض عنه. فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده، وجعلت أسائله، وقلت له: إن أبا عبد الرحمن لم يعرفك، فقال: بلى، معرفته بي، فعل بي ما رأيت. قال: فمضى وهو ساكت، لا يقول لي شيئا، فلما دخلت المنزل، التفت إليّ فقال لي: يا لكع بينما أنت زعمت تريد أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أحدًا أعف عما في أيدي الناس من طاوس.

وقال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر في زمانه، وطاوس في زمانه، والثوري في زمانه.

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي قال: رأيت طاوسًا وبين عينيه أثر السجود.



عـن عمر بن شبة قال: حدثنا أبو عاصم قال: زعم لي سفيان قال: جاء ابـن لسـليمان بـن عـبد الملك فجلس إلى جنب طاوس. فلم يلتفت إليه، فقيل لـه: جلـس إلـيك ابـن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه. قال: أردت أن يعلم هو وأبوه أن لله عبادًا يزهدون فيهم وفيما في أيديهم.

عـن أحمد بن حنبل قال: حدثني عبد الرزاق قال: قدم طاوس مكة فقدم أمـير، فقـيل لـه: إن من فضله، ومن، ومن، فلم أتيته؟ قال: مالي إليه حاجة. قالوا: إنا نخافه عليك قال: فما هو إذًا كما تقولون.

عـن عـبد المـنعم بن إدريس عن أبيه قال: صلى وهب بن منبه وطاوس اليماني الغداة بوضوء العتمة أربعين سنة.

وعـن أبـي إسـحاق الصـنعاني قـال: دخل طاوس ووهب بن منبه على محمـد بـن يوسف أخي الحجاج، وكان عاملًا علينا في غداة باردة فقعد طاوس علـى الكرسـي فقـال محمـد: يا غلام هلم ذلك الطيلسان، فألقه على أبي عبد الـرحمن. فألقـوه عليه، فلم يزل يحرك كتفيه حتى ألقى عنه الطيلسان، وغضب محمـد بـن يوسـف. فقـال لـه وهـب: والله إن كنتَ لغنيًّا أن تغضبه علينا، لو أخـذت الطيلسـان فبعته، وأعطيت ثمنه المساكين، فقال: نعم لولا أن يقال من بعدي: أخذه طاوس فلا يصنع فيه ما أصنع، لفعلت.

وعـن أحمـد بـن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان قال: كان طاوس يفـترش فراشـه، ثـم يضـطجع فيتقلـى كمـا تتقلـى الحـبة في المقلى، ثم يثب، فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح، ويقول: طيّر ذكر جهنم نوم العابدين.

عن حنظلة قال: كنت أمشي مع طاوس فمر بقوم يبيعون المصاحف فاسترجع.

قال ابن العماد في الشذرات: وكان أعلم التابعين بالحلال والحرام.

وقال ابن كثير في البداية: وكان أحد الأئمة الأعلام، قد جمع العبادة والزهادة والعلم النافع والعمل الصالح، وقد أدرك خمسين من الصحابة، وأكثر روايته عن ابن عباس، وروى عنه خلق من التابعين وأعلامهم.

ولما حج سليمان بن عبد الملك قال: انظروا إلي فقيها أسأله عن بعض المناسك، قال: فخرج الحاجب يلتمس له، فمر طاوس فقالوا: هذا طاوس اليماني، فأخذه الحاجب فقال: أجب أمير المؤمنين. فقال: اعفني. فأبى فأدخله عليه. قال طاوس: فلما وقفت بين يديه قلت: إن هذا المقام يسألني الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن صخرة كانت على شفير جهنم هوت فيها سبعين خريفا حتى استقرت في قرارها، أتدري لمن أعدها الله؟ قال: لا! ويلك لمن أعدها الله؟ قال: لمن أشركه الله في حكمه فجار.وفى رواية ذكرها الزهري أن سليمان رأى رجلاً يطوف بالبيت له جمال وكمال. فقال له: ما حدثتنا؟ فقال: حدثني أبو موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهون الخلق عل الله ـ عز وجل ـ من ولي من أمور المسلمين شيئا فلم يعدل فيهم**» فتغير وجه سليمان فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه إليه فقال: لو ما حدثتنا؟ فقال: حدثني رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال ابن شهاب: طننت أنه أراد عليًّا ـ قال: دعاني رسول الله ﷺ إلى طعام في مجلس من مجالس قريش، ثم قال: «**إن لكم على قريش حقًّا، ولهم على الناس حق ما إذا استرحموا رحموا، وإذا حكموا عدلوا، وإذا ائتمنوا أدوا، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً**» قال: فتغير وجه سليمان فأطرق

طويلا ثم رفع رأسه إليه، وقال: لو ماحدثتنا؟ فقال: حدثني ابن عباس أن آخر آية نزلت من كتاب الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وعن حميد بن وهب القرشي عن بني طاوس قالوا: كان طاوس يخضب بالصفرة.

وعن جرير بن حازم قال: رأيت طاوسًا يخضب بحناء شديد الحمرة.

وقال حنظلة: رأيت طاوسًا يخضب رأسه ولحيته بالحناء.

عن وكيع قال: حدثنا أبو عبد الله الهاشمي، قال: أتيت طاوسًا فخرج إليّ ابنه شيخ كبير، فقلت له: أنت طاوس؟ فقال: أنا ابنه. قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف فقال: ابنه: إن العالم لا يخرف. فدخلت عليه فقال لي طاوس: سل وأوجز. قلت: إن أوجزت أوجزت لك. قال طاوس: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟ قلت: نعم. قال: خفِ الله ـ تعالى ـ مخافة لا يكون عندك شيء أخوف منه، وأرجه رجاءً هو أشد من خوفك إياه، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

وعن ليث قال طاوس: ما من شيء يتكلم به ابن آدم إلا أحصي عليه حتى أنينه في مرضه.

وعن سفيان الثوري قال: كان طاوس يجلس في بيته، فقيل له في ذلك. فقال: حيف الأئمة وفساد الناس.

وعن معمر عن ابن طاوس أو غيره أن رجلاً كان يسير مع طاوس فسمع غرابًا ينعب. فقال الرجل: خير. فقال طاوس: أي خير عند هذا أو شر، لا تصحبني ـ أو لا تمشي معي ـ.

وعـن ابـن أبـي نجيـح عـن أبيه أن طاوسًا قال لـه: أي أبا نجيح من قال واتقى الله خير من صمت واتقى الله.

وعـن مسـعر عـن رجـل قـال: أتـى طاوس رجلاً في السحر فقالوا: هو نائم. قال: ما كنت أرى أن أحدًا ينام في السحر.

وعن هشام بن حجير قال طاوس: لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج.

وعن إبراهيم بن ميسرة قال: قال لي طاوس: لتنكحن أو لأقولن ما قال عمر بن الخطاب لأبي الزوائد: ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور.

عن سفيان يقول: سمعت طاوساً يقول: لا يحرر دين المرء إلا حفرته.

وعن الليث عن طاوس قال: حج الأبرار على الرحال.

وعـن ابـن طـاوس عـن أبـيه قال: البخل أن يبخل الإنسان بما في يديه، والشح أن يحب الإنسان أن يكون لـه ما في أيدي الناس بالحرام لا يقنع.

وعـن الليـث عـن طـاوس قـال: ألا رجـل يقـوم بعشر آيات من الليل فيصبح قد كتب لـه مئة حسنة أو أكثر من ذلك.

وكـان مـن دعـاء طاوس ـ رحمه الله ـ: اللهم احرمني كثرة المال والولد، وارزقني الإيمان والعمل.

عـن عـبد الله بـن طـاوس قـال: كـان سيرنا إلى مكة مع أبي شهرًا، فإذا رجعـنا سـار بـنا شهرين، فقلنا لـه في ذلك. فقال: بلغني أن الرجل لا يزال في سبيل الله حتى يأتي بيته.

دخـل طـاوس علـى عـبد الله بن صالح المكي يعوده، فقال لطاوس: يا أبا عبد الرحمن ادع الله لي. فقال طاوس: ادع لنفسك، فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

وعن ابن جريج قال: قال لي عطاء: جاءني طاوس فقال لي: ياعطاء إياك أن ترفع حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وجعل دونك حجابا، وعليك بطلب حوائجك إلى من بابه مفتوح إلى يوم القيامة، طلب منك أن تدعوه، ووعدك بالإجابة.

وعن ليث بن سليم قال: قال لي طاوس: ما تعلمت فتعلمه لنفسك، فإن الأمانة والصدق قد ذهبا من الناس.

قال طاوس: حلو الدنيا مر الآخرة، ومر الدنيا حلو الآخرة.

وقال: لم يجهد البلاء من لم يتول اليتامى، أو يكون قاضيا بين الناس في أموالهم، أو أميرًا على رقابهم.

وأوصى ابنه قائلا: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم، واعلم أن لكل شيء غاية، وغاية المرء حسن خلقه.

سئل طاوس ـ رحمه الله ـ عن أفضل ما يقال على الميت؟ فقال: الاستغفار.

عن عبد الكريم بن أبى المخارق قال: قال لنا طاوس: إذا كنتُ في الطواف فلا تسألوني عن شيء، فإنما الطواف صلاة.

وكان رحمه الله يكره أن يسأل الإنسان بوجه الله.

وعن عمرو بن دينار عن طاوس قال: لا أعلم صاحبًا شرًّا من ذي مالٍ وذي شرف.

وعن سلمة بن وهرام قال: مروا على طاوس بسارق، فافتداه بدينار وأرسله.

وعن ليث عن طاوس قال: كان يذكر عن ابن عباس: الخلع طلاق.

فأنكره سعيد بن جبير فلقيه طاوس فقال: لقد قرأت القرآن قبل أن تولد، ولقد سمعته وأنت إذ ذاك همك لقم الثريد.

وعن عبد الله بن طاوس أن أباه قال: عجبت لإخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمنًا!!

وعن يوسف بن أسباط قال: مر طاوس بنهر قد كُري ، فأرادت بغلته أن تشرب، فأبى أن يدعها. ـ يعني: كَراهُ السلطان ـ.

عن داود بن إبراهيم أن الأسد حبس الناس ليلة في طريق الحج فدق الناس بعضهم بعضا. فلما كان السحر ذهب عنهم، فنزلوا وناموا وقام طاوس يصلي، فقال له رجل: ألا تنام؟ فقال طاوس: وهل ينام أحد السحر!

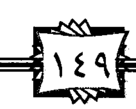
روى عبد الرزاق عن أبيه قال: مات طاوس بمكة فلم يصلوا عليه حتى بعث ابن هشام بن عبد الملك بالحرس. قال فلقد رأيت عبد الله بن الحسن بن الحسن واضعًا السرير على كاهله. فسقطت قلنسوة كانت عليه ومزق رداؤه من خلفه، فما زايله إلى القبر، توفي بمزدلفة أو بمنى.

وعن ابن شوذب قال: شهدت جنازة طاوس بمكة سنة خمس ومائة فجعلوا يقولون: رحم الله أبا عبد الرحمن حج أربعين حجة.

وقال محمد بن عمر الواقدي ويحيى القطان والهيثم وغيرهم: مات طاوس سنة ست ومئة.

ويقال: كانت وفاته يوم التروية في ذي الحجة وصلى عليه الخليفة هشام ابن عبد الملك.

وقال ابن سعد في الطبقات: وكان له يوم مات بضع وتسعون سنة.



وذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة أنه كان له يوم مات بضع وتسعون سنة.

ورحم الله أبا نعيم يوم أن قال عنه: ومنهم المتفقه اليقظان، المتعبد الحسان، أبو عبد الله طاوس بن كيسان، أول الطبقة من أهل اليمن الذين قال فيهم النبي ﷺ «**الإيمان يمان**».

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٤/ ٣-٢٦ رقم٢٤٩).
٢- تهذيب الكمال (١٣/ ٣٥٧-٣٧٤ رقم٢٩٥٨).
٣- سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨-٤٩رقم ١٣).
٤- الطبقات الكبرى (٦/ ٦٦-٧٠ رقم ١٧٥٤).
٥- المنتظم (٧/ ١١٥ رقم ٥٨٤).
٦- صفة الصفوة (٢/ ٥٧٢-٥٧٦ رقم ٢٤٣).
٧- تهذيب التهذيب (٢/ ٢٣٥).
٨- شذرات الذهب (٢/ ٤٠-٤١).
٩- البداية والنهاية (٩/ ٢٤١-٢٤٩).
١٠- طبقات الحفاظ (ص٤١ رقم ٧٧).

١٢ ـ وهب بن منبه
الحكيم الحليم

هـو وهـب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الأسوار الإمام العلاَّمة الإخباري القصصي أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني.

ولد في زمن عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ سنة أربع وثلاثين.

كان من أبناء فارس، لـه شرف.

قال العجلي: تابعي ثقة، وكان على قضاء صنعاء.

وقال أبو زرعة والنسائي: ثقة.

وذكره ابن حبان في الثقات.

قـال أحمـد بن محمد بن الأزهر: سمعت مسلمة بن همام يذكر عن آبائه: أن همامـاً ووهـباً وعـبد الله ومعقلاً ومسلمة بنو منبه أصلهم من خراسان من هـراه، فمنبه من أهل هراة خرج أيام كسرى، وكسرى أخرجه من هراة، ثم أنه أسلم على عهد النبي ﷺ فحسن إسلامه ومسكنهم باليمن.

قـال المثنى بن الصباح: لبث وهـب بن منبه أربعين سنة لم يسب شيئًا فيه الروح، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءًا.

وقـال عـبد الصمد بن معقل بن منبه: صحبت عمِّي وهبًا أشهرًا يصلي الغداة بوضوء العشاء.

وعـن مسـلم الزنجـي قال: لبث وهـب بن منبه أربعين سنة لا يرقد على فراش، وعشرين سنة لم يجعل بين العتمة والصبح وضوءًا.

روى عبد المنعم بن إدريس عن أبيه، قال: كان وهب يحفظ كلامه كل يوم، فإن سلم أفطر، وإلا طوى.

قال عبد الصمد بن معقل، قال الجعد بن درهم: ما كلمت عالمًا قط إلا غضب وحل حبوته غير وهب.

عن منير مولى الفضل بن أبي عياش قال: كنت جالسًا مع ابن منبه، فأتاه رجل فقال: إني مررت بفلان وهو يشتمك، فغضب، وقال: ما وجد الشيطان رسولاً غيرك! فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الشاتم فسلم على وهب، فرد عليه ومد يده، وصافحه وضحك في وجهه وأجلسه إلى جنبه.

وعن سماك بن الفضل قال: كنا عند عروة بن محمد الأمير وإلى جنبه وهب، فجاء قوم فشكوا عاملهم وذكروا منه شيئا قبيحًا، فتناول وهب عصا كانت في يد عروة فضرب بها رأس العامل حتى سال الدم فضحك عروة واستلقى، وقال: يعيب علينا وهب الغضب وهو يغضب!! قال وهب: ومالي لا أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. يقول: أغضبونا.

عن كثير بن عبيد بن كثير أنه سار مع وهب حتى باتو في دار بصعدة عند رجل من أهل صعدة، فأنزلوا مصابيحهم، وخرجت ابنة الرجل فرأيت عنده مصباحًا فاطلع إليه صاحب المنزل، فنظر إليه صافًا قدميه في ضياء كأنه بياض الشمس فقال الرجل: رأيتك الليلة في هيئة ما رأيت فيها أحدًا. قال وهب: وما الذي رأيت؟ قال: رأيتك في ضياء أشد من الشمس؟ قال وهب: اكتم ما رأيت.

وعن عبد الصمد بن معقل، قيل لوهب بن منبه: يا أبا عبد الله إنك كنت ترى الرؤيا فتحدثنا بها فتكون حقًّا. وفي رواية: فلا نلبث أن نراها كما رأيت. قال وهب: هيهات ذهب ذلك عني منذ وليت القضاء.

وقال أحمد بن حنبل عن عبد الرزاق: سمعت أبي يقول: حج عامة الفقهاء سنة مئة، فحج وهب، فلما صلوا العشاء أتاه نفر فيهم عطاء والحسن ابن أبي الحسن وهم يريدون أن يذاكروه القدر. قال: فافتنَّ في بابٍ من الحمد فمازال فيه حتى طلع الفجر، فافترقوا ولم يسألوه عن شيء.قال أحمد: وكان يتهم بشيء من القدر، ورجع.

وقال حماد بن سلمة عن أبي سنان: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابًا من كتب الأنبياء، في كلها: من جعل إلى نفسه شيئًا من المشيئة فقد كفر. فتركت قولي.

وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: وهب بن منبه كان كتب كتابا في القدر،ثم حُدِّثتُ أنه ندم عليه.

وعن عمرو بن دينار قال: دخلت على وهب بن منبه داره بصنعاء، فأطعمني جَوْزا من جَوْزة في داره، فقلت له: وددتُ أنك لم تكن كتبت في القدر كتابًا. فقال: وأنا والله لوددتُ ذلك.

هذا هو وهب بن منبه التابعي الجليل، كان يشبه كعب الأحبار، له صلاح وعبادة ومعرفة بكتب الأوائل، وكان ثقة، صادقاً، كثير النقل من كتب الإسرائيليات. أدرك وهب بن منبه عدة من الصحابة، وأسند عن ابن عباس وجابر والنعمان بن بشير، وروى عن معاذ بن جبل وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس.

ويروى عنه أقوال حسنة وحكم ومواعظ.

فعنه قال : العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمه، والصبر أمير جنوده، والرفق أبوه، واللين أخوه.

وقال : الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه.

وقال : المؤمن ينظر ليعلم ويسكت ليسلم، ويتكلم ليفهم، ويخلو ليغنم. ثلاث من كن فيه أصاب البر : السخاء، والصبر على الأذى، وطيب الكلام.

وعنه قال: إذا سمعت من يمدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك.

وروى عبد الرزاق بن همام عن أبيه قال: رأيت وهبًا إذا قام في الوتر قال: لك الحمد السرمد حمدًا لا يحصيه العدد، ولا يقطعه الأبد، كما ينبغي لك أن تحمد، وكما أنت له أهل، وكما هو لك علينا حق.

وقال إسماعيل بن عبد الكريم: حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول لرجل من جلسائه: إلا أعلمك علمًا لا يتعايا الفقهاء فيه؟ قال: بلى. قال: إن سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بعلمك، وإلا فقل: لا أدري.

ومن مواعظة : يا ابن آدم قد مضت لنا أصول نحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد أصله.

أيها الناس إنما البقاء بعد الفناء، وقد خلقنا ولم نكن، سنبلى ثم نعود، ألا وإنما العواري اليوم والهبات غدًا. ألا وإنه قد تقارب منا سلب فاحش أو إعطاء جزيل، فاستصلحوا ما تقدمون بما تظعنون عنه.

أيها الناس إنما أنتم في هذه الدار غرض فيكم المنايا تنتضل، وإن الذي

أنـتم فـيه من دنياكم نهب للمصائب، لا تتناولون فيها نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يسـتقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بهدم آخر، ولا تجدد زيادة في أجله إلا بنفاد ما قبله من رزقه، ولا يحيا لـه أثر إلا مات لـه أثر.

وعن أبي سنان القسملي قال: سمعت وهب بن منبه، وأقبل على عطاء الخرسـاني، فقـال: ويحك يا عطاء ألم أخبر أنك تحمل علمك إلى أبواب الملوك وأبـناء الدنـيا؟ ويحـك يـا عطـاء تأتـي مـن يُغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره، ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه، ويظهر لك غناه ويقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ ويحـك يـا عطاء ارْضَ بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضَ بالـدون مـن الحكمـة مع الدنيا. ويحك يا عطاء إن كان يغنيك ما يكفيك، فإن أدنـى مـا في الدنيا يكفيك وإن كان لا يغنيك ما يكفيك، فليس في الدنيا شيء يكفيك. ويحك يا عطاء إنما بطنك بحر من البحور ووادٍ من الأودية فليس يملؤه إلا التراب.

وعن جعفر بن برقان عن وهب بن منبه قال: الإيمان قائد والعمل سائق والـنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئا، وإذا سـاق السـائق ولم يقـد القائـد لم يغن ذلك شيئاً، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعاً وكرهاً وطاب العمل.

وعـن إسماعـيل بـن عـبد الكـريم عـن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهـب بـن منـبه يقول لرجل من جلسائه: ألا أعلمك طبًّا لا يتعايا فيه الأطباء وفقهـاً لا يـتعايا فـيه الفقهـاء، وحلمـاً لا يـتعايا فـيه الحلمـاء قـال: بلى يا أبا عـبد الله! قـال: أمـا الطـب الذي لا يتعايا فيه الأطباء، فلا تأكل طعاماً إلا ما

سميت الله على أوله وحمدته على آخره. وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء، فإن سئلت عن شيء عندك فيه علم فأخبر بعلمك وإلا فقل: لا أدري. وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه الحلماء فأكثر الصمت إلا أن تسأل عن شيء.

وقال عبد العزيز بن حوران: سمعت وهب بن منبه يقول: مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى.

وعنه قال: إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السخرية بالناس.

وعن بكار بن عبد الله قال: سمعت وهب بن منبه يقول : مر رجل عابد على رجل عابد فقال: مالك؟ قال: عجبت من فلان أنه قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا، فقال: لا تعجب ممن تميل به الدنيا، ولكن اعجب ممن استقام.

وعن سماك بن الفضل عن وهب بن منبه قال: مثل الذي يدعو بغير عمل مثل الذي يرمي بغير وتر.

وعن عبد الصمد عن وهب بن منبه قال: من أصيب بشيء من البلاء فقد سلك به طريق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وقال وهب : قرأت في كتاب رجل من الحواريين : إذا سلك بك طريق البلاء أو قال: طريق أهل البلاء فطب نفساً، فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين، وإذا سلك بك طريق الرخاء فقد أخذ بك طريق غير طريق الأنبياء والصالحين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وقال وهب بن منبه لسعيد بن جبير: يا أبا عبد الله كم لك منذ خفت من الحجاج؟ قال: خرجت عن امرأتي وهي حامل فجاءني الذي في بطنها وقد خرج وجهه، فقال له وهب : إن من كان قبلكم كان إذا أصاب أحدهم

بلاء عده رخاء، وإذا أصابه رخاء عده بلاء.

وقال وهب : من يتعبد يزداد قوة، ومن يكسل يزداد فترة.

وقال: ليس من بني آدم أحد أحب إلى شيطانه من النؤوم الأكول.

وقال محمد بن سعيد بن رمانة: أخبرني أبي قال: قيل لوهب بن منبه : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى! ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان، من أتى الباب بأسنانه فتح له، ومن لم يأت الباب بأسنانه لم يفتح له.

وعن وهب قال: إني لأتفقد أخلاقي ما فيها شيء يعجبني.

وقال الحارث بن محمد بن أبي أسامة التميمي: حدثنا داود بن المُحَبَّر، قال: حدثنا عَباد بن كثير عن أبي إدريس، عن وَهْب بن منبه، قال: من أخلاق العاقل عشرة أخلاق: الحِلْم، والعلم، والرشد، والعفاف، والصيانة، والحياء، والرزانة، ولزوم الخير والمداومة عليه، ورفض الشر وبغضه له ولأهِله، وطواعية الناصح وقبوله منه، فهي عشر خِصال من أخلاق العاقل، ويتشعب من كُل خَصلةٍ منها عشرةُ أخلاق صالحة:

فالحلمُ يتشعب منه : حُسنُ العاقبة، والمحمدة في الناس، وشرفُ المنزلة، والتسليم من السفه، وركوب الجميل من الفعل، وصحبة الأبرار، ويرتدع من الضَّعة، ويرتفع من الخَسَاسة، وينتهي إليه البر، ويقربه من معالي الدرجات.

والعلمُ يتشعب منه : الشرف وإن كانَ دَنِيا، والعز وإن كان مهينا، والغِنَى وإن كان فقيراً، والقوة وإن كان ضعيفاً، والنبل وإن كان حقيراً، والقرب وإن كان قصيا، والجود وإن كان بخيلاً، والحياء وإن كان صَلفاً، والمهابة وإن كان وضيعا، والسلامة وإن كان سفيهاً.

ويتشعب من الرشد: الرَّشاد، والهُدى، والبرُّ، والتُّقَى، والعبادة، والقَصدُ، والاقتصاد، والثواب، والكرم، والصدق.

ويتشعب من العفاف : الكفاية، والاستكانة، والمصادقة، والموافقة، والبصر، واليقين، والسداد، والرِّضى، والراحة.

ويتشعب من الصيانة: الكف، والورع، وحسن الثناء، والتزكية، والمروءة، والتكرم، والغبطة، والسرور، والمنالة، والتفكُّر.

ويتشعب من الحياء: اللين، والرقة، والرجاء، والمخافة، والسماحة، والصحة، والمداومة على الخير، وحسن السياسة، والمطاوعة، وذل النفس.

ويتشعب من الرزانة: الراحة، والسكون، وعلو، وتمكن، وتأنٍّ، وحظوة، وتكرم.

ويتشعب من المداومة على الخير: الصلاح، والقرار، والإخبات، والإنابة، والسؤدد، والظفر، والرضى في الناس، وحسن العاقبة.

ويتشعب من كراهية الشر: حسنُ الأمانة، وترك الخيانة، واجتناب الشر، وحب الخير، وتحصين الفرج، وصدق اللسان، وحب التواضع لمن هو فوقه، والإنصاف لمن هو دونه، وحسن الجوار، ومجانبة خلطاء السوء.

ويتشعب من طاعة الناصح : زيادة في الفضل، وكمال في اللب، ومحمدة في العواقب، والسلامة من اللؤم، والبعد عن الطيش، واستصلاحُ المال، ومراقبة ما هو نازل، والاستعداد للعدو، والاستقامة على المنهاج، ولزوم الرشاد. فتلك مئة خصلة من أخلاق العاقل.

ومن أخلاق الجاهل عشرة أخلاق سيئة: الطيش، والسفة، والضجر، والعجلة، والغضب، والملامة، والكذب، وبغض الخير، وحب الشر، وطاعة الغاش.

ويتشعب من الطيش: سوء الصنيع، والصَّلَف، والرَّدَى، والهوان، والسفال، والغِل، والعمى، والرَّذِل، والعَنَى، والذل.

ويتشعب من السفه: كثرةُ الكلام في غير الحق فيما عليه ولا له، والخوض في الباطل، وصحبة الفجار، والإنفاق في السرف، والاختيال، والبذخ، والمَكُر، والخديعة، والاغتياب، والسباب.

ويتشعب من الضجر: ترك الحق، والميل إلى الباطل والرديء، ومتابعة الهوى، وقطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وسوء اليقين، والتفريط في العمل، والنسيان، والهم، والخنا.

ويتشعب من العجلة: الخسران، والندامة، وقلة الفهم، وسوء النظر، وفراق الصاحب، وطلاق المرأة، وتضييع المال، وشماتة العدو، واكتساب الشر، واكتساب الملامة والمذمة.

ويتشعب من الغضب: قتلُ النفس ظلماً، وركوبُ الصديق بالقبح، وضربُ الخادم، واقتحامُ المعاصي، ومباشرة العيوب، ومصاولة الحميم ومصارمته، والأيمان الكاذبة، وفراق الأحبة ومصارمتهم، وسوء ذات البين، والتعبُ في طلب المعاذير.

ويتشعب من الملامة: سوء المعاشرة، ومنابذة الصديق، وتقريب العدو، وحب الفاحشة، وبغض التقوى، وطاعة الغاش، والجبن عند البأس، وخذلان الأصحاب، والميل إلى أهل العمى، والمسارعة في الشر.

ويتشعب من الكذب: الغدر، والفجور، والمقت عند ذوي الألباب وغيرهم، والفخر بالباطل، ومدحه الفاسقين، والإفراط في البذل، واختلاط العقل، وحب الشقاء وأهله، وبغض السعادة وأهلها، والتهمة عند الخلق وإن صدق.

ويتشعب من بغض الخير: إطاعة الشيطان، ومعصية المرشد، والكسل عن الرشد، والمسارعة في الغي، والجفاء، والحقد، والمذمة، والاستطالة، والردى.

ويتشعب من حب الشر: أكل الحرام، ومنع الصدقات، وتضييع الصلوات، والاستخفاف بالذنب، والانهماك في الطغيان والمعصية، واقتحام المهالك، واختيار البلايا والشقاء، والثناء على أهل المنكر والرضى بصنيعهم، ومذمة الصالحين والطعن عليهم.

ويتشعب من طاعة الغاش: الصدود عن الخير والمعروف، والمسارعة إلى الشر والمنكر، واستحلال الفروج، وركوب الفواحش، وأذى الجيران، وبغض الإخوان والإساءة إلى المرأة، والتواني عن النجاح، وبغض القرآن، ومعصية الرب. فتلك مئة خصلةٍ سيئةٍ من أخلاق الجاهل.

وقال وهب: اتخذوا اليد عند المساكين، فإن لهم يوم القيامة دولة.

وقال: مثل من تعلم علمًا لا يعمل به كمثل طبيب معه دواء لا يتداوى به.

جاء رجل إلى وهب فقال له: علمني شيئاً ينفعني الله به. قال: أكثر من ذكر الموت واقصر أملك، وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى، وظفرت بالعبادة الكبرى. قال: وما هي؟ قال : التوكل.

ومات رحمه الله في سنة عشر ومائة وقيل: إنه امتحن وحبس وضرب، فروى حبان بن زهير العدوي قال: حدثني أبو الصيداء صالح بن طريف قال:

لما قدم يوسف بن عمر العراق بكيتُ وقلتُ: هذا الذي ضرب وهب بن منبه حتى قتله.

فرحمه الله رحمة واسعة. ورحم الله أبا نعيم حيث قال فيه : ومنهم الحكيم الدامغ للمشبه، الحليم الدافع للمتسفه أبو عبد الله وهب بن منبه.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٤/ ٢٧ - ٨٤ رقم ٢٥٠).
٢- تهذيب الكمال (٣١/ ١٤٠ ١٦٢ رقم ٦٧٦٧).
٣- سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤ - ٥٥٦ رقم ٢١٩).
٤- الطبقات الكبرى (٦/ ٧٠ - ٧١ رقم ١٧٥٥).
٥- تهذيب التهذيب (٤/ ٣٣٢ - ٣٣٣).
٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ١٤٠-١٤٢ رقم ٦٠٣).
٧- شذرات الذهب (٢/ ٧٣ - ٧٤).
٨- صفة الصفوة (٢/ ٥٧٦ - ٥٧٩ رقم ٢٤٤).
٩- البداية والنهاية (٩/ ٢٨١ - ٣٠٦).

١٣ ـ مالك بن دينار
علم العلماء الأبرار

هـو السـيد الكـبير الولي الشهير، علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات الـتابعين أبـو يحيـى مالـك بـن ديـنار البصري الزاهد المشهور، من أعيان كتبة المصـاحف، كـان مـولى لـبني سـامة بـن لؤي بن غالـب بن فهر بن مالك، أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة، ولا يأكل إلا من عمل يده.

ولد في أيام ابن عباس وسمع من أنس بن مالك فمن بعده، وحدّث عنه وعـن الأحـنف بـن قيس وسعيد بن جبير والحسن البصري ومحمد بن سيرين والقاسم بن محمد وعِدة. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن.

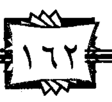
كان أبوه من سبي سجستان. وقيل: من كابل.

وذكـره ابـن حـبان في الـثقات وقـال: كـان يكـتب المصـاحف بالأجـرة ويـتقوت بأجـرته، وكـان لا يأكـل شيئاً من الطيبات، وكان من المتعبدة الصُّبر والمتقشفة الخُشن.

وقال ابن سعد : كان ثقة قليل الحديث.

مرَّ والي البصرة بمالك يرفل، فصاح به مالك: أقل من مشيتك هذه.

فَهَـمَّ خَدَمُـهُ بـه، فقـال الوالـي للخـدم : دعـوه، وقـال لمالـك: ما أراك تعـرفني؟ فـرد علـيه مالـك رد العـالم الواثق بالله الناصح المشفق المبكت قائلاً للوالـي: ومن أعرف بك مني! أما أولك فنطفة مذرة، وأما آخرك فجيفة قذرة،



ثـم أنـت بين ذلك تحمل العذرة. فنكس الوالي رأسه حياءً منه وانصرف وهو منكسر، وقال الوالي: الآن عرفتني حق المعرفة.

وقيل : دخل عليه لص، فما وجد ما يأخذ، فناداه مالك: لم تجد شيئاً من الدنـيا، فترغـب في شيء من الآخرة؟ قال اللص : نعم. قال لـه مالك: توضأ وصـلِّ ركعتين. ففعل اللص ثم جلس وخرج معه إلى المسجد. ولما سئل مالك عنه قال : جاء ليسرق فسرقناه.

دخـل مالـك بـن دينار وثابت ويزيد الرقاشي على أنس بن مالك فنظر إلـيهم، وقـال لهـم: مـا أشبهكم بأصحاب محمد ﷺ، لأنتم أحب إليَّ من عِدة ولدي، إلا أن يكونوا في الفضل مثلكم. إني لأدعو لكم في الأسحار.

وقال الدارقطني : مالك بن دينار ثقة، ولا يكاد يحدث عنه إلا ثقة.

وقال سليمان التيمي: ما أدركت أحداً أزهد من مالك بن دينار.

دخـل جابر بن زيد على مالك وهو يكتب المصحف، فقال لـه: يا مالك مالَكَ عَمَلٌ إلا هذا؟ تنقل كتاب الله، هذا والله الكسب الحلال.

وعن شعبة قال: كان أُدم مالك بن دينار في كل سنة بفلسين ملح.

وقـال جعفـر بـن سليمان: كـان ينسـخ المصحف في أربعة أشهر، فيدع أجرته عند البقال فيأكله.

وقـال عـثمان بـن إبـراهيم: سمعـت مالـك بـن ديـنار يقول لرجل من أصـحابه: إنـي لأشـتهى رغيفاً بلبن رائب. قال: فانطلق فجاء به، قال: فجعله علـى الـرغيف، فجعـل مالـك يقلبه وينظر إليه، ثم قال: اشتهيتك منذ أربعين سنة فغلبتك حتى كان اليوم وتريد أن تغلبني ! إليك عني. وأبى أن يأكله.



قال سعيد بن عصام: سمعت مالك بن دينار يقول: كان الأبرار يتواصون بثلاث: بسجن اللسان، وكثرة الاستغفار، والعزلة.

وقال الحسن البصري: دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أُخذ بخراج خرّج عليه وُقيّد. فقال : يا أبا يحيى أما ترى ما أنا فيه من هذه القيود؟ فرفع مالك رأسه فإذا سلة. قال: لمن هذه السلة ؟ قال لي. قال مالك: فَمُرْ بها فلتنزل فأنزلت، فوضعت بين يديه، فإذا دجاج وأخبصة. فقال مالك: هذه وضعت القيود في رجلك، لا هُمْ. وقام عنه وانصرف.

وعن عون بن الحكم عن أبيه عن مالك بن دينار قال: قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشّار (وهو الذي يأخذ على السلع مَكْسًا، وهو بلغة العصر: من يأخذ الضرائب) فقال العشار: لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه. فأخذت ثوبي فوضعته على عنقي، ثم وثبت فإذا أنا على الأرض، فقال لي: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء. فقال: اذهب. فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة.

وقال محمد بن عبد العزيز بن سلمان : سمعت أبي يقول: سمعت مالك بن دينار يقول: عجبًا لمن يعلم أن الموت مصيره والقبر مورده كيف تقر بالدنيا عينه؟! وكيف يطيب فيها عيشه؟! قال: ثم يبكي مالك حتى يسقط مغشيًا عليه.

وقال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم، فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك غدًا هكذا يصير وليس له شيء يتوسده في قبره،

فلـم يـزل يقـول: غدًا مالك هكذا يصير. حتى خر مغشيًا عليه في جوف القبر فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشيًا عليه.

وقـال عـبد الملـك بـن قريب: حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال: وقـع حريق في بيت مالك بن دينار، فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما. فقـيل لـه: يـا أبـا يحيـى ! البيت فقال: ما لنا فيه السدانة، ما أبالي أن يحترق. (والسدانة : هم الخدم).

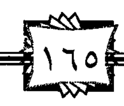
وقـال أحمـد بـن إبـراهيم : وذكـر عـبد الله بن المبارك، قال: وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بطرف كسائه يجره. وقال: هلك أصحاب الأثقال.

وقـال محمـد بـن عمـر أبـو كـريب: ما كان لمالك بن دينار من الدنيا إلا درهمان: درهم لورقه ودرهم ليشتري به خوصًا يعمل به.

وقـال المنذر أبو يحيى : رأيت مالكا ومعه كراع من هذه الأكارع التي قد طـبخت. قـال: فهـو يشـمه سـاعة بساعة، قال: ثم مر على شيخ مسكين على ظهـر الطـريق يتصـدق، فقال: هاه يا شيخ فناوله إياه، ثم مسح يده بالجدار ثم وضـع كسـاءه علـى رأسه وذهب، فلقيت صديقًا لـه، فقلت: رأيت من مالك الـيوم كـذا وكـذا. قـال : أنا أخبرك، كان يشتهيه منذ زمان فاشتراه فلم تطب نفسه أن يأكله فتصدق به.

وقـال سـلام بن أبي مطيع: دخلنا على مالك بن دينار ليلاً وهو في بيت بغـير سـراج في يـده رغـيف بكدمه، فقلنا : أبا يحيى ألا سراج، ألا شيء تضع عليه خبزك ؟ فقال: دعوني فوالله إني لنادم على ما مضى.

وعن السري بن يحيى قال: سمعت مالك بن دينار يقول: إنه لتأتي عليَّ



السنة لا آكل فيها إلا في يوم الأضحى، فإني آكل من أضحيتي لما يذكر فيه.

وعن يوسف بن عطية الصفار، عن مالك بن دينار قال: من دخل بيتي فأخذ شيئًا فهو له حلال، أما أنا فلا أحتاج إلى قفل ولا إلى مفتاح. وكان يأخذ الحصاة من المسجد ويقول: لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت، لا أزيد على مصها من الطعام والشراب. وكان يقول: لو صلح لي أن أعمد إلى برد فأقطعه باثنتين فأتزر بقطعة وارتدي بقطعة لفعلت.

وعن سيار عن جعفر قال: حدثنا مالك بن دينار قال: لما وقعت الفتنة أتيت الحسن أساله: يا أبا سعيد ما تأمرني؟ فلا يجيبني، فقلت : يا أبا سعيد أتيتك ثلاثة أيام أسألك وأنت معلمي فلا تجيبني، والله لقد هممت أن آخذ الأرض بقدمي، وأشرب من أفواه الأنهار، وآكل من بقل البرية حتى يحكم الله بين عباده. قال: فأرسل الحسن عينيه باكيا ثم قال: يا مالك ومن يطيق ما تطيق، لكنا والله ما نطيق هذا.

وعن جعفر بن سليمان قال: قال مالك بن دينار : لقد هممت أن آمر إذا مت فأغل، فأدفع إلى ربي مغلولاً كما يدفع العبد الآبق إلى مولاه.

وقال سليمان الخواص : قال مالك بن دينار: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيى؟ قال: معرفة الله ـ تعالى ـ.

وقال رحمه الله : ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله تعالى.

وكان يقول: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن، كما أن الغيث ربيع الأرض، فإن الله ينزل الغيث من السماء إلى الأرض فيصيب الحش فتكون فيه الحبة فلا يمنعها من موضعها أن تهتز وتخضر



وتحسن، فيا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب سورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟

وقال رحمه الله : يقول بعض أهل العلم: نظرت في أصل كل إثم فلم أجده إلا حب المال، فمن ألقى عنه حب المال فقد استراح.

وقال أيضا: الصدق والكذب يعتركان في القلب، حتى يخرج أحدهما صاحبه.

وقال : إذا لم يكن في القلب حزن خرب، كما إذا لم يكن في البيت ساكن يخرب.

وقال : يا هؤلاء إن الكلب إذا طرح إليه الذهب والفضة لم يعرفهما، وإذا طرح إليه العظم أكب عليه، كذلك سفهاؤكم لا يعرفون الحق.

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار: يموت مالك بن دينار وأنا معه في الدار لا أدري ما عمله! قال: فصليت معه العشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون الليل قال: وجاء مالك فقرب رغيفه فأكل ثم قام إلى آخر الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: إذا جمعت الأولين والآخرين فحرّم شيبة مالك بن دينار على النار فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني، ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول : يارب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرّم شيبة مالك بن دينار على النار فمازال كذلك حتى طلع الفجر. فقلت في نفسي: والله لئن خرج مالك بن دينار فرآني لا يبل لي عنده بالة أبدًا. قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالكا يقول: قال رجل من أصحاب النبي ـ عليه السلام ـ: أرأيتم نفسًا إن أنا أكرمتها ونعمتها وفتقتها ذمتني غدًا قدام الله، وإن أنا أتعبتها أرهقتها وأنصبتها مدحتني غدًا قدام الله



ـ يعني نفسه ـ قال : وسمعت مالكا يقول ذات يوم وذكر الصالحين فقال: إذا ذكر الصالحون فأُفٍّ لي وتف. قال: وسمعت مالكاً يقول: إن القلب المحب لله يحب النصب لله ـ عز وجل ـ.

وقال جعفر : قال مالك: اصطلحنا على حب الدنيا فلا يأمر بعضنا بعضًا ولا ينهى بعضنا بعضًا ولا يذرنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل؟!

وقال : إنكم في زمان أشهب لا يبصر زمانكم إلا البصير، إنكم في زمان كثير تفاخرهم، قد انتفخت ألسنتهم في أفواههم وطلبوا الدنيا بعمل الآخرة، فاحذروهم على أنفسكم لا يوقعونكم في شباكهم وكان يقول رحمه الله: لو أني أعلم أن قلبي يصلح على كناسة لجلست عليها.

وقال : اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء ـ يعني الدنيا ـ.

قال الحارث بن نبهان الجرمي: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة. قال : فكانت عنده ، قال : فجئت يومًا فجلست في مجلسه فقال لي: يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شغلت عليّ قلبي. فقال لي: يا حارث إني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال: يا مالك إن الركوة قد سرقت، فقد شغلت عليّ قلبي.

وقال الخيثم بن معاوية : حدثني شيخ لي قال: كان رجل من الأغنياء بالبصرة، وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال فقال لها أبوها: قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيت، أراك تريدين مالك بن دينار وأصحابه؟ فقالت: هو والله غايتي. فقال الأب لأخ له: ائت مالك بن دينار فأخبره بمكان

ابـنتي وهـواها له. قال : فأتاه، فقال لـه: فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلـم أنـي أكثـر أهـل هـذه المديـنة مـالاً وأفشاهم ضيعة ولي ابنة نفيسة وقد هويـتك فشـأنك وهي. فقال مالك للرجل: عجبًا لك يا فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟!.

وعـن حماد بن واقد الصفار قال: جئت يوماً مالك بن دينار وهو جالس وحـده وإلى جانـبه كلـب قـد وضـع خـرطومه بـين يديه فذهبت أطرده، فقال مالك: دعه، هذا خير من جليس السوء، هذا لا يؤذيني.

وقـال بكـر بـن محمد العابد: دخل مالك بن دينار على والي البصرة، فقال لـه الوالي: ادع لي فقال مالك للوالي: كم من مظلوم بالباب يدعو عليك.

وعـنه رحمـه الله قـال: قرأت في بعض الحكمة: إني أنا الله مالك الملوك، قلـوب العـباد بـيدي فمـن أطـاعني جعلتهم عليه رحمه، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، لا تشاغلوا بسب الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم.

وقـرأ مالـك: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشـر ٢١] ثـم قـال: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه.

وعـن غالـب القطان قال: رأيت مالك بن دينار في المنام، فكأنه قاعد في مسجده الذي كان يجلس فيه عليه قبطيتان ـ قال سعيد: يعني متاع مصر ـ وهو يقـول بأصبعيه هكذا: صنفان من الناس لا تجالسوهما، فإن مجالستهما مفسدة لقلب كل مسلم: صاحب بدعة قد غلا فيها، وصاحب دنيا مترف فيها.

وكان يقول رحمه الله : الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل.



ويقـول : أقسـم لكـم لـو نـبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضا يمشون عليها.

وعـن الحسـين بـن أبـي جعفـر قال : سمعت مالك بن دينار يقول : لا يصطلح المؤمن والمنافق حتى يصطلح الذئب والحمل.

مـرّ تاجـر بعشـارين (أصحاب الضرائب) فحبسوا عليه سفينته فجاء إلى مالـك بن دينار فذكر ذلك لـه فقام مالك فمشي معه إلى العشارين فلما رأوه، قالـوا: يا أبا يحيى ألا بعثت إلينا ما حاجتك؟ قال: حاجتي أن تخلوا سفينة هذا الـرجل، قالـوا: قـد فعلـنا قال: وكان عندهم كوز يجعلون فيه ما يأخذون من الـناس مـن الـدراهم، فقالـوا: ادع الله لنا يا أبا يحيى. قال: قولوا للكوز يدعو لكـم. كـيف أدعـو لكـم وألـف يدعـون عليكم؟! أترى يستجاب لواحد ولا يستجاب لألف؟.

وعـن جعفـر بـن سـليمان قـال: حدثنا مالك بن دينار قال: لو وجدت أعوانًا لناديت في منار البصرة بالليل: النار! النار!!

وعـنه أنـه سمع مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينـزل العـذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها: يا أيها الناس النار النار!!

وعـنه أنـه سمع مالك بن دينار يقول: وددت أن الله ـ عز وجل ـ جعل رزقي في حصاة أمصها لا ألتمس غيرها حتى أموت.

ومن أدعيته ـ رحمه الله ـ تعالى ـ قوله:

- اللهم لا تدخل بيت مالك بن دينار من الدنيا قليلاً ولا كثيرًا.

- اللـهم أقـبل بقلوبنا إليك حتى نعرفك حسنًا، وحتى نرعى عهدك، وحتى نحفظ وصيتك حسنًا.
- اللـهم سـومنا سـيما الأبـرار، وألبسنا لباس التقوى، اللهم إنا نتوب إليك قـبل الممـات، ونلقي بالسلام قبل اللزام. اللهم انظر إلينا منك نظرة تجمع لـنا بهـا الخـير كلـه، خـير الآخرة وخير الدنيا. ثم يقف مالك عند كلامه هـذا، ويقول: يحسبون أني أعني بخير الدنيا الدينار والدرهم، لا. إنما أعني العمل الصالح. حتى ألقاك يوم ألقاك وأنت عنا راضٍ، رغبة ورهبة إليك يا إله السماء وإله الأرض. ثم يبكي ـ رحمه الله ـ.

وعـن حـزم القطيعـي قـال: دخلـنا على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه وهو يكيد بنفسه فرفع رأسه إلى السماء، ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لفرج ولا لبطن.

وكـان رحمه الله حريصًا على نجاة نفسه وما يخلصها من النار، كذا كان حريصًا على إخوانه يذكرهم ويعظهم ويهتم لهم.

وكان من مواعظه قوله:

- يا هؤلاء! لا تجعلوا بطونكم جُرُبًا للشيطان يوعي فيها إبليس ما شاء.
- كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيرًا فانبذ عنك صحبته.
- إنـي آمـركم بأشـياء لا يـبلغها عملـي، ولكـن إذا نهيـتكم عـن شـيء ثـم خالفتكم إليه، فأنا يومئذ كذاب.

ولما قيل لـه: إنك لتغلظ على الناس في لباسهم وطعامهم.

قال: اكسبوا الحلال والبسوا ما شئتم.



ولما قيل عنه: مالك زاهد. قال: يقولون : مالك زاهد ! أي زهد عند مالك ؟ وله جبة وكساء، وإنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فاغرة فاها فتركها.

وكان يقول رحمه الله : والله لو أنكم تجدون للعاصي ريحًا لما استطاع أحد منكم أن يجلس إليَّ من خبث ريحي.

وقال : كفى بالمرء شرًّا أن لا يكون صالحًا ويقع في الصالحين.

وسئل مرة : كيف أصبحت؟ فقال : أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد.

وقال مرة: أصبحت لا أدري أأنقلب إلى جنة أو إلى نار.

قال عبد العزيز بن سلمان : انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك ابن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه، فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه فجعل يترنم بشيء لم نفهمه ثم بكى حتى جعلنا نأوي له من شدة بكائه ثم جعل يشهق وتنفس حتى غشي عليه. قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه.

وقال أبو عيسى : دخلنا على مالك عند الموت فجعل يقول: لمثل هذا اليوم كان دؤوب أبي يحيى.

وكان يقول: إله مالك! قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأي الدارين دار مالك؟ وأي الرجلين مالك؟ ثم يبكي.

وكان يقول: وددت أن الله ـ عز وجل ـ أذن لي يوم القيامة إذا وقفت بين يديه أن أسجد سجدة فأعلم أنه قد رضي عني ثم يقول لي: يا مالك كن ترابًا.

مات رحمه الله قبل الطاعون بيسير، وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة.

ورحم الله أبا نعيم عندما قال فيه: ومنهم العارف النظار، الخائف الجآر أبو يحيى مالك بن دينار. كان لشهوات الدنيا تاركًا، وللنفس عند غلبتها مالكًا.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٢/ ٤٠٦ - ٤٤١ رقم ٢٠٠)
٢- تهذيب الكمال (٢٧/ ١٣٥ - ١٣٨ رقم ٥٧٣٧)
٣- سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٢ - ٣٦٤ رقم ١٦٤).
٤- الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٠ رقم ٣١٧٩).
٥- شذرات الذهب (٢/ ١١٨).
٦- تهذيب التهذيب (٤/ ١١).
٧- المنتظم (٧/ ٢٨٣ - ٢٨٤ رقم ٧٠٥).
٨- صفة الصفوة (٣/ ١٩٥ - ٢٠٥ رقم ٥٢٢).

١٤ ـ سلمة بن دينار
شيخ المدينة النبوية

هـو سـلمة بن دينار الإمام القدوة الواعظ، شيخ المدينة النبوية أبو حازم المدنـي المخزومـي مـولاهم الأفـزر (أي في ظهـره عجـرة عظيمة فهو أحدب) التَّمَّار القاص الزاهد.

وقـيل ولاؤه لـبني لـيث، ولـد في أيـام ابن الزبير وابن عمر، وروى عن سهل بن سعد من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ.

وثقه ابن معين وأحمد وأبو حاتم. وقال ابن خزيمة: ثقة لم يكن في زمانه مثله.

وقـال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحدًا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم.

وقـال مصعب بن عبد الله الزبيري: أبو حازم أصله فارسي وأمه روميّة، وهو مولى بني ليث، وكان أشقر، أفزر، أحول.

وقـال ابـن سـعد : كـان يقـص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة، ومات في خلافة أبي جعفر بعد سنة أربعين ومائة. قال: وكان ثقة كثير الحديث.

واخـتلف في سـنة وفاتـه. قـال الفـلاس والترمـذي: مـات سـنة ثـلاث وثلاثـين. وقـال خلـيفة: سـنة خمس وثلاثين. وقال يحيى بن معين: مات سنة أربع وأربعين ومائة. وقال العجلي والنسائي: ثقة.

قـال ابـنه ليحيـى بـن صـالح: مـن حـدثك أن أبـي سمـع من أحد من الصحابة غير سهل بن سعد فقد كذب.

وذكره ابن حبان في (الثقات) وقال: كان قاضي أهل المدينة ومن عبادهم وزهادهم، بعث إليه سليمان بن عبد الملك بالزهري في أن يأتيه فقال للزهري: إن كان له حاجة فليأت. وأما أنا فما لي إليه حاجة.

وكان مسكنه في المدينة قريبًا من بيت الإمام الزهري فكان جاراً له، ولكن الزهري ـ فيما يبدو ـ لم يكن يقيم له كبير وزن. وكان سفيان بن عيينة ـ يسمع من أبي حازم، فذكر للزهري بعض كلمات أبي حازم، فقال الزهري: كان أبو حازم جاري، وما ظننت أنه يحسن مثل هذه الكلمات.

وقال ابن عون : ما رأيت أحدًا يفرفر الدنيا ـ (أى يأخذ منها ويبين خطرها) فرفرة هذا الأعرج. يعني أبا حازم.

وعن عون بن جرير قال: سمعت أبي يقول: كان أبو حازم يمر على الفاكهة فيقول: موعدك الجنة.

وعن جويرية بن أسماء قال: مر أبو حازم بجزار فقال: يا أبا حازم خذ من هذا اللحم، فإنه سمين. قال: ليس معي درهم. قال الجزار: أُنْظِرُك. قال: أنا أُنِظُر نفسي.

وعن سليمان بن سليمان العمري قال: رأيت أبا جعفر القاري ـ يعني في المنام على الكعبة ـ فقلت له : يا أبا جعفر . قال: نعم أقرئ إخواني مني السلام وخبرهم أن الله ـ عز وجل ـ جعلني من الشهداء الأحياء المرزوقين، وأقرئ أبا حازم السلام وقل له: يقول لك أبو جعفر: الكَيْسَ الكيس، فإن الله وملائكته يتراءَوْن مجلسك بالعشيات.

أسند أبو حازم عن ابن عمر وسهل بن سعد وأنس بن مالك، وقيل: إنه رأى

أبا هريرة وسمع من كبار التابعين كسعيد بن المسيب وأبي سلمة وعروة وغيرهم.

وكان رحمه الله لا يهاب سلطانًا ولا أحدًا ويقول كلمة الحق لا يخشى لومة لائم فقد روى أبو نعيم في الحلية أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك دخل المدينة حاجًّا فقال: هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة؟ قالوا: نعم، أبو حازم، فأرسل إليه، فلما أتاه قال: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني؟ قال: والله ما عرفتني قبل هذا ولا أنا رأيتك فأي جفاء رأيت مني؟ فالتفت سليمان إلى الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ فقال: عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب قال: صدقت، فقال: يا أبا حازم ليت شعري ما لنا عند الله ـ تعالى ـ غدًا؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله عز وجل، قال: وأين أجده من كتاب الله ـ تعالى ـ؟: قال: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار ١٣ : ١٤].

قال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريب من المحسنين. قال سليمان: ليت شعري كيف العرض على الله غدًا؟ قال أبو حازم: أما المحسن كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء كالآبق يقدم به على مولاه. فبكى سليمان حتى علا نحيبه واشتد بكاؤه فقال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟ قال: تدعون عنكم الصلف وتمسكوا بالمروءة وتقسموا بالسوية وتعدلوا في القضية. قال: يا أبا حازم وكيف المأخذ من ذلك؟ قال تأخذه بحقه وتضعه بحقه في أهله. قال: يا أبا حازم من أفضل الخلائق؟ قال: أولو المروءة والنهى.

قال: فما أعدل العدل ؟ قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه. قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟ قال: دعاء المحسن للمحسنين. قال: فما أفضل الصدقة؟ قال: جهد المقل إلى يد البائس الفقير لا يتبعها منٌّ ولا أذى، قال: يا أبا حازم من أكيس الناس؟ قال: رجل ظفر بطاعة الله ـ تعالى ـ فعمل بها، ثم دل الناس عليها. قال: فمن أحمق الخلق؟ قال: رجل اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم له فباع آخرته بدنياه. قال: يا أبا حازم هل لك أن تصحبنا وتصيب منا ونصيب منك؟ قال: كلا. قال: ولِمَ ؟ قال: إني أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا يكون لي منه نصيرًا. قال: يا أبا حازم ارفع إليَّ حاجتك. قال: نعم، تدخلني الجنة وتخرجني من النار. قال: ليس ذاك إليّ. قال: فما لي حاجة سواها. قال: يا أبا حازم فادع الله لي. قال: نعم، اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى. قال: سليمان: قط. قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله فما حاجتك أن ترمي عن قوس ليس لها وتر؟ قال سليمان: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟ قال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين. قال: بل نصيحة تلقيها إليَّ. قال: إن آباءك غصبوا الناس هذا الأمر فأخذوه عنوة بالسيف من غير مشورة ولا اجتماع من الناس، وقد قتلوا فيه مقتلة عظيمة وارتحلوا فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم؟ فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت. قال أبو حازم: كذبت، إن الله ـ تعالى ـ أخذ على العلماء الميثاق ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران:١٨٧] قال: يا أبا حازم أوصني. قال: نعم سوف

أوصيك وأوجز، نزِّه الله ـ تعالى ـ وعظِّمه، أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك، ثم قام فلما ولى ، قال: يا أبا حازم هذه مائة دينار أنفقها ولك عندي أمثالها كثير، فرمى بها وقال : والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟! إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً وردي عليك بذلاً، إن موسى بن عمران ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما ورد ماء مدين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ فسأل موسى ـ عليه السلام ـ ربه ـ عز وجل ـ ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تفطن الرعاة لما فطنتا إليه، فأتيا أباهما وهو شعيب ـ عليه السلام ـ فأخبرتاه خبره. قال: شعيب : ينبغي أن يكون هذا جائعًا، ثم قال لإحداهما: اذهبي ادعيه. فلما أتته أعظمته وغطت وجهها ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ﴾ فلما قالت: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ كره موسى ـ عليه السلام ـ ذلك وأراد أن لا يتبعها ولم يجد بدًّا من أن يتبعها، لأنه كان في أرض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت امرأة ذات عجز فكانت الرياح تضرب ثوبها فتصف لموسى ـ عليه السلام ـ عجزها فيغض مرة ويعرض أخرى. فقال: يا أمة الله كوني خلفي فدخل موسى إلى شعيب عليهما السلام والعشاء مهيأ فقال: كل. فقال موسى ـ عليه السلام ـ: لا. قال شعيب: ألست جائعًا؟ قال: بلى ولكني من أهل بيت لا يبيعون شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبًا، أخشى أن يكون هذا أجر ما سقيت لهما. قال شعيب ـ عليه السلام ـ: لا يا شاب، ولكن هذا عادتي وعادة آبائي قرى الضيف وإطعام الطعام قال: فجلس موسى ـ عليه السلام ـ فأكل. فإن كانت هذه المائة دينار عوضًا عما حدثتك فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال

الاضطرار أحل منه، وإن كان من مال المسلمين فلي فيها شركاء ونظراء إن وازيتهم وإلا فلا حاجة لي فيها، إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم فلما نكسوا ونفسوا وسقطوا من عين الله ـ تعالى ـ وآمنوا بالجبت والطاغوت كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم وشركوا معهم في قتلهم. قال ابن شهاب الزهري: يا أبا حازم إياي تعني؟ أو بي تعرض؟ قال: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع. قال سليمان: يا ابن شهاب تعرفه؟ قال: نعم، جاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته كلمة قط. قال أبو حازم: إنك نسيت الله فنسيتي، ولو أحببت الله تعالى لأحببتني. قال ابن شهاب: يا أبا حازم تشتمني؟ قال سليمان: ما شتمك ولكن شتمتك نفسك، أما علمت أن للجار على الجار حقًّا كحق القرابة؟ فلما ذهب أبو حازم. قال رجل من جلساء سليمان: يا أمير المؤمنين تحب أن يكون الناس كلهم مثل أبي حازم؟ قال: لا.

وكان رحمه الله تعالى زاهدًا في متاع الدنيا الزائل، راغباً فيما عند الله ـ عز وجل ـ والدار الآخرة، لذا جاءت مواعظه وحكمه وكلماته مضيئة، ترسم للسالكين درب السعادة وتنير لهم إذا احلولكت بهم الظلم وغشيتهم البطالة فينتعشون بعد الكسل ويجدون بعد المعثرة.

ومن حكمه ومواعظه قوله :

- من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء ولم يحزن على بلوى.
- ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألزق به شيء يسوءك.
- اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك.

- كل نعمة لا تقرب من الله عز وجل فهى بلية.
- ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظًا للسانه منه لموضع قدميه.
- لو نادى منادٍ من السماء بأمن أهل الأرض من دخول النار لحق عليهم الوجل من حضور ذلك الموقف ومعاينة ذلك اليوم.

كان رحمه الله يخاطب نفسه قائلاً :

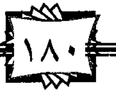
- يا أعرج ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم. ثم ينادى: يا أهل خطيئة أخرى فتقوم معهم. فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة.
- قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك.

قال رجل لأبي حازم : إنك متشدد. فقال أبو حازم: ومالي لا أتشدد وقد ترصدنى أربعة عشر عدوًا. أما أربعة : فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني. وأما العشرة فمنها: الجوع، والعطش والحر والبرد والعري والهرم والمرض والفقر والموت والنار. ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهن سلاحاً أفضل من التقوى.

وقيل له : يا أبا حازم ما مالك؟ قال : ثقتي بالله ـ تعالى ـ، وإياسي مما في أيدي الناس.

ومن مواعظه:

- نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لا نتوب حتى نموت، واعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك، وإن شأنك صغير فاعرف نفسك.
- ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأماني.



- كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.
- لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله تعالى إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد. ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها. إنك إذا صانعت الله مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك الوجوه كلها.
- إذا رأيت الله ـ عز وجل ـ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره.
- إن وُقينا شر ما أُعطينا لم نبالِ ما فاتنا.

وعن ابن عيينة قال أبو حازم : إني لأعظ وما أرى له موضعًا، وما أريد إلا نفسي.

وقال : لو أن أحدكم قيل له : ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يرمى، لقال: ما كنت لأخرق ثوبي، وهو يخرق دينه.

وحلف أبو حازم لجلسائه: لوددت أن أحدكم يُبقي على دينه كما يبقي على نعله.

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبي حازم قال: إن العبد ليعمل الحسنة تسره حين يعملها وما خلق الله من سيئة هي عليه أضر منها، وإن العبد ليعمل السيئة ثم تسوءه حين يعملها وما خلق الله ـ عز وجل ـ من حسنة أنفع له منها، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبر فيها، ويرى أن له فضلاً على غيره، ولعل الله عز وجل يحبطها ويحبط معها عملاً كثيرًا، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه، ولعل الله ـ عز وجل ـ يحدث له فيها وجلاً فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ.

وقال عبيد الله بن عمر بن أبي حازم : لا تكون عالماً حتى يكون فيك



ثلاث خصال: لا تبغي على من فوقك، ولا تحقر من دونك، ولا تأخذ على علمك دنيا.

وقال : أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفًا على نفسه، وأرجاه لكل مسلم.

ولما جاءه الناس يشكون غلاء الأسعار فقال رحمه الله لهم: وما يغمكم من ذلك ! إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذى يرزقنا في الغلاء.

وقال : إن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان إذا لقي العالم منهم من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة. وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه. حتى إذا كان هذا الزمان فهلك الناس.

وقد أرسل بعض الأمراء إلى أبي حازم فأتاه وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما فقال له: تكلم يا أبا حازم. فقال أبو حازم : إن خير الأمراء من أحب العلماء، وإن شر العلماء من أحب الأمراء، وإنه كان فيما مضى إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم وإذا سألوهم لم يرخصوا لهم. وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم فيسألونهم فكان في ذلك صلاح للأمراء وصلاح للعلماء. فلما رأى ذلك ناس من الناس قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء فطلبوا العلم فأتوا الأمراء فحدثوهم فرخصوا لهم وأعطوهم فقبلوا منهم فجرؤت الأمراء على العلماء، وجرؤت العلماء على الأمراء.

وعن ابن عيينة قال: دخل أبو حازم على أمير المدينة فقال له: تكلم. فقال له: انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن

أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير.

عن بشير الأزدي أن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي قال حين ثقل ورأى غسالاً يلوي ثوبه بيده: وددت أني كنت غسالاً، لا أعيش إلا مما أكتسب يومًا بيوم، فذكر ذلك لأبي حازم فقال: الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه.

وقال رحمه الله : وما إبليس؟! لقد عُصي فما ضر، ولقد أُطيع فما نفع.

ومر أبو حازم بأبي جعفر المديني وهو مكتئب حزين فقال: ما لي أراك مكتئباً حزينًا وإن شئت أخبرتك؟ قال : أخبرني ما وراءك؟ قال: ذكرت ولدك من بعدك؟ قال : نعم: قال : فلا تفعل فإن كانوا لله أولياء فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء فلا تبال ما لقوا بعدك.

وكتب رحمه الله رسالة طويلة إلى الإمام الزهري الذي كان يدخل على الأمراء ويقبل عطاياهم فكتب إليه هذه الرسالة يذكره أمر الله ويحذره مغبة ما هو فيه، وإن كان الزهري من أئمة التابعين ومن حفاظ الأمة الكبار لم يمنعه ذلك أن يكتب إليه يلومه على ما يراه منه من دخوله على السلاطين.

رسالته إلى الإمام الزهري:

عن الذيال بن عباد، قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري:

عافانا الله وإياك ـ أبا بكر ـ من الفتن ، ورحمك من النار.

فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيخاً كبيراً، قد أثقلتك نِعَمُ الله عليك، بما أصحَّ من بدنك، وأطال من عمرك.

وعلمتَ حججِ الله ـ تعالى ـ مما حمَّلك من كتابه، وفقَّهك فيه من دينه،



وفهّمك من سنّة نبيك ﷺ.

فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك، الغرضَ الأقصى، ابتلى في ذلك شكرك، وأبدى فيه فضله عليك، وقد قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

أنظر أيَّ رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ، فسألك عن نعمه عليك: كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها؟

ولا تحسبن الله راضياً منك بالتغرير، ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس كذلك. أخذ على العلماء في كتابه إذ قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية [آل عمران: ١٨٧].

إنك تقول إنك جَدِل ماهر، عالم، قد جادلتَ الناس فجدلتَهم، وخاصمتهم فخصمتهم، إدلالاً منك بفهمك، واقتداراً منك برأيك، فأين تذهب عن قول الله عز وجل: ﴿هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [النساء: ١٠٩].

اعلم أن أدنى ما ارتكبت، وأعظم ما احتقبت، أن آنست الظالم، وسهلت له طريق الغي بدنوك، حين أدنيت، وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غداً مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة.

إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لا يرد على أحدٍ حقًّا، ولا ترك باطلاً حين أدناك، وأجبت من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسلماً

إلى ضلالتهم، وداعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم.

يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخصُّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم.

فما أيسر ما عمروا لك، في جنب ما خربوا عليك، وما أقلَّ ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك.

فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً.

وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

مالك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك، فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً، ولا أميت له فيه باطلاً.

إنما شكرك لمن استحملك كتابه، واستودعك علمه، ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٩].

إنك لست في دار مقام ، قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك.

ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيرُه.

احذر فقد أتيت، وتخلص فقد أدهيت.

إنك تعامل من لا يجهل. والذي يحفظ عليك لا يغفل.

تجهز فقد دنا منك سفر، وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك. وذكرت قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥].

أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه، أو علمك شيئاً جهلوه؟

بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور العامة، وكلفهم بك: أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلوا، وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك، ولكن إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك، ذهابُ عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب حب الرياسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

واعلم أن الجاه جاهان: جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم، ولقد جاء نعتهم على لسان

رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة**» فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله ـ تعالى ـ فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وجاه يجريه الله ـ تعالى ـ على يدي أعدائه لأوليائه، ومقة يقذفها الله في قلوبهم لهم، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه في دينه، مقتوراً عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه، وظهور جَلَده. وكمال شهوته، فعني بذلك دهره، حتى إذا كبر سنه، ورق عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته، فتحت عليه الدنيا شر فتوح، فلزمته تبعتها، وعلقته فتنتها، وأعشت عينيه زهرتها، وصفت لغيره منفعتها.

فسبحان الله ما أبين هذا الغبن، وأخسر هذا الأمر.

فهلا إذا عرضت لك فتنتها، ذكرت أمير المؤمنين عمر ـ رضي الله عنه ـ في كتابه إلى سعد ـ حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد ـ:

أما بعد : فأعرض عن زهرة ما أنت فيه، حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها، رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا.

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك،

وحضور أجلك، فمن يلوم الحدَثَ في سنِّه، والجاهل في علمه، المأفون في رأيه، المدخول في عقله؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نحتسب عند الله مصيبتنا، ونشكو إليه بثنا. وما نرى منك، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وعن محمد بن مطرف قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير راجيًا حسن الظن به. ثم قال: إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم ذو الهم العازم والخوف اللازم سلمة بن دينار أبو حازم، كان للغوامض فاتقًا وللعوارض رامقًا وبمعبوده عمن سواه واثقًا.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٣/ ٢٦٦ – ٢٩٧ رقم ٢٤٠).
٢- سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٦ – ١٠٢ رقم ٢٤).
٣- تهذيب الكمال (١١/ ٢٧٢ – ٢٧٩ رقم ٢٤٥٠).
٤- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٣٢ – ٣٥ رقم ٧٤٧).
٥- صفوة الصفوة (٢/ ٤٨٨ – ٤٩٥ رقم ١٨٥).
٦- شذرات الذهب (٢/ ١٩١).



١٥ ـ إبراهيم النخعي
فقيــه النفــس

هـو الإمـام الحـافظ الجليل فقيه العراق باتفاق أبو عمران إبراهيم بن يـزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهْل بن سعد بن مالك بن الـنَّخَع الفقـيه الكـوفي النخعـي أحـد الأئمـة المشـاهير، تابعي رأى عائشة ـ رضـي الله عـنها ـ ودخل عليها، ولم يثبت لـه منها سماع. ونسبته إلى النَّخَعِ بفـتح النون والخاء المعجمة وبعدها عين مهملة، وهي قبيلة كبيرة من مَذْحِج بالـيمن، واسـم الـنخع جَسْـر بـن عمرو بن عُلة بن خالد بن مالك بن أُدَد، وإنما قيل لـه النخع لأنه انتخع من قومه: أي بعد عنهم.

وكـان رحمـه الله بصـيراً بعلـم ابـن مسـعود ـ رضـي الله عنه ـ، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن.

وكـان مفـتي أهـل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلاً صالحاً فقـيهاً، متوقـياً قلـيل الـتكلف، ومـات وهـو مختفٍ من الحجاج. ومات بعد الحجاج بأربعة أشهر تقريباً أو خمسة.

روى أبو أسامة عن الأعمش قال: كان إبراهيم صَيْرفيَّ الحديث.

وروى جريـر عـن إسماعـيل بن أبي خالد قال: كان الشعبي وإبراهيم وأبـو الضـحى يجـتمعون في المسـجد يتذاكـرون الحديث، فإذا جاءهم شيء ليس فيه عندهم رواية، رمَوْا إبراهيم بأبصارهم.

وقـال يحيـى بن معين: مراسيل إبراهيم أحب إليَّ من مراسيل الشعبي.



قاله عباس عنه.

وقال ابن عون: وصفت إبراهيم لابن سيرين قال: لعله ذاك الفتى الأعور الذي كان يجالسنا عند علقمة، كان في القوم وكأنه ليس فيهم.

وقال مغيرة: كنا نهاب إبراهيم هيبة الأمير.

وقال طلحة بن مصرف : ما بالكوفة أعجب إليَّ من إبراهيم وخيثمة.

وقال مغيرة : كره إبراهيم أن يستند إلى سارية.

قلت : لعله خشي صولة النفس إذا اجتمع حوله الناس. أو خاف السمعة والرياء. لذلك قيل عنه: إنه فقيه النفس.

روى ابن عيينة عن الأعمش قال: جهدنا أن نُجْلِسَ إبراهيم النخعي إلى سارية وأردناه على ذلك، وكان يأتي المسجد وعليه قباء وريطة معصفرة. قال: وكان يجلس مع الشُّرَط.

وعن الأعمش قال: كان إبراهيم يتوقى الشهرة، وكان لا يجلس إلا أسطوانة، وكان يجلس مع القوم فيجيء الرجل فيوسع له فإذا اضطره المجلس إلى أسطوانة قام.

وقال سعيد بن جبير: أتستفتوني وفيكم إبراهيم.

وقال الحاكم: كان إبراهيم النخعي يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود.

وعن شعيب بن الحبحاب قال: حدثتني هُنيدة امرأة إبراهيم، أن إبراهيم كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

وقال الأعمش: ربما رأيت إبراهيم يصلي ثم يأتينا فيمكث ساعة كأنه مريض.

وقال أحمد بن حنبل: كان إبراهيم ذكيًّا حافظاً، صاحب سنة.

وعن علي بن عاصم: حدثنا مغيرة، قال : قيل لإبراهيم : قتل الحجاج سعيد بن جبير قال: يرحمه الله، ما تُرِكَ بعده خَلَفٌ. قال: فسمع بذلك الشعبي فقال: هو بالأمس يعيبه بخروجه على الحجاج، ويقول اليوم هذا!! فلما مات إبراهيم، قال الشعبي: ما تُرِكَ بعده خَلَفٌ.

وعن عاصم قال: تبعت الشعبي، فمررنا بإبراهيم، فقام له إبراهيم عن مجلسه، فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حيًّا، وأنت أفقه مني ميتاً، وذاك أن لك أصحاباً يلزمونك فيحيون علمك.

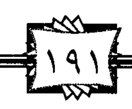
قال أبو حنيفة عن حماد قال: بشَّرت إبراهيم بموت الحجاج فسجد، ورأيته يبكي من الفرح.

وقال سلمة بن كهيل: ما رأيت إبراهيم في صيف قط إلا وعليه ملحفة حمراء وإزار أصفر.

وقال مغيرة : رأيت إبراهيم يرخي عمامته من ورائه.

وقال ضمرة بن ربيعة : سمعت رجلاً يذكر أن حماد بن أبي سليمان قدم عليهم البصرة فجاء فرقد السبخي وعليه ثوب صوف، فقال له: ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتني ننتظر إبراهيم فيخرج عليه معصفرة، ونحن نرى أن الميتة قد حلت له.

وعن مغيرة عن إبراهيم أنه كان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران أو بالعصفر، وكان من يراه لا يدري أمن القرّاء هو أم من الفتيان.



وقال زبيد : ما سألت إبراهيم عن شيء إلا عرفت منه الكراهية.

وقال الأعمش: ما ذكرت لإبراهيم حديثاً قط إلا زادني فيه.

وعن أبي الهيثم قال: أوصى إليّ إبراهيم وكان لامرأته الأولى عنده شيء فأمرني أن أعطيه ورثتها، فقلت له: ألم تخبرني أنها وهبته لك؟ قال: إنها وهبته لي وهي مريضة. فأمرني أن أدفعه إلى ورثتها، فدفعته إليهم.

وقال ابن أبجر : أخبرت الشعبي بموت إبراهيم فقال: أحمد الله أما إنه لم يخلّف خلفه مثله. قال: وهو ميتاً أفقه منه حيًّا.

وعن أبي الهيثم قال: دخلت على إبراهيم وهو مريض فبكى فقلت: ما يبكيك يا أبا عمران فقال: ما أبكي جزعاً على الدنيا ولكن ابنتي هاتين. قال فجئت من الغد فإذا هو قد مات، وإذا امرأته قد أخرجته من البيت إلى الصفة وهي تبكيه.

وقيل : إن إبراهيم لما احتضر جزع جزعاً شديداً فقيل له في ذلك، فقال: وأيُّ خطرٍ أعظم مما أنا فيه، أتوقع رسولاً يَردُ عليَّ من ربِّي: إما بالجنة وإما بالنار، والله لوددت أنها تلجلج في حلقي إلى يوم القيامة.

قال أبو بكر بن شعيب بن الحبحاب عن أبيه: كنت فيمن دفن إبراهيم النخعي ليلاً سابع سبعة أو تاسع تسعة، فقال الشعبي : أدفنتم صاحبكم؟ قلت: نعم، قال: أما إنه ما ترك أحداً أعلم منه أو أفقه منه. قلت: ولا الحسن ولا ابن سيرين؟! قال: ولا الحسن ولا ابن سيرين، ولا من أهل البصرة ولا من أهل الكوفة، ولا من أهل الحجاز. وفي رواية: ولا بالشام.

وكان رحمه الله كما قيل عنه: فقيه النفس.

فعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب ويقول: احتيج إليَّ احتيج إليَّ !!

وعن ميمون أبي حمزة عن إبراهيم أنه قال: تكلمت ولو وجدت بُدًّا ما تكلمت، فإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء.

وعن منصور قال: ما سألت إبراهيم قط عن مسألة إلا رأيت الكراهية في وجهه، ويقول: أرجو أن تكون. وعسى.

وعن محمد بن سوقة قال: زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول: كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عرف فينا أياماً، لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيّره إلى الجنة أو النار. قال: وإنكم في جنائزكم تحدّثون بأحاديث دنياكم.

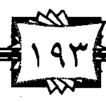
وعن الأعمش قال إبراهيم: كانوا يجلسون فأطولهم سكوتاً أفضلهم في أنفسهم.

وقال ابن عون عن إبراهيم: إن كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه. أو قال: أحسن ما عنده.

وعن مغيرة عن إبراهيم قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى هديه وإلى سمته.

وعن منصور عن إبراهيم قال: إذا رأيت الرجل يتهاون بالتكبيرة الأولى فاغسل يدك منه.

وعن أبي الحصين قال: سألت إبراهيم عن شيء، فقال: ما وجدت



أحداً تسأله فيما بيني وبينك غيري؟!

وعـن مغيرة قال : كان رجل على حال حسنة، فأحدث حدثاً أو أذنب ذنباً، فرفضه أصحابه ونبذوه، فبلغ إبراهيم، فقال: مه تداركوه، وعِظوه ولا تدعوه.

وعن الأعمش عن إبراهيم قال: إني لأرى الشيء مما يعاب فما يمنعني من عيبه إلا مخافة أن أبتلى به.

عـن إبـراهيم بـن مهاجر عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون المريض أن يجهد عن الموت.

وعن منصور عن إبراهيم أنه قال: كانوا يستحبون شدة النزع.

وكـان رحمـه الله يكـره المـرجئة كرها شديداً وحق لـه ذلك؛ فهم أضر علـى الـدين مـن الخـوارج. فلـم تـبلغ الأمـة الـيوم مـا بلغت من التخلف والضـعف والانهـزامية والذلـة والضياع إلا بسبب انتشار آراء المرجئة حتى غـدا الإسـلام كلمـة جـوفاء لا معنـى لها ولا رصيد تتردد في حلوق الناس ولـيس لهـا وقـع في حـياتهم وتـرك الـناس شـرائع الـدين وأركـان الإسلام ومـبادئ العقـيدة واكـتفوا بقـول لا إلـه إلا الله معـتمدين علـى رأي أهـل الإرجـاء أن مـن قـال لا إله إلا الله فهو المسلم المعصوم الدم والمال الضامن دخـول الجـنان. وإن فعـل ما فعل من أفعال المشركين والكفار وهدّم صرح الدين وقواعد الملة من أساسها ولم يتمسك إلا بكلمة التوحيد.

فقـال رحمـه الله: لأنا على هذه الأمة ـ من المرجئة ـ أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة. والأزارقة هم طائفة من الخوارج.

ولـيت شـعري مـن يخـبر إبراهيم النخعي بما خافه وتوقعه أنه قد وقع وحـدث في الأمـة الإرجـاء، وفشـا فيها بين دعاة وطلبة علم وغيورين لُبِّس علـيهم واستغلت جهالتهم وضحالة علمهم حتى صاروا يحملون لواء السنة ويدعـون أنهم أصحاب الحديث وأنهم امتداد لسلف هذه الأمة. حدث هذا في غـياب أصحاب الحق وقلة إمكانياتهم وعددهم وضعف حالهم وغربتهم فينبغـي علـى مـريد الهـدى والـباحث عن الحق أن يراجع نفسه، ويقلب في علومه ومعارفه، ويفتش عن الحق الضائع وسط أكوام من الكتب والرسائل والمحاضـرات، ويخلـص لله السـعي ويصـدق معـه في النية والقصد، والله لا يضيع رجاء راج ولا سعي ساع ولا يخيب قصد قاصد.

ولـيعلم أخ في الله أني محب لـه شفيق عليه وأحوج إليه منه وما دفعني إلى قولي هذا إلا قول إبراهيم النخعي السابق، وأما قوله الآتي فهو أشد.

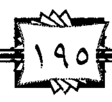
فعـن منصـور بـن أبـي الأسـود عـن الأعمش قال: ذكر عند إبراهيم المرجئة فقال: والله إنهم أبغض إليّ من أهل الكتاب.

وعـن أبـي سـلمة الصـائغ عـن مسلم الأعور عن إبراهيم قال: تركوا هذا الدين أرق من الثوب السابري.

ـ والثوب السابري هو الثوب الرقيق ـ.

وعـن الحـارث العُكْلـى عـن إبـراهيم قـال: إيـاكم وأهـل هذا الرأي المُحْدَث ـ يعني المرجئة ـ.

وقـال محمـد بـن عـبد الله الأسدي: سمعت مُحِلاً يروي عن إبراهيم



قال: الإرجاء بدعة.

وعنه قال: حدثني مُحِلٌّ قال: كان رجل يجالس إبراهيم يقال له محمد، فبلغ إبراهيم أنه يتكلم في الإرجاء فقال له إبراهيم: لا تجالسنا.

وعنه قال إبراهيم : لا تجالسوهم. يعني المرجئة.

وعن غالب أبي هذيل أنه كان عند إبراهيم فدخل عليه قوم من المرجئة. قال فكلموه فغضب وقال: إن كان هذا كلامكم فلا تدخلوا عليَّ.

وعنه ـ رحمه الله تعالى ـ قال: ما قرأت هذه الآية قط إلا ذكرت الماء البارد: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

وعن الأعمش قال: كنت عند إبراهيم وهو يقرأ في المصحف فاستأذن عليه رجل فغطى المصحف، وقال: لا يراني هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

وعن أبي حمزة، عن إبراهيم قال : والله ما رأيت فيما أحدثوا مثقال حبة من خير ـ يعني أهل الأهواء والرأي والقياس ـ.

وعن أبي حمزة قال: قلت لإبراهيم : إنك إمامي وأنا أقتدي بك فدلني على الأهواء قال: ما جعل الله فيها مثقال حبة من خردل من خير، وما الأمر إلا الأمر الأول.

وعن الهجنع بن قيس عن إبراهيم، قال: لا تجالسوا أهل الأهواء.

وعن ابن عون عن إبراهيم قال: احذروا الكذابين.

وعن أبي معشر عن إبراهيم قال: أصحاب الرأي أعداء أصحاب السنن.

وعن أبي حمزة الأعور قال: لما كثرت المقالات بالكوفة أتيت إبراهيم

النخعي فقلت: يا أبا عمران أما ترى ما ظهر بالكوفة من المقالات؟ فقال: أوه دققوا قولاً واخترعوا دينا من قبل أنفسهم، ليس بكتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ. فقالوا : هذا هو الحق، وما خالفه باطل. لقد تركوا دين محمد ﷺ، إياك وإياهم.

وعن إبراهيم قال: من جلس مجلساً ليُجلس إليه فلا تجلسوا إليه.

وعنه قال: من ابتغى شيئاً من العلم يبتغي به وجه الله ـ عز وجل ـ ، أتاه الله منه ما يكفيه وقال: وإني لأرى الشيء أكرهه في نفسي فما يمنعني أن أعيبه إلا كراهية أن ابتلى بمثله.

وعن أبي حمزة عن إبراهيم والحسن قالا: كفى بالمرء شرًّا أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصم الله، التقوى هاهنا يومئ إلى صدره ثلاث مرات.

مات ـ رحمه الله ـ سنة ست وتسعين وقيل إنه عاش تسعاً وأربعين سنة وقيل ثمانياً وخمسين.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم التقى الحفي، الفقيه الرضي، إبراهيم بن يزيد النخعي، كان للعلوم جامعاً، ومن نخوة النفوس واضعاً، وعن المتواضعين رافعاً.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٤/ ٢٤٥-٢٦٨ رقم ٢٧٤).
٢- سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠-٥٢٩ رقم ٢١٣).
٣- تهذيب الكمال (٢/ ٢٣٣-٢٤٠ رقم ٢٦٥).

٤- شذرات الذهب (١/ ٣٨٧).

٥- الطبقات الكبرى (٦/ ٢٧٩-٢٩١ رقم ٢٣٢٥).

٦- تهذيب التهذيب (١/ ٩٢-٩٣).

٧- وفيات الأعيان (١/ ٢٥-٢٦ رقم ١).

٨- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٧/ ٢٠ ـ ٢٢ رقم ٥٣٧).

٩- صفة الصفوة (٣/ ٥٩-٦١ رقم ٤١٢).

١٠- البداية والنهاية (٩/ ١٤٨).

١٦ـ أيوب السختياني
سيد الفقهاء

هو أيوب بن أبي تميمة : كيسان العَنَزِيّ أبو بكر البصري ويقال مولى جهينة ومواليه حلفاء بني الحريش، وكان منزله في بني الحريش بالبصرة.

الإمام الحافظ، سيد العلماء، ولد عام توفي عبد الله بن عباس سنة ثمان وستين، وقد رأى أنس بن مالك ولم يرو عنه.

قال الحسن البصري: أيوب سيد شباب أهل البصرة.

وقال الحميدي: لقي سفيان بن عيينة ستة وثمانين من التابعين، وكان يقول: ما رأيت مثل أيوب.

وقال مالك : كنا ندخل على أيوب السختياني، فإذا ذكرنا له حديث رسول الله ﷺ بكى حتى نرحمه.

وقال سلاَّم : كان أيوب السختياني يقوم الليل كله، فيُخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة.

وعن حماد قال: ما رأيت رجلاً قط أشد تبسُّماً في وجوه الرجال من أيوب.

وقال ميمون الغزَّال: جاء أيوب، فسأل الحسن عن أشياء، فلما قام قال لنا الحسن: هذا سيد الفتيان.

وقال هشام بن عروة : ما رأيت بالبصرة مثل أيوب السختياني، ولا بالكوفة مثل مسعر.

وقال الوليد: سمعت شعبة يقول: حدثني أيوب سيد الفقهاء.



وعنه قال : ما رأيت قط مثل أيوب ويونس وابن عون.

وقال الثوري: ما رأيت بالبصرة مثل أربعة. فبدأ بأيوب.

وقال أبو عوانة : رأيت الناس ما رأيت مثل هؤلاء: أيوب ويونس وابن عون.

وقال سلاَّم بن أبي مطيع: ما فُقنا أهل الأمصار في عصر قط إلا في زمن أيوب ويونس وابن عون، لم يكن في الأرض مثلهم.

وقال شعبة : ما واعدت أيوب موعداً قط إلا قال حين يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئت وجدته قد سبقني.

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: لحن أيوب في حرف، فقال: أستغفر الله.

وقال حماد بن زيد: أخبرني رجل أنه رأى أيوب بين قبري الحسن ومحمد قائماً يبكي، ينظر إلى هذا مرة، وإلى هذا مرة.

وقال حماد: لم يكن أحد أكرم على ابن سيرين من أيوب.

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أحداً أنصح للعامة من أيوب والحسن.

وقال ابن عون : مات ابن سيرين، فقلنا: من ثم ؟ قلنا: أيوب.

وقال محمد بن سعد الكاتب: كان أيوب ثقة ثبتاً في الحديث، جامعاً عدلاً ورعاً، كثير العلم حجة.

وقال أبو حاتم وسئل عن أيوب فقال: ثقة، لا يسأل عن مثله.

وقال الذهبي في السير: إليه المنتهى في الإتقان.

وسئل ابن المديني عن أصحاب نافع، فقال: أيوب وفضلُهُ، ومالك

وإتقانه، وعبيد الله وحفظه.

وقال حماد بن زيد: أيوب عندي أفضل من جالسته، وأشده اتباعاً للسنة.

وقال سلاّم بن أبي مطيع: رأى أيوب رجلاً من أصحاب الأهواء، فقال: إني لأعرف الذلة في وجهه. ثم تلا ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ [الأعراف : ١٥٢] ثم قال: هذه لكل مفتر. وكان يسمي أصحاب الأهواء خوارج، ويقول: إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف.

وقال له رجل من أصحاب الأهواء : يا أبا بكر أسألك عن كلمة. فولّى وهو يقول: ولا نصف كلمة. مرتين.

وعن أشعث قال: كان أيوب جهبذ العلماء.

وقال سلام بن أبي مطيع: كان أفقههم في دينه أيوب. وعن هشام بن حسان: أن أيوب السختياني حج أربعين حجة.

قال حماد بن زيد: لو رأيتم أيوب ثم استقاكم شربة على نسكه لما سقيتموه، له شعر وافر وشارب وافر وقميص جيد هروي يشم الأرض وقلنسوة متركة جيدة، وطيلسان كردي جيد، ورداء عدني، يعني : ليس عليه شيء من سِيما النُسَّاك ولا التصنع.

وقال أيضا: كان لأيوب بُرْدٌ أحمر يلبسه إذا أحرم، وكان يعده كفنا. وكنت أمشي معه، فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها فِراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب.

وقال شعبة: ربما ذهبت مع أيوب لحاجة، فلا يدعني أمشي معه،



ويخرج من هاهنا، وهاهنا، لكي لا يُفطن له.

قيل لمالك : إنك تتكلم في حديث أهل العراق، وتروي مع هذا عن أيوب فقال: ما حدثتكم عن أحد، إلا وأيوب أوثق منه.

وقال حماد بن زيد: ما رأيت أحداً أكثر من قول: لا أدري. من أيوب ويونس. أما ابن عون فكان شيئاً عجباً.

وعن ابن شوذب قال: كان أيوب ـ يعني السختياني ـ إذا سئل عن الشيء ليس عنده فيه شيء قال: سل أهل العلم.

وعن حماد بن زيد قال: سئل أيوب عن شيء فقال: لم يبلغني فيه شيء فقال: قل فيه برأيك. فقال: لم يبلغه رأيي.

وقال أيضا: وكان أيوب يأخذ بي في طريق هي أبعد فأقول: إن هذا أقرب فيقول: إني أتّقي هذه المجالس.

وكان إذا سلّم يردون عليه سلاماً فوق ما يرد على غيره. فيقول: اللهم إنك تعلم أني لا أريده. اللهم إنك تعلم أني لا أريده.

وكان النساك يومئذ يشمرون ثيابهم ـ يعني قمصهم ـ وكان أيوب يجر قميصه.

وعن معبد قال : رأيت على أيوب قميصاً يجره. قال: فقلت له فيه فقال: يا أبا عروة كانت الشهرة فيما مضى في تذييلها، فالشهرة اليوم في تشميرها.

وعن الربيع بن مسلم قال: سافرنا مع أيوب السختياني، فلما كنا بالأبطح إذا رجل غليظ ضخم عليه ثياب غلاظ من القطن. قال: فجعل يتبع رجال البصريين يقول : أيكم علم بأيوب بن أبي تميمة؟ قال: فقلت

لأيوب: هذا رجل يريدك. فلما رآه أيوب أسرع إليه فتعانقا. قال: فسألت عن الرجل. فقالوا : هذا سالم بن عبد الله بن عمر.

وقال حماد بن زيد : ما رأيت أحداً أعظم لأهل القبلة من أيوب وابن عون.

وقال ابن عوف : لما مات محمد قلنا : من لنا؟ فقلنا: لنا أيوب.

وقال حماد : كان الرجل ليجلس إلى أيوب فلا يرى الرجل أن أيوب يعرفه، فإن مرض أو مات له ميت أتاه حتى يرى الرجل أنه من أكرم الناس على أيوب.

وعن سفيان بن عيينة: ومن كان أطلب لحديث نافع وأعلم به من أيوب.

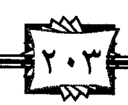
وقال معلى بن منصور: سألت إسماعيل ابن عُلَيَّة عن حفاظ البصرة فذكر: أيوب وابن عون وسليمان التيمي وهشاما الدستوائي وسليمان بن المغيرة.

وقال عثمان بن سعيد الدارمي : قلت ليحيى بن معين : أيوب أحب إليك عن نافع أو عبيد الله؟ قال: كلاهما، ولم يفضل.

وقال أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن معين: أيوب ثقة، وهو أثبت من ابن عون، وإذا اختلف أيوب وابن عون، فأيوب أثبت منه.

وقال محمد بن أحمد بن البراء عن علي بن المديني وليس في القوم - يعني هشام بن حسان وسلمة بن علقمة وعاصماً الأحوال وخالداً الحذّاء - مثل أيوب وابن عون، وأيوب أثبت في ابن سيرين من خالد الحذاء.

وقال أبو حاتم: هو أحب إليّ من كل شيء من خالد الحذاء، وهو ثقة لا يسأل عن مثله، وهو أكبر من سليمان التيمي، ولا يبلغ التيمي منزلة أيوب.



وقال النسائي : ثقة ثبت.

وقال علي بن المديني: لـه نحو ثمانمئة حديث. وأما ابن علية فكان يقول : حديثه ألفا حديث، فما أقل ما ذهب عليٌّ منها.

وروي أن شعبة سأله عن حديث فقال : أشك فيه . فقال لـه : شكك أحب إليّ من يقين غيرك.

قال مالك : كان من العالمين العاملين الخاشعين.

وقال أيضا : كتبت عنه لما رأيت من إجلاله للنبي ﷺ .

وقال أيضا : كان من عبَّاد الناس وخيارهم.

وقال الذهلي عن ابن مهدي : أيوب حجة أهل البصرة.

وقال نافع : اشترى لي هذا الطيلسان خيرُ مشرقيٍّ رأيته : أيوبُ.

وقال الدارقطني : أيوب من الحفّاظ الأثبات.

وقال أبو داود : قلت لأحمد : تقدم أيوب على مالك؟ قال: نعم.

وقال وهب : قلت لمالك: ليس أحد أحفظ عن نافع من أيوب. فتبسَّم.

وقال حماد بن زيد : كان أيوب ربما حدث بالحديث فيرق فيلتفت فيمتخط، ويقول: ما أشد الزكام.

وقال أيضا : رأيت أيوب لا ينصرف من سوقه إلا معه شيء يحمله لعياله حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت لـه في ذلك، فقال: إني سمعت الحسن يقول: إن المؤمن أخذ عن الله ـ عز وجل ـ أدباً حسناً، فإذا أوسع عليه أوسع، وإذا أمسك عنه أمسك.

وقال أيضا: كان أيوب يطلب العلم حتى مات.

وقال ابن ناصر الدين : هو أيوب بن أبي تميمة كيسان أبو بكر السختياني البصري كان سيد العلماء وعلم الحفاظ ثبتا في الأيقاظ.

قال عبد الله بن بشر : كان محمد بن سيرين إذا حدثه أيوب بالحديث يقول: حدثني الصدوق.

وقال هشام بن عروة : لم أر في البصريين مثل أيوب.

وقال : ما قدم علينا من العراق أحد أفضل من ذاك السختياني أيوب.

وقال أيوب بن سليمان بن بلال لعبيد الله بن عمر : أراك تتحرى لقاء العراقيين في الموسم؟ فقال: والله ما أفرح في سنتي إلا أيام الموسم، ألقى أقواماً قد نوَّر الله قلوبهم بالإيمان، فإذا رأيتهم ارتاح قلبي، منهم أيوب.

وقال أبو همام الحارثي: سمعت مالك بن أنس يقول: ما بالعراق أحد أقدمه على أيوب ومحمد بن سيرين في زمانهما.

وقال حماد بن زيد: غدا عليَّ ميمون أبو حمزة يوم الجمعة قبل الصلاة قال: فقال: إني رأيت البارحة أبا بكر وعمر في النوم فقلت لهما: ما جاء بكما؟ قالا : جئنا نصلي على أيوب السختياني. قال: ولم يكن علم بموته، فقلت له: قد مات أيوب البارحة.

توفي ـ رحمه الله ـ في الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة وهو ابن ثلاث وستين.

ومن حكمه ومواعظه قوله :

- لا يستوي العبد ـ أو لا يسود العبد ـ حتى يكون فيه خصلتان : اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم.
- إذا ذُكِرَ الصالحون كنتُ عنهم بمعزل.
- وددت أني أنفلت من هذا الأمر كفافاً ـ يعني من الحديث.
- ذكِرْتُ وما أحبُّ أن أُذكر.
- لأن يستر الرجل الزهد خير لـه من أن يظهره.
- الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء : أحبها إلى الله وأعلاها عند الله وأعظمها ثواباً عند الله ـ تعالى ـ: الزهد في عبادة من عبد دون الله من كل ملك وصنم وحجر ووثن. ثم الزهد فيما حرم الله ـ تعالى ـ من الأخذ والعطاء. ثم يقبل على الجالسين فيقول : زهدكم هذا يا معشر القراء فهو والله أخسه عند الله، الزهد في حلال الله ـ عز وجل ـ.

عن حمزة بن أبي عمير عن أبيه قال: بينما أيوب يمشي بيني وبين إنسان قد سماه إذ وقف. فقال : إنما يحمد الناس على عافية الله إياهم وستره، وما يبلغ عملنا كله جزاء شربة ماء بارد شربها أحدنا وهو عطشان، فكيف بالنعم بعد.

وقال صالح بن أبي الأخضر: قلت لأيوب: أوصني. فقال : أقل الكلام.

وعن حماد بن زيد قال: كان أيوب إذا هنأ رجلاً بمولود قال: جعله الله ـ تعالى ـ مباركاً عليك وعلى أمة محمد ﷺ .

وقال بشر بن منصور : كنا عند أيوب فلغطنا وتكلمنا فقال لنا : كفوا، لو أردت أن أخبركم بكل شيء تكلمت به اليوم لفعلت.

وعن سفيان قال: كان أيوب يقول : اللهم إني أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه وكريم ما مننت به عليَّ من الأعمال التى ينال بها منك حسن الثواب، واجعلنا ممن يتقيك ويخافك ويرجوك ويستحييك، اللهم استرنا بالعافية.

وعن هشام بن حسان، عن أيوب السختياني قال: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً.

وقال ابن عيينة : قال أيوب : إنه ليبلغني موت الرجل من أهل السنة فكأنما أفقد بعض أعضائي.

وعن حماد بن زيد قال: قال لنا أيوب : إنك لا تبصر خطأ معلمك حتى تجالس غيره، جالس الناس.

وعن سلام عن أيوب قال: إني أظن أن الثناء يضاعف كما تضاعف الحسنات.

وعن حماد عن أيوب قال : إن قوماً يريدون أن يرتفعوا فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا فيأبى الله إلا أن يرفعهم.

وقال حماد : رأيت أيوب وضع يده على رأسه وقال: الحمد لله الذي عافانا من الشرك ليس بيني وبينه إلا أبو تميمة ـ يعني أباه ـ.

وعنه قال له أيوب : الزم سوقك، فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه : ومنهم فتى الفتيان، سيد العباد والرهبان، المنور باليقين والإيمان، السختياني أيوب بن كيسان، كان فقيهاً محجاجاً، وناسكاً حجاجاً، عن الخلق آيساً وبالحق آنسًا.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٣/ ٣-١٦ رقم ٢٠١).
٢- سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥-٢٦ رقم ٧).
٣- تهذيب الكمال (٣/ ٤٥٧-٤٦٣ رقم ٦٠٧).
٤- الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٣-١٨٧ رقم ٣١٩٣).
٥- المنتظم (٧/ ٢٨٨-٢٨٩ رقم ٧٠٨).
٦- تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٠-٢٠١).
٧- صفة الصفوة (٣/ ٢٠٩-٢١٢ رقم ٥٢٦).
٨- شذرات الذهب (٢/ ١٣٥).

١٧ ـ محمد بن المنكدر
سيد القراء

هـو الإمـام الحـافظ القدوة شيخ الإسلام محمد بن المنكدر بن عبد الله ابـن الهُديـر بـن عـبد العـزى بن عامر بن الحارث، ويقال أيضا: أبو عبد الله أحد الأئمة الأعلام.

قال الحميدي : ابن المنكدر حافظ.

وقال ابن معين وأبو حاتم : ثقة.

وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: كان من سادات القراء.

وقـال إسـحاق بـن راهـويه، عـن ابن عيينة : كان من معادن الصدق، ويجـتمع إلـيه الصـالحون، ولم ندرك أحداً أجدر أن يقبل الناس منه إذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منه.

وقـال الـواقدي : كـان ثقـة ورعاً، عابداً، قليل الحديث، يكثر الإسناد عن جابر.

وقال العجلي : مدني تابعي ثقة.

وقـال الشـافعي في مناظـرته مـع عشـرة : فقلـت : ومحمد بن المنكدر عندكم غاية في الثقة؟ قال: أجل وفي الفضل.

وقال يعقوب بن شيبة : صحيح الحديث جدًّا.

وقال إبراهيم بن المنذر : غاية في الحفظ والإتقان والزهد، حجة.

دخـل أبـو المـنكدر علـى عائشـة أم المؤمنين ـ وكان خالها ـ فقال لها:



أصـابتني جائحـة فأعينـيني، فقالـت: مـا عـندي شـيء، لو كان عندي عشرة آلاف لبعـثت بهـا إلـيك. فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن أسد فقالت: ما أوشك ما ابتليت. ثم أرسلت في أثره فدفعتها إليه، فـدخل السـوق فاشـترى جاريـة بألـف درهم فولدت لـه ثلاثة فكانوا عباد أهـل المديـنة: محمـد وأبـو بكر وعمر. وإذا كان كذلك فلم يلق محمد عائشة لأنها ماتت قبله.

وقـال أبـو حـاتم البستي : كان من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ، وكان يصفر لحيته ورأسه بالحناء.

وقـال مالـك : كـان ابـن المنكدر سيد القراء، ولا يكاد أحد يسأله عن حديث إلا كان يبكي.

قـال يحيـى بـن الفضل الأنيسي: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المـنكدر، أنه بينا هو ذات ليلة قائم يصلي إذ استبكى، فكثر بكاؤه حتى فزع لــه أهلـه، وسـألوه، فاسـتعجم علـيهم وتمـادى في البكاء، فأرسلوا إلى أبي حـازم (سـلمة بـن دينار) فجاء إليه، فقال: ما الذي أبكاك؟! قال: مرَّت بي آيـة، قـال: ومـا هـي؟ قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ فبكى أبـو حـازم معه، فاشتد بكاؤهما. فقال بعض أهل لـه : جئنا بك لتفرج عنه فزدته. قال : فأخبرهم ما الذي أبكاهما.

وقـال ابـن عيينة : كان لمحمد بن المنكدر جار مبتلى، فكان يرفع صوته بالبلاء، وكان محمد يرفع صوته بالحمد.

وقال أبو معشر : كان سيداً يطعم الطعام ويجتمع عنده القراء.

قال يعقوب الفسوي : هو غاية في الإتقان والحفظ والزهد، حجة.

وقال سهل بن محمود : حدثنا سفيان قال: تعبَّد ابن المنكدر وهو غلام، وكانوا أهل بيت عبادة. قال يحيى بن بكير : محمد وأبو بكر وعمر (هم أولاد المنكدر) لا يُدرى أيهم أفضل؟.

وقال إبراهيم بن سعد : رأيت ابن المنكدر يصلي في مقدم المسجد، فإذا انصرف مشى قليلا، ثم استقبل القبلة، ومد يديه ودعا، ثم ينحرف عن القبلة ويشهر يديه ويدعو، يفعل ذلك حين يخرج فعلَ المودِّع.

وقال ابن الماجشون : إن رؤية محمد بن المنكدر لتنفعني في ديني.

وكان رحمه الله يحج وعليه دين، فقيل له: أتحج وعليك دين؟! فقال: هو أقضى للدين.

وكان إذا حج خرج بنسائه وصبيانه كلهم. فقيل له في ذلك، فقال: أعرضهم على الله.

وقال مالك : كنت إذا وجدت من قلبي قسوة آتي ابن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأبغض نفسي أياماً، وكان من أزهد الناس وأعبدهم.

وكان بيته مأوى الصالحين ومجتمع العابدين.

قال محمد بن المنكدر: أودعني رجل من أهل اليمن مائة دينار، وخرج إلى الثغر، وقال محمد لليماني: إن احتجنا إليها استنفقناها حتى ترجع إلينا؟ قال: نعم. قال: فاستنفقها محمد، وقدم الرجل وهو يريد الانطلاق إلى اليمن



وليست عند محمد، فقال له: متى تريد الانطلاق؟ فقال: غداً ـ إن شاء الله ـ. فخرج محمد إلى المسجد، فبات فيه حتى أسحر يدعو الله في هذه الدنانير. يأتيه بها كيف شاء ومن حيث شاء، فأتى بها آت وهو ساجد في صرة فوضعها في نعله، ثم ألمسها يده. فإذا صرة فيها مائة دينار، فحمد الله ورجع إلى منزله، فلما أصبح دفعها إلى صاحبها.

قال محمد بن عمر: فأصحابنا يتحدثون أن الذي وضعها عامر بن عبد الله بن الزبير، وكان كثيراً ما يفعل مثل هذا.

وعن محمد بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي الزناد أو غيره من أصحابه، قال: كان محمد بن المنكدر يحج في كل سنة، ويحج معه عدة من أصحابه، فبينا هو ذات يوم في منزل من منازل مكة إذ قال لغلام له: اذهب فاشتر لنا كذا. فقال الغلام: والله ما أصبح عندنا قليل ولا كثير، درهم فما فوقه. قال: اذهب فإن الله يأتي به. قال: من أين ؟! قال: سبحان الله. ثم رفع صوته بالتلبية ولبّى أصحابه الذين معه، وكان إبراهيم بن هشام قد حج تلك السنة فسمع أصواتهم، فقال: ما هؤلاء؟ فقيل له: محمد بن المنكدر وأصحابه حجوا ومحمد يحتمل مؤونتهم ويحملهم ويكلف لهم. فقال: ما بد من أن يعان محمد على هذا الذي يصنع. فبعث إليه بأربعة آلاف درهم من ساعته فدفعها محمد إلى غلامه وقال له: ويحك، ألم أقل لك اشتر لنا ما أمرتك فإن الله يأتي بهذا. وقد أتانا الله بما ترى، فاذهب فاشتر ما أمرتك به.



وعـن محمـد بن عمر قال: حدثني منكدر بن محمد بن المنكدر عن أبيه، قـال: أمحلنا بالمدينة إمحالاً شديداً، وتوالت سنون، قال محمد : فوالله إني لفي المسـجد بعـد شـطر الليـل، ولـيس في السماء سحاب، وأنا في مقدم المسجد ورجل أمامي متقنع برداء عليه، فأسمعه يلح في الدعاء إلى أن سمعته يقول: أقسـم علـيك أي رب قسـماً. ويـردده، قـال: فما زال يردد هذا القسم: أي رب مـن سـاعتي هـذه. قال: فوالله إن نشبنا حتى رأينا السحاب يتألف، وما رأيـنا ذلـك في السـماء قـزعة ولا شـيئاً، ثم مطرت فسحت، فكانت السماء عزالى، وأودعت مطراً ما رأيته قط! فأسمعه يقول : أي رب لا هدم فيه ولا غـرق، ولا بلاء فيه ولا محق. قال: ثم سلم الإمام من الصبح، وتقنع الرجل منصـرفاً، وتبعـته حتـى جـاء زقـاق اللـبَّادين فـدخل في مشـربة لــه، فلمـا أصـبحت سألت عنه قالوا: هذا زياد النجار، هذا رجل ليس لـه فراش، إنما هـو يكابـد الليـل صـلاة ودعاء، وهو من الدَّعائين، وكل عمل عمله أخفاه جهـده. قـال محمـد بـن المـنكدر: فذكـرت قـول رسـول الله ﷺ: **«رُبَّ ذي طمرين خَفِيّ لو أقسم على الله لأبره»**.

وقـال محمـد بـن المـنكدر: فرأيتني بعد ذلك أخالفه، فكره بعض ما ذكرت لـه، وقال : أطوِ هذا يا أبا عبد الله، فإنما جزاؤه عند الذي عملناه له.

قـال محمـد : فمـا ذكـرته بعـد أن نهانـي باسمـه، وقلـت: رجل كذا، ليرغب راغب في الدعاء، ويعلم أن في الناس صالحين.

وعـن عمر بن محمد بن المنكدر قال: كنت أمسك على أبي المصحف.



قال : فمرّت مولاة له فكلمها، فضحك إليها، ثم أقبل يقول: إنا لله . إنا لله. حتى ظننت أنه قد حدث شيء، فقلت: مالك؟! فقال: أما كان لي في القرآن شغل حتى مرت هذه فكلمتها.

وكان يقول رحمه الله : كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت.

وكان يقوم من الليل يصلي ويقول : كم من عين الآن ساهرة في رزقي.

وصلى على رجل يقال له : بقرة، كان يرهق. قال: فقيل له : تصلي على بقرة؟! قال: فقال : أني أكره أن يعلم الله من قلبي أني أرى أن رحمته تعجز عن بقرة. أو قال: عن أحد.

وكان رحمه الله يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه : يا أمَّه قومي ضعي قدمك على خدّي.

ولما سئل عن أي العمل أفضل؟ قال: إدخال السرور على المؤمن.

وقيل له: فما بقي مما يستلذ؟ قال: الإفضال على الإخوان.

وقال : إن الله ـ تعالى ـ يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته وفي دويرات حوله. فما يزالون في حفظ وعافية ما كان بين ظهرانيهم.

بعث محمد بن المنكدر إلى صفوان بن سليم بأربعين ديناراً. ثم قال لبنيه: يا بني ما ظنكم برجل فرَّغ صفوان لعبادة ربه ـ عز وجل ـ؟

وكان يقول رحمه الله : نعم العون على تقوى الله ـ عز وجل ـ الغنى.

ويقول : إن من موجبات المغفرة إطعام المسكين السغبان (أي الجائع المتعب).

ويقول : يمكنكم من الجنة إطعام الطعام وطيب الكلام.

وعن سعيد بن عامر قال : دخل أعرابي المدينة فرأى حال بني المنكدر وموقعهم من الناس وفضلهم ثم خرج، فلقيه رجل فقال : كيف تركت أهل المدينة؟ قال : بخير، وإن استطعت أن تكون من آل بني المنكدر فكن منهم.

وعن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن محمد بن المنكدر قال: يقال في التوارة: يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك، أمد لك في عمرك، وأيسر لك يسرك، وأصرف عنك عسرك.

وعن زيد بن أبي أنيسة، عن محمد، قال : لما خلقت النار فزعت الملائكة فزعاً شديداً حتى طارت أفئدتهم، فلم يزالوا كذلك حتى خُلِق آدم ـ عليه السلام ـ فلما خلق رجعت إليهم أفئدتهم وسكن عنهم الذي كانوا يجدون.

وعنه قال : إن الله ـ تعالى ـ يقول يوم القيامة : أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان؟ أدخلوهم في رياض الجنة، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم حمدي وثنائي، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وعنه قال : ليأتين على الناس زمان لا يخلص فيه إلا من دعاء كدعاء الغريق.

وقال محمد : الفقيه يدخل بين الله وبين عباده فلينظر كيف يدخل؟

وقال : لو جمع حديد الدنيا كله ما خلا منها وما بقي ما عدل حلقة من حلق السلسلة التي ذكرها الله ـ تعالى ـ في كتابه فقال : ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحاقة ٣٢].

وكـان رحمـه الله يأتـي موضعاً من المسجد يتمرغ فيه ويضطجع، فقيل لـه في ذلك فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع.

قلت : لعلها رؤية في المنام، لأن محمداً لم يدرك النبي ﷺ كما هو معلوم.

خـرج ناس غزاة في الصائفة فيهم محمد بن المنكدر، فبينما هم يسيرون في السـاقة، قـال رجـل منهم: أشتهي جبناً رطباً. قال محمد : فاستطعمه الله، فإنـه قـادر. فـدعا القـوم، فلـم يسيروا إلا شيئاً حتى وجدوا مكتلا، فإذا هو جـبن رطب، فقال بعضهم: لو كان لهذا عسلاً فقال : الذي أطعمكموه قادر علـى ذلـك. فدعـوا، فساروا قليلا، فوجدوا فاقرة عسل على الطريق فنزلوا فأكلوا الجبن والعسل.

وعـن سـفيان قـال: كـان ابـن المـنكدر يقـول : كم من عين ساهرة في رزقي في ظلمات البر والبحر.

وكـان إذا بكـى مسح وجهه ولحيته من دموعه، ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع.

وعـن عكـرمة بـن إبـراهيم عن ابن المنكدر أنه جزع عند الموت، فقيل لــه: لم تجـزع؟! قـال : أخشـى آيـة من كتاب الله : ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ فأنا أخشى أن يبدو لي من الله ما لم أكن أحتسب.

أتـى صـفوان بن سليم إلى محمد بن المنكدر وهو في الموت فقال: يا أبا عـبد الله كأنـي أراك قـد شـق علـيك الموت. قال: فما زال يهون عليه الأمر حتى كأن في وجهه المصابيح، ثم قال محمد : لو ترى ما أنا فيه لقرت عينك،

ثـم قضى ـ رحمه الله ـ بالمدينة سنة إحدى وثلاثين ومائة. وله من العمر نيف وسبعين سنة.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم الناظر المعتبر والذاكر المعتذر أبو عبد الله محمد بن المنكدر اعتذر فابتدر، واعتبر فانشمر.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٣/ ١٧٠-١٨٥ رقم ٢٣٠).
٢- سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٥٣-٣٦١ رقم ١٦٣).
٣- تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٠٣-٥٠٩ رقم ٥٦٣٢).
٤- الطبقات الكبرى (٥/ ٣٥٧-٣٦١ رقم ١٠٦٧).
٥- المنتظم (٧/ ٢٨١-٢٨٢ رقم ٧٠٢).
٦- تهذيب التهذيب (٣/ ٧٠٩-٧١٠).
٧- شذرات الذهب (٢/ ١٢٨-١٢٩).
٨- صفوة الصفوة (٢/ ٤٧٨-٤٨١ رقم ١٧٩).

١٨ ـ محمد ابن الحنفية
السيد الإمام

هو محمد بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي المدني، أخو الحسن والحسين، وأمه هي خولة بنت جعفر الحنفية كانت من سبي اليمامة زمن أبي بكر الصديق.

قالت أسماء بنت أبي بكر: رأيت الحنفية وهي سوداء، مشرطة حسنة الشعر.

ولد في العام الذي مات فيه أبو بكر، ورأى عمر وروى عنه وعن أبيه علي وعن أبي هريرة وعثمان وعمار ومعاوية وغيرهم.

قال فطر بن خليفة عن منذر، سمع ابن الحنفية يقول: كانت رخصة لعلي، قال: يا رسول الله إن ولد لي بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال: «نعم».

وعن منذر أنه سمع ابن الحنفية يقول: دخل عمر وأنا عند أختى أم كلثوم، فضمني، وقال: ألطفيه بالحلواء.

وقال العجليُّ: تابعي ثقة، كان رجلاً صالحاً

وقال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: لا نعلم أحدًا أسند عن علي عن النبي ﷺ أكثر ولا أصح مما أسند محمد ابن الحنفية.

وعن سفيان بن عيينة قال: سمعت الزهرى يقول: قال رجل لمحمد ابن الحنفية: ما بال أبيك كان يرمي بك في مرامٍ لا يرمي فيها الحسن والحسين؟! قال

محمد: لأنهما كانا خدَّيه وكنتُ يده، فكان يتوقى بيده عن خديه.

وفي رواية: قيل له: كيف كان أبوك يقحمك المهالك دون أخويك؟! فقال محمد: كانا عينيه، وكنت يده، فكان يتقي عن عينيه بيده.

وكان ابن الحنفية نهاية في العلم، غاية في العبادة، شديد القوة.

وقد صرع مروان يوم الجمل وقعد على صدره وأراد قتله فناشده مروان بالله وتذلل له فأطلقه، فلما وفد محمد ابن الحنفية على عبد الملك ابن مروان ذكره بما حدث مع أبيه فقال له: عفوا يا أمير المؤمنين. فعفا عنه وأجزل له الجائزة، وكان محمد من سادات قريش ومن الشجعان المشهورين ومن الأقوياء المذكورين.

وقال الزبير بن بكار: سمته الشيعة المهدي. ويزعمون أنه لم يمت، وأنه حي يرزق، وقد ذهبت طائفة من الرافضة إلي إمامته وأنه ينتظر خروجه في آخر الزمان، كما ينتظر طائفة أخرى منهم الحسن بن محمد العسكري الذي يخرج في زعمهم من سرداب سامراء، وهذا من خرافاتهم وهذيانهم وجهلهم وضلالهم وترهاتهم.

قال الذهبي في السير: كان مائلاً إلي عبد الملك لإحسانه إليه، ولإساءة ابن الزبير إليه، ولما وفد على عبد الملك بن مروان قال له: أتذكر يوم جلست على صدر مروان؟ قال: عفواً يا أمير المؤمنين. قال عبد الملك: أَمْ والله ما ذكرته لك وأنا أريد أن أكافئك، لكن أردت أن تعلم أني قد علمت.

ولما صار محمد بن علي إلى المدينة وبنى داره بالبقيع كتب إلى

عبد الملك يستأذنه في الوفود عليه، فأذن لـه فوفد عليه في سنة ثمان وسبعين إلى دمشق فأنزله بقربه، وكان يدخل على عبد الملك في إذن العامة فيسلم مرة ويجلس ومرة ينصرف، فلما مضى شهر كلم عبد الملك خاليًا فذكر قرابته ورحمه وذكر ديناً فوعده بقضائه ثم قضاه وقضى جميع حوائجه.

وقد كان عبد الملك كتب إلى محمد كتاباً جاء فيه: من عبد الملك أمير المؤمنين إلى محمد بن علي. فلما نظر محمد إلى عنوان الكتاب قال محمد: إنا لله، الطلقاء ولُعناءُ رسول الله ﷺ على المنابر! والذي نفسي بيده إنها لأمور لم يقر قرارها.

قال الذهبي في السير: كتب إليه يستميله، فلما قتل ابن الزبير واتسق الأمر لعبد الملك بايع محمد.

قيل: إن ملك الروم وجه إلى معاوية رجلين أحدهما جسيم طويل والآخر قوي، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: أما الطويل فعندنا كفؤه وهو قيس بن سعد بن عبادة، ورأيك في الآخر. فقال معاوية: ها هنا رجلان: محمد ابن الحنفية وعبد الله بن الزبير ومحمد هو أقرب إلينا على كل حال، فلما حضروا نزع قيس سراويله ورماها إلى العلج فبلغت تُندوته فأطرق العلج مغلوباً. وقيل: لاموا قيساً على خلع سراويله في المجلس، فقال:

أردت لكي ما يعلم القوم أنها   سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه   سراويل عاديٍّ نمته ثمود

وقال محمد ابن الحنفية: قولوا للعلج: إن شاء جلس وأقمته كرها بيد

أو يقعدني، وإن شاء فليكن هو القائم وأنا القاعد. فاختار الرومي الجلوس فأقامه محمد، وعجز هو عن إقعاده، ثم اختار أن يقعد، فعجز الرومي عن إقامته، فانصرفا (أي الروميان) مغلوبين.

كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتواعده ويحلف أنه ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية فسقط في درعه، فكتب إلى الحجاج: أن اكتب لمحمد ابن الحنفية فتهدده وتواعده ثم أعلمني ما يرد إليك من جوابه.

فكتب الحجاج إلى ابن الحنفية بكتاب شديد ويتواعده بالقتل. قال: فكتب إليه ابن الحنفية إن لله ـ عز وجل ـ ثلاثمائة وستين لحظة في كل يوم إلى خلقه، وأنا أرجو أن ينظر الله ـ عز وجل ـ إليَّ نظرة يمنعني بها منك. قال: فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك إلى ملك الروم نسخته فقال ملك الروم: ما خرج هذا منك ولا أنت كتبت به، وما خرج إلا من بيت نبوة.

وعن أبي حمزة قال: كانوا يسلمون على محمد بن علي: السلام عليك يا مهدي. فيقول: أجل أنا مهدي أهدي إلى الخير، ولكن إذا سلم أحدكم فليقل: السلام عليك يا محمد.

وقال ابن حبان: كان من أفاضل أهل بيته.

وعن وردان قال: كنت في العصابة الذين انتدبوا إلى محمد بن علي، قال: وكان ابن الزبير قد منعه أن يدخل مكة حتى يبايعه فأبى أن يبايعه،



قال: فانتهينا إليه فأراد أهل الشام فمنعه عبد الملك أن يدخلها حتى يبايعه فأبى عليه. قال: فسرنا معه ما سرنا ولو أمرنا بالقتال لقاتلنا معه فجمعنا يوماً فقسم فينا شيئاً وهو يسير، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحقوا برحالكم واتقوا الله، وعليكم بما تعرفون ودعوا ما تنكرون، وعليكم بخاصة أنفسكم ودعوا أمر العامة، واستقروا على أمرنا كما استقرت السماء والأرض، فإن أمرنا إذا جاء كان كالشمس الضاحية.

وحرص ابن الزبير على أن يبايعه محمد ابن الحنفية كما حرص عبد الملك بن مروان على ذلك أيضا، ولكن محمداً لم يبايع أحدهما. وكان عبد الله بن الزبير شديد اللهجة لمحمد بينما عبد الملك كان يتلطف معه.

قال أبو الطفيل: وجاء كتاب من عبد الملك بن مروان ورسول حتى دخل الشعب فقرأ محمد ابن الحنفية الكتاب، فقرأ كتابا لو كتب به عبد الملك إلى بعض إخوته أو ولده ما زاد على ألطافه، وكان فيه: أنه قد بلغني أن ابن الزبير قد ضيق عليك وقطع رحمك واستخف بحقك حتى تبايعه، فقد نظرت لنفسك ودينك وأنت أعرف به حيث فعلت ما فعلت، وهذا الشام فأنزل منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حقك. فقال ابن الحنفية لأصحابه: هذا وجه نخرج إليه وقال أيضا: فسرنا حتى نزلنا أيلة فجاورونا بأحسن جوار وجاورناهم بأحسن ذلك، وأحبوا أبا القاسم حبًّا شديدًا وعظموه وأصحابه وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر ولا يظلم أحد من الناس قربنا ولا بحضرتنا. فبلغ ذلك عبد الملك فشق

ذلك عليه، وذكره لقبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع وكانا خاصته فقالا: ما نرى أن ندعه يقيم في قربه منك وسيرته مسيرته حتى يبايع لك أو تصرفه إلى الحجاز. فكتب إليه عبد الملك: إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها، وهذه الحرب بيني وبين ابن الزبير كما تعلم، وأنت لك ذكر ومكان، وقد رأيت أن لا تقيم في سلطاني إلا أن تبايع لي، فإن بايعتني فخذ السفن التي قدمت علينا من القُلْزُم وهي مائة مركب فهي لك وما فيها ولك ألفا ألف درهم أعجل لك منها خمسمائة ألف وألف ألف وخمسمائة ألف آتيتك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقرابتك ومواليك ومن معك، وإن أبيت فتحول عن بلدي إلى موضع لا يكون لي فيه سلطان. قال: فكتب إليه محمد ابن علي:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد عرفت رأيي في هذا الأمر قديماً، وإني لست أسفهه على أحد، والله لو اجتمعت هذه الأمة عليّ إلا أهل الزرقاء ما قاتلتهم أبدا ولا اعتزلتهم حتى يجتمعوا. نزلت مكة فرارًا مما كان بالمدينة فجاورت ابن الزبير فأساء جواري وأراد مني أن أبايعه فأبيتُ ذلك حتى يجتمع الناس عليك أو عليه، ثم أدخل فيما دخل فيه الناس فأكون كرجل منهم، ثم كتبتَ إليَّ تدعوني إلى ما قبلك فأقبلت سائراً فنزلت في طرف من أطرافك، والله ما عندي خلاف ومعي أصحابي فقلنا: بلاد رخيصة الأسعار وندنو من جوارك ونتعرض صلتك



فكتبت ما كتبت به، ونحن منصرفون عنك ـ إن شاء الله ـ .

وعن الحسن بن علي بن محمد ابن الحنفية عن أبيه قال: لما صار محمد ابن علي إلى الشعب سنة اثنتين وسبعين وابن الزبير لم يقتل والحجاج محاصره أرسل إليه أن يبايع لعبد الملك فقال ابن الحنفية: قد عرفت مقامي بمكة وشخوصي إلى الطائف وإلى الشام، كل هذا إباء مني أن أبايع ابن الزبير أو عبد الملك حتى يجتمع الناس على أحدهما، وأنا رجل ليس عندي خلاف، لما رأيت الناس اختلفوا اعتزلتهم حتى يجتمعوا فأويت إلى أعظم بلاد الله حرمة يأمن فيه الطير فأساء ابن الزبير جواري فتحولت إلى الشام فكره عبد الملك قربي، فتحولت إلى الحرم فإن يقتل ابن الزبير ويجتمع الناس على عبد الملك أبا يعك. فأبى الحجاج أن يرضى بذلك منه حتى يبايع لعبد الملك، فأبى ذلك ابن الحنفية وأبى الحجاج أن يقره على ذلك. فلم يزل محمد يدافعه حتى قتل ابن الزبير.

فلما اجتمع الناس على عبد الملك وبايع ابن عمر قال ابن عمر لابن الحنفية: ما بقي شيء فبايع. فكتب ابن الحنفية إلى عبد الملك:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من محمد بن علي أما بعد فإني لما رأيت الأمة قد اختلفت اعتزلتهم، فلما أفضى هذا الأمر إليك وبايعك الناس كنت كرجل منهم أدخل في صالح ما دخلوا فيه، فقد بايعتك وبايعت الحجاج لك وبعثت إليك ببيعتي، ورأيت الناس قد اجتمعوا عليك ونحن نحب أن تؤمننا وتعطينا ميثاقاً على الوفاء، فإن الغدر

لا خير فيه، فإن أبيت فإن أرض الله واسعة.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب قال قبيصة بن ذؤيب وروح بن زنباع: ما لك عليه سبيل، ولو أراد فتقاً لقدر عليه، ولقد سلّم وبايع فنرى أن تكتب إليه بالعهد والميثاق بالأمان له والعهد لأصحابه. ففعل فكتب إليه عبد الملك: إنك عندنا محمود أنت أحب وأقرب بنا رحماً من ابن الزبير، فلك العهد والميثاق وذمة رسوله أن لا تهاج ولا أحد من أصحابك بشيء تكرهه، ارجع إلى بلدك واذهب حيث شئت، ولست أدع صلتك وعونك ما حييت. وكتب إلى الحجاج يأمره بحسن جواره وإكرامه، فرجع ابن الحنفية إلى المدينة.

وعن معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: لما صار محمد بن علي إلى المدينة وبنى داره بالبقيع كتب إلى عبد الملك يستأذنه في الوفود عليه فكتب إليه عبد الملك يأذن له في أن يقدم عليه فوفد عليه سنة ثمان وسبعين وهي السنة التي مات فيها جابر بن عبد الله، فقدم على عبد الملك بدمشق فاستأذن عليه فأذن له وأمر له بمنزل قريب منه، وأمر أن يُجرى عليه نُزْل يكفيه ويكفي من معه، وكان يدخل على عبد الملك في إذن العامة إذا أذن عبد الملك بدأ بأهل بيته ثم أذن له فسلم فمرة يجلس ومرة ينصرف. فلما مضى من ذلك شهر أو قريب منه كلم عبد الملك خاليا فذكر قرابته ورحمه وذكر دينا عليه فوعده عبد الملك أن يقضي دينه وأن يصل رحمه وأمره أن يرفع حوائجه، فرفع محمد دينه وحوائجه وفرائض لولده ولغيرهم من حامته ومواليه فأجابه عبد الملك إلى ذلك كله وتعسر عليه في الموالي أن يفرض لهم وألح عليه محمد



ففرض لهم فقصر بهم فكلمه فرفع في فرائضهم، فلم يبق له حاجة إلا قضاها، واستأذنه في الانصراف فأذن له.

وعن زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب قال: وفدتُ مع أبان بن عثمان على عبد الملك بن مروان وعنده ابن الحنفية، فدعا عبد الملك بسيف النبيّ، ﷺ، فأُتي به ودعا بصيقل فنظر إليه فقال: ما رأيتُ حديدة قطّ أجود منها. قال عبد الملك: ولا والله ما أرى الناس مثل صاحبها. يا محمد هَبْ لي هذا السيف. فقال محمد: أيّنا رأيتَ أحقّ به فليأخذه. قال عبد الملك: إن كان لك قرابة فلكلٍّ قرابةٌ وحقّ. قال فأعطاه محمد عبد الملك وقال: يا أمير المؤمنين إنّ هذا، ـ يعني الحجاج وهو عنده ـ، قد آذاني واستخفّ بحقّي، ولو كانت خمسة دراهم أرسل إليّ فيها. فقال عبد الملك: لا إمرة لك عليه. فلمّا ولّى محمد قال عبد الملك للحجّاج: أدركْه فسُلّ سخيمته. فأدركه فقال: إنّ أمير المؤمنين أرسلني إليك لأسلّ سخيمتك ولا مرحبا بشيء ساءك. فقال محمد. ويحك يا حجّاج اتّق الله واحذر الله، ما من صباح يصبحه العباد إلا لله في كلّ عبد من عباده ثلاثمائة وستوّن لحظة إن أخذ أخذ بمقدرة وإن عفا عفا بحلم، فاحذر الله. فقال له الحجّاج: لا تسألني شيئاً إلاّ أعطيتكهُ. فقال له محمد: وتفعل؟ قال له الحجاج: نعم. قال: فإنّي أسألك صَرْم الدهر. قال فذكر الحجاج ذلك لعبد الملك، فأرسل عبد الملك إلى رأس الجالوت فذكر له الذي قال محمد وقال: إنّ رجلاً منّا ذكر حديثاً ما سمعناه إلاّ منه. وأخبره بقول محمد، فقال رأس الجالوت: ما خرجت هذه الكلمة إلاّ من

بيت نبوّة.

وعن إبراهيم أن الحجاج أراد أن يضع رجله على المقام فزجره ابن الحنفية ونهاه.

وعن سالم بن أبي الجعد قال: رأيت محمد ابن الحنفية دخل الكعبة فصلى في كل زاوية ركعتين ثماني ركعات.

ومن حكمه وأقواله:

- ترون أمرنا لهو أبين من هذه الشمس، فلا تعجلوا ولا تقتلوا أنفسكم.
- ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدًّا من معاشرته حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً.
- من كف يده ولسانه وجلس في بيته، فإن ذنوب بني أمية أسرع عليهم من سيوف المسلمين.
- لم يزل قوم من قبلكم يبحثون وينقرون حتى تاهوا فكان الرجل إذا نودي من خلفه أجاب من أمامه، وإذا نودي من أمامه أجاب من خلفه.
- كل ما لا يبتغى به وجه الله ـ تعالى ـ يضمحل.
- من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر.
- ان الله ـ تعالى ـ جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم، فلا تبيعوها بغيرها.

عن عبد الله بن محمد بن عقيل: سمعت ابن الحنفية سنة إحدى وثمانين يقول: لي خمس وستون سنة، جاوزت سنَّ أبي، فمات تلك السنة.

فعن يزيد بن السائب قال: سألت عبد الله ابن الحنفية: أين دُفن أبوك؟



قال: بالبقيع، سنة إحدى وثمانين في المحرم وله خمس وستون سنة ـ رحمه الله ـ.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم الإمام اللبيب ذو اللسان الخطيب، الشهاب الثاقب، والنصاب العاقب، صاحب الإشارات الخفية والعبارات الجلية أبو القاسم محمد ابن الحنفية.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٣/ ٢٠٤ـ٢١٠ رقم٢٣٤).

٢- الطبقات الكبرى (٥/ ٦٧ـ٨٧ رقم٦٨٠).

٣- السير (٤/ ١١٠ـ ١٢٨ رقم٣٦).

٤- تهذيب الكمال (٢٦/ ١٤٧ـ١٥٢ رقم٥٤٨٤).

٥- صفة الصفوة (٢/ ٤٣٥ـ ٤٣٦ رقم١٥٨).

٦- المنتظم (٦/ ٢٢٨ـ٢٣٠ رقم٤٨٣).

٧- تهذيب التهذيب (٣/ ٦٥٢ـ٦٥٣).

٨- شذرات الذهب (١/ ٣٣٠ـ٣٣٢).

٩- البداية والنهاية (٩/ ٤١ـ٤٣).

١٩ ـ قتادة بن دعامة
قدوة المفسرين والمحدثين

هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل: قتادة بن دعامة بن عكاية حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمه، كان تابعيًّا وعالماً كبيراً، وكان من أوعية العلم، وممن يضرب به المثل في قوة الحفظ.

قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له في اليوم الثالث: ارتحل يا أعمى فقد أنزفتنى. أي نزفت ما عندي من علم فلم يبق منه شيء لم تعلمه.

وعن معمر، قيل للزهري: أقتادة أعلم عندكم أو مكحول؟ قال: لا، بل قتادة، ما كان عند مكحول إلا شيء يسير.

وعنه قال: قال محمد بن سيرين عن تلميذه قتادة: قتادة أحفظ الناس، أو من أحفظ الناس.

وقال بكر المزني: من سره أن ينظر إلي أحفظ من أدركنا فلينظر إلى قتادة.

وقال زيد أبو عبد الواحد: سمعت سعيد بن المسيب يقول: ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة.

وقال ابن عيينة: قالوا: كان معمر يقول: لم أر في هؤلاء أفقه من الزهرى وقتادة وحماد.

وقال مطر الوراق: كان قتادة عبد العلم.



وقال أيضا: كان قتادة فارس العلم.

وعنه قال: ما زال قتادة متعلماً حتى مات.

وقال سلام بن أبي مطيع : كان قتادة يختم القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كل ليلة.

وقال أحمد بن حنبل: كان قتادة عالما بالتفسير وباختلاف العلماء. ثم وصفه بالفقه والحفظ وأطنب في ذكره، وقال: قلما تجد من يتقدمه. وجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير.

وعن سفيان الثوري قال: وهل كان في الدنيا مثل قتادة.

وقال الإمام أحمد: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لا يسمع شيئاً إلا حفظه، قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها.

وقد كان قتادة أيضاً رأساً في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها، حتى قال فيه أبو عمرو بن العلاء: كان قتادة من أنسب الناس.

ونقل القفطي في "تاريخه" أن الرجلين من بني أمية كانا يختلفان في البيت من الشعر، فيبردان بريداً إلى العراق يسألان قتادة عنه.

قال أبو عبيدة: ما كنا نفقد في كل يوم راكباً من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس.

قدم قتادة على سعيد بن المسيب فجعل يسأله أياماً وأكثر، فقال له سعيد: أكل ما سألتني عنه تحفظه؟ قال: نعم، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا، وقال فيه الحسن كذا. حتى ردَّ عليه

حديثا كثيرًا. فقال لـه سعيد: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

وقـال بكر بن عبد الله المزني: ما رأيت الذي هو أحفظ منه ولا أجدر أن يؤدي الحديث كما سمعه.

وقـال عمـرو بـن علـي، عـن ابن مهدي: قتادة أحفظ من خمسين مثل حميد الطويل. قال أبو حاتم: صدق ابن مهدي.

وكان سليمان التيمي وأيوب يحتاجون إلى حفظه، ويسألونه.

وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة.

وقال أبو زرعة: قتادة من أعلم أصحاب الحسن.

وقـال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهريُّ ثم قتادة. قال: وهو- أي قـتادة ــ أحـبُّ إلـيَّ من أيوب ويزيد الرشك إذا ذكر الخبر- يعني: إذا صرح بالسماع ـ وقال همّام: لم يكن قتادة يلحن.

وقـال ابن حبان في "الثقات": كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ أهل زمانه.

وقـال ابـن سـعد في «الطـبقات»: وكـان ثقة مأموناً حجة في الحديث، وكان يقول بشيء من القدر.

وقال ابن كثير: أحد علماء التابعين والأئمة العاملين.

وقـال معمـر: سـألت أبـا عمـرو بـن العلاء عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخـرف: ١٣] فلـم يجبني، فقلـت: إنـي سمعـت قتادة يقـول: مطـيقين. فسـكت، فقلـت لـه: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: حسبك

قتادة، فلولا كلامه في القدر- وقد قال ﷺ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**» لما عدلتُ به أحداً من أهل دهره.

وقال الحافظ الذهبي في (السير): وهو حجة بالإجماع إذا بيَّن السماع، فإنه مدلس معروف بذلك ، وكان يرى القدر - نسأل الله العفو -. ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل. ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثُرَ صوابه وعلم تحريه للحق واتسع علمه وظهر ذكاؤه وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر له زلله ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه. نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك.

ثم ذكر قول ابن شوذب: ما كان قتادة لا يرضى حتى يصيح به صياحاً يعني: القدر. قلت [أي الذهبي]: قد اعتذرنا عنه وعن أمثاله، فإنِ اللهُ عذرهم فيا حبَّذا، وإن هو عذبهم فإن الله لا يظلم الناس شيئاً، ألا له الخلق والأمر.

قلت: يا ليتنا نتعلم من الحافظ الذهبي من عدله وإنصافه والتماسه الأعذار لأهل الخير والفضل إذا بدر منهم خطأ أو زلت بهم قدم، فلا ننفض أيدينا من عالم زلَّ زلة ونواري خيره وحسناته بأكوام من تراب أو نصلي عليه صلاة الجنازة وهو مازال حيًّا يرزق من فضل الله. ولكن الحق أحبُّ إلينا من كل أحدٍ فندع ما عنده من باطل وندعو الله أن يغفر له خطأه ويرده إلى الحق إن كان ما يزال حيًّا. لعل الله عز وجل أن يشملنا جميعاً

برحمته التي وسعت كل شيء.

وكـان رحمه الله آية في الحفظ والذكاء والديانة والصيانة، وكانت أقواله حكماً فمنها:

- مـن وثـق بالله كان الله معه، ومن يكن الله معه تكن معه الفئة التي لا تغلب، والحارس الذي لا ينام، والهادي الذي لا يضل، والعالم الذي لا ينسى.
- بـاب مـن العلـم يحفظـه الـرجل يطلـب بـه صـلاح نفسه وصلاح دينه وصلاح الناس أفضل من عبادة حول كامل.
- الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر.
- لـو كان يكتفي من العلم بشيء لاكتفي موسى ـ عليه السلام ـ بما عنده، ولكنه طلب الزيادة.

قـال أبـو هـلال: سـألت قـتادة عـن مسـألة فقال: لا أدري. فقلت: قل فيها برأيك. قال: ما قلت برأيي منذ أربعين سنة. وكان يومئذ لـه نحو من خمسين سنة.

وعنه قال: سمعت قتادة يقول: إن الرجل ليشبع من الكلام كما يشبع من الطعام.

وقال معمر: سمعت قتادة يقول: ما سمعت أذناي شيئاً قط إلا وعاه قلبي.

وعـن قـتادة : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ قـال : كفى بالرهبة علمـاً، اجتنـبوا نقـض الميـثاق، فـإن الله قـدم فـيه وأوعد، وذكره في أيٍ من القـرآن تقدمـة ونصيحة وحجة، إياكم والتكلف والتنطع والغلو والإعجاب بالأنفس، تواضعوا لله لعل الله يرفعكم.



وقال قتادة : ما قلت لمحدث قط أعده عليَّ.

وقال معمر : سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلاَّ وقد سمعت فيها شيئاً.

وعن عاصم الأحول قال: جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فوقع فيه ونال منه، فقلت له: أبا الخطاب ألا أرى العلماء يقول بعضهم في بعض، فقال: يا أحيول ألا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى يُحذر.

قلت: إذا ذكر صاحب البدعة وهو في الأصل من أهل الخير والفضل والصلاح ذكر على سبيل التحذير من الوقوع في بدعته، ولكن بلا طعن وسب ولعن ووقوع في الأعراض، أو يذكر على سبيل السخرية والاستهزاء والتفكه بأقواله في المجالس. فليتق الله طالب العلم وليمسك لسانه وليصن عرضه وليحافظ على صحيفة حسناته ألا تكون يوم القيامة كالقصعة تتداعى عليها الأكلة فلا يبقى له فيها نقير أو قمطير.

وعن معمر عن قتادة قال: يستحب أن لا تقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على طهارة.

وعن شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال: يا ابن آدم لا تعتبر الناس بأموالهم ولا أولادهم، ولكن اعتبرهم بالإيمان والعمل الصالح، إذا رأيت عبداً صالحاً يعمل فيما بينه وبين الله خيراً ففي ذلك فسارع، في ذلك فنافس ما استطعت إليه قوة، ولا قوة إلا بالله.

وقال أيضا رحمه الله : إن الذنب الصغير يجتمع إلى غيره مثله على صاحبه حتى يهلكه، ولعمري إنا لنعلم أن أهيبكم للصغير من الذنب أورعكم عن الكبير.

وعن سعيد عن قتادة قال: من أطاع الله في الدنيا خلصت له كرامة الله في الآخرة.

وعن معمر قال: صك رجل ابناً لقتادة، فاستعدى عليه عند بلال بن أبي بردة فلم يلتفت إليه فشكاه إلى القسرى، فكتب إليه : إنك لم تنصف أبا الخطاب، فدعاه ودعا وجوه أهل البصرة يتشفعون إليه، فأبى أن يشفعهم فقال له: صكه كما صكك. فقال قتادة لابنه: يا بني احسر عن ذراعيك، وارفع يديك، وشد. قال: فحسر عن ذراعيه ورفع يديه فأمسك قتادة يد ابنه وقال: قد وهبناه لله، فإنه كان يقال: لا عفو إلا بعد قدرة.

وعن شيبان عن قتادة قال: يا أيها الذين آمنوا اصبروا على ما أمر الله، وصابروا أهل الضلالة فإنكم على حق وهم على باطل ورابطوا في سبيل الله، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

وعن سلام عن قتادة ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴿٢﴾ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ قال: مخرجا من شبهات الدنيا، ومن الكرب عند الموت في مواقف يوم القيامة، ويرزقه من حيث لا يحتسب. قال: من حيث يرجو ومن حيث لا يرجو، ومن حيث يأمل ومن حيث لا يأمل.

وعن أبي عوانة عن قتادة قال: كان المؤمن لا يعرف إلا في ثلاثة

مواطن: بيت يستره، أو مسجد يعمره، أو حاجة من الدنيا ليس بها بأس.

قال علي بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن يقول: اترك كل من كان رأساً في بدعة يدعو إليها، قال : كيف تصنع بقتادة وابن أبي رواد وعمر بن ذر، وذكر قوماً ثم قال يحيى : إن تركت هذا الضرب تركت ناساً كثيراً.

ومات قتادة ـ رحمه الله وغفر له ـ سنة ١١٧ من الهجرة وقيل سنة ١١٨هـ.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم الحافظ الرغاب، الواعظ الرهاب، قتادة بن دعامة أبو الخطاب، كان عالماً حافظاً وعاملاً واعظاً.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٢/ ٣٧٩-٣٩١ رقم ١٩٨).
٢- الطبقات الكبرى (٧/ ١٧١-١٧٣ رقم ٣١٣٩).
٣- السير (٥/ ٢٦٩-٢٨٣ رقم ١٣٢).
٤- صفة الصفوة (٣/ ١٨٥-١٨٦ رقم ٥١٣).
٥- تهذيب التهذيب (٣/ ٤٢٨-٤٣٠).
٦- المنتظم (٧/ ١٨٤ رقم ٦٣١).
٧- شذرات الذهب (٢/ ٨٠-٨١).
٨- وفيات الأعيان (٤/ ٨٥ رقم ٥٤١).
٩- البداية والنهاية (٩/ ٣١٧-٣١٨).

٢٠ ـ محمد بن واسع
الإمام الرباني وزين القراء

هو محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس، الإمام الرباني القدوة أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي البصري أحد الأعلام.

قال أحمد العجلي: ثقة عابد صالح.

وقال الدارقطني: عابد ثقة، لكن بُلِيَ برواة ضعفاء.

وقال ابن شوذب: لم يكن لمحمد بن واسع عبادة ظاهرة، وكانت الفتيا إلى غيره، وإذا قيل: من أفضل أهل البصرة؟ قيل: محمد بن واسع.

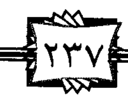
قال الأصمعي: قال سليمان التيمي: ما أحد أُحبُّ أن ألقى الله بمثل صحيفته مثل محمد بن واسع.

وروى معتمر عن أبيه: ما رأيت أحداً قط أخشع من محمد بن واسع.

وقال جعفر بن سليمان: كنت إذا وجدت من قلبي قسوة غدوت فنظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة، وكنت إذا رأيت وجه محمد حسبت أن وجهه وجه ثكلى.

وقال الأصمعي: لما صافَّ قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم سأل عن محمد بن واسع فقيل: هو ذاك في الميمنة جامح على قوسه، يبصبص بأصبعه نحو السماء قال: تلك الأصبع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير.

وقال ابن شوذب: لم يكن له كثير عبادة، كان يلبس قميصا بصريًّا وساجاً.



وقال مطر الوراق : لا نزال بخير ما بقي لنا أشياخنا: مالك بن دينار وثابت البناني ومحمد بن واسع.

وعن أبي الطيب موسى بن يسار قال : صحبت محمد بن واسع إلى مكة، فكان يصلي الليل أجمعه، يصلي في المحمل جالساً ويومئ برأسه إيماءً.

قال مضر: كان الحسن يسمي محمد بن واسع زين القراء.

وقيل : كان محمد بن واسع يسرد الصوم، ويخفيه.

قال سعيد بن عامر : دخل محمد بن واسع على الأمير بلال بن أبي بردة فدعاه إلى طعامه، فاعتل عليه، فغضب وقال: إني أراك تكره طعامنا. قال محمد : لا تقل ذاك أيها الأمير، فوالله لخياركم أحب إلينا من أبنائنا.

وكان رحمه الله عالماً خيراً متواضعاً، وكان يبكي طول الليل حتى قالت جارية له: لو كان هذا قتل أهل الدنيا ما زاد على هذا!

وعن جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: القراء ثلاثة : فقارئ للدينار، وقارئ للرحمن، وقارئ للملوك وأبناء الدنيا، وإن محمد بن واسع من قراء الرحمن.

وعن الحارث بن وجيه : سمعت مالك بن دينار يقول : رأيت محمد ابن سيرين في الجنة ورأيت محمد بن واسع في الجنة. فقلت : أين الحسن ؟! قالوا: الحسن عند سدرة المنتهى.

وقال موسى بن هارون : كان ناسكاً عابداً ورعاً رفيعاً جليلاً ثقةً عالماً جمع الخير.



وقال ابن حبان في (الثقات) : كان من العباد المتقشفة والزهاد المتجردين للعبادة، وكان قد خرج إلى خرسان غازيا وفضائله ومناقبه كثيرة جدًّا.

وقال له مالك بن دينار- وقد نبهه على بعض دقائق الورع-: ما أحوجني إلى معلم مثلك.

قال عبد الواحد بن زيد: شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن مناديا يقول: يا أيها الناس! الرحيلَ الرحيلَ. فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع. قال: فصاح مالك صيحة وخرّ مغشيًّا عليه.

وعن هشام قال: دعا مالك بن المنذر محمد بن واسع وكان على شرط البصرة، فقال: اجلس على القضاء . فأبى محمد فعاوده فأبى، فقال: لتجلس أو لأجلدنك ثلاثمائة فقال له محمد : إن تفعل فأنت مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة.

قال : ودعاه بعض الأمراء على بعض الأمر، فأبى، فقال له : إنك لأحمق. فقال محمد : ما زلت يقال لي هذا منذ أنا صغير.

بعث بعض الخلفاء مالاً مستكثراً إلى البصرة ليفرق في فقراء أهلها، وأمر أن يدفع إلى محمد بن واسع منه فلم يقبله ولم يلتمس منه شيئاً، وأما مالك بن دينار فإنه قبل ما أمر له به، واشترى به أرقاء وأعتقهم ولم يأخذ لنفسه منه شيئاً، فجاءه محمد بن واسع يلومه على قبوله جوائز السلطان. فقال له: يا مالك قبلت جوائز السلطان؟ فقال له مالك: يا أبا عبد الله!



سـل أصحابي ماذا فعلت به. فقالوا لـه: إنه اشترى به أرقاء وأعتقهم. فقال لــه محمـد: سـألتك بـالله أقلبك الآن لهم مثل ما كان قبل أن يصلوك؟ فقام مالـك وحثـى علـى رأسه التراب، وقال: إنما يعرف اللهَ محمدُ بن واسع، إنما مالك حمار، إنما مالك حمار.

وعـن خلـيد بن دعلج عن محمد بن واسع قال: لقضم القصب وسف التراب خير من الدنو من السلطان.

وعـن ابـن شـوذب قـال: كـان محمـد بـن واسـع مـع يزيد بن المهلب بخراسـان غازيـاً فاسـتأذنه للحج فأذن لـه، فقال لـه: نأمر لك. قال: تأمر به للجيش كلهم؟ قال: لا. قال: لا حاجة لي به.

قـال محمـد بـن عبد الله الزرّاد: رأي محمد بن واسع ابنا لـه وهو يخطر بـيده، فقـال: ويحـك تعـال، تـدري مـن أنت؟! أمك اشتريتها بمائتي درهـم، وأبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله. تمشي هذه المشية؟!.

وقـال سـعيد بـن عامر : كان بين ابن محمد بن واسع وبين رجل شيء فشـكاه إلى أبيه قال: فأرسل محمد إلى ابنه فقال لـه : وأي شيء أنت؟! والله مـا اشـتريت أمـك إلا بـثلاثمائة درهـم، وأما أبوك فلا كثّر الله في المسلمين مثله! قال سعيد بن عامر : ونحن نقول: بلى فكثّر الله في المسلمين مثله.

وعـن ابـن شـوذب قـال: حضـر محمد بن واسع محضراً فيه بكاء فلما فـرغوا أتـوا بالطعـام فتنحـى محمـد بـن واسع ناحية فجلس، فقالوا لـه : يا أبـا بكـر ألا تدنـو إلى الطعـام فـتأكل قـال: إنما يأكل من بكى؟! كأنه يعيب

عليهم الطعام بعد البكاء أو مع البكاء.

وعن سلام بن أبي مطيع قال: كان محمد بن واسع إذا صلى المغرب يلتزق بالقبلة يصلي قال: فحدثني خياط كان بقرب منه قال: كان يقول في دعائه: أستغفرك من كل مقام سوء ومقعد سوء ومدخل سوء ومخرج سوء وعمل سوء وقول سوء ونية سوء، أستغفرك منه فاغفر لي، وأتوب إليك منه فتب عليَّ، وألقي إليك بالسلام قبل أن يكون لزاماً.

وعن هشام بن حسان قال: قيل لمحمد بن واسع: كيف أصبحت أبا عبد الله؟ قال: قريباً أجلي، بعيداً أملي، سيئاً عملي. وما ظنك برجل يرحل كل يوم إلى الآخرة مرحلة.

وعن إسماعيل بن مسلم العبدي قال: قال محمد بن واسع: القرآن بستان العارفين، فأينما حلوا منه حلوا في نزهة.

وعن يوسف بن عطية عن محمد بن واسع قال: لقد أدركت رجالاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد بل ما تحت خده من دموعه ولا تشعر به امرأته، ولقد أدركت رجالاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه.

وعن يونس قال: سمعت محمد بن واسع يقول: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنو مني من نتن ريحي.

حكمه ومواعظه رحمه الله:

- طلب المكاسب زكاة الأبدان، فرحم الله من أكل طيباً وأطعم طيباً.



- إنه ليعرف فجور الفاجر في وجهه.
- من مقت نفسه في ذات الله أمنه من مقته.
- أربع يمتن القلب: الذنب على الذنب، وكثرة مثافنة النساء وحديثهن، وملاحاة الأحمق تقول له ويقول لك، ومجالسة الموتى. قيل: وما مجالسة الموتى؟ قال: مجالسة كل غني مترف وسلطان جائر.
- من قل طعمه فهم وأفهم وصفا ورق. وإن كثرة الطعام لتثقل صاحبه عن كثير مما يريد.
- اللهم إن كان أخلق وجهي كثرة ذنوبي فهبني لمن أحببت من خلقك.
- رأيت يكفي من الدعاء من الورع اليسير.
- ليس لملول صديق، ولا لحاسد غنى، وإياك والإشارة على المعجب برأيه، فإنه لا يقبل رأيك.

عن حماد بن زيد قال: كنا نجلس إلى محمد بن واسع فكان يقول: اللهم إنا نعوذ بك من كل رزق يباعدنا منك، طهرنا من كل خبيث، ولا تسلط علينا الظلمة. ثم يسكت ساعة ثم يعيده.

قال مالك بن دينار لحوشب: لا تبيتن وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتهيه فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا. قال: ومحمد بن واسع يستمع كلامهما، فقال محمد: نعم، ووصف أطباء طريق الآخرة. فقال مالك: بخ بخ للدين والدنيا.

عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: رأيت في يد محمد بن واسع قرحة،

فكأنـه رأى مـا قـد شق عليّ منها. فقال لي : تدري ما عليّ في هذه القرحة مـن نعمـة؟ قـال فسكت، قال: حيث لم يجعلها على حدقتي ولا على طرف لساني ولا على طرف ذكري قال : فهانت عليّ قرحته.

قـال رجـل لمحمـد بن واسع: أوصني. قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال كيف لي بذلك؟ قال: ازهد في الدنيا.

قـال سـفيان بـن وكـيع : سمعت أبي يقول: بلغني أن محمد بن واسع أريـد على القضاء، فأبى فعاتبته امرأته، فقالت : لك عيال وأنت تحتاج.قال: ما دمت تريني أصبر على الخل والبقل فلا تطمعي في هذا مني .

وعـن محمـد بـن بهـرام قال: سمعت محمد بن واسع يقول : لا يطيب هـذا المال إلا من أربع خلال : تجارة من حلال، أو ميراث بكتاب، أو عطاء من أخ مسلم عن ظهر يد، أو سهم مع المسلمين مع إمام عادل.

قـال وكـيع: قـال غيره: قال لـه ابنه: ليس كل ساعة تبقى، قال: فدعا بخبـز وملـح ثـم جعـل يأكل، فقال: تراني أقنع بهذا وأرضى به؟ أعينهم أو أدخل معهم أو أوالي لهم؟

قـال حمـاد بـن زيـد : أتـى محمد بن واسع رجلاً في حاجة لرجل فقال لــه: أتيـتك في حاجـة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله في قضائها قضيتها وكنت محموداً، وإن لم يأذن الله في قضائها لم تقضها وكنت معذوراً.

وعـن عمـارة بن مهران قال : قال لي محمد بن واسع : ما أعجب إليّ منـزلك! قـال: قلـت: ومـا يعجـبك من منزلي وهو عند القبور؟! قال: وما



عليك يقلون الأذى ويذكرونك الآخرة.

وعن سفيان قال: قيل لمحمد بن واسع : إني لأحبك في الله ـ تعالى ـ. قال: أحبك الذي أحببتني له، اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي ماقت أو مبغض.

وعن ابن سلام قال محمد بن واسع: ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث: صاحب إذا اعوججت قوَّمني. وصلاة في جماعة يحمل عني سهوها، وأفوز بفضلها. وقوتٍ من الدنيا ليس لأحد فيه منة، ولا لله ـ عز وجل ـ فيه تبعة.

عن أبي عامر قال: حدثني صاحب لنا قال: لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه في العيادة قال: فدخلت فإذا قوم قيام وآخرون قعود، فأقبل عليَّ فقال: أخبرني ما يغني هؤلاء عني إذا أخذ بناصيتي وقدمي غداً، وألقيت في النار؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١].

وعن حزم قال : قال محمد بن واسع وهو في الموت: يا إخوتاه تدرون أين يُذهب بي ؟ يذهب بي والله الذي لا إله إلا هو إلى النار أو يعفو عني.

وقال يونس بن عبيد : دخلنا على محمد بن واسع نعوده. فقال : ما يغني عني ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلي، فألقيت في النار؟.

عن جعفر بن سليمان قال: سمعت جليساً لوهب بن منبه يقول : رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم، فقلت له: يا رسول الله أين الأبدال من أمتك؟ فأومأ بيده قبل الشام، فقلت : يا رسول الله أما بالعراق منهم

أحد؟ قال: بلى، محمد بن واسع.

توفي محمد ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وعشرين ومئة وقيل: سبع وعشرين وقيل غير ذلك.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم العامل الخاشع، والخامل الخاضع، أبو عبد الله محمد بن واسع، كان لله عاملاً، وفي نفسه خاملا.

وقال أيضاً: كان محمد بن واسع عالماً واعياً، لا ناقلاً راوياً، وعى فارعوى، ونوى فاستوى، قليل الكلام والرواية، طويل الصيام والسعاية.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٢/ ٣٩٢-٤٠٥ رقم ١٩٩).

٢- سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٩-١٢٣ رقم ٣٣).

٣- تهذيب الكمال (٢٦/ ٥٧٦-٥٨١ رقم ٥٦٦٩).

٤- الطبقات الكبرى (٧/ ١٧٩-١٨٠ رقم ٣١٧٦).

٥- المنتظم (٧/ ٢٠٤-٢٠٦ رقم ٦٥٢).

٦- تهذيب التهذيب (٣/ ٧٢٢-٧٢٣).

٧- شذرات الذهب (٢/ ٩٧).

٨- صفة الصفوة (٣/ ١٩١-١٩٤ رقم ٥٢٠).

٩- البداية والنهاية (٩/ ٣٤٢).

٢١ ـ أويس القرني
سيد العُـبَّاد

هـو القـدوة الزاهد، سيد التابعين في زمانه. أبو عمرو، أويس بن عامر ابن جزء بن مالك القَرَني المرادي اليماني.

وفـد علـى عمـر بن الخطاب وروى قليلا عنه وعن عليٍّ، وروى عنه يسـير بـن عمرو وعبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو عبد رب الدمشقي وغيرهم حكايات يسيرة ما روى شيئاً مسنداً، ولا تهيأ أن يحكم عليه بلين.

وقد كان من أولياء الله المتقين ومن عباده المخلصين.

ويكفـيه تـزكيةً وتوثـيقاً وتعـديلاً أن ذكـره رسـول الله ﷺ باسمـه وحث أصـحابه مـن لقـيه منهم أن يطلب منه أن يستغفر لـه فقال ﷺ: «**إن خير التابعين رجل يقال لـه أويس، وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم**».

وعن أسير بن جابر قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتىعليه أمداد أهل الـيمن سـألهم: أفـيكم أويـس بـن عامر؟ حتى أتى على أويس، فقال: أنت أويس بن عامر؟ قال: نعم قال: من مراد ثم من قرن؟ قال: نعم، قال: فكان بـك بـرص فـبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعـم، قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمـداد أهـل الـيمن مـن مـراد ثم من قرن، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهـم، لــه والـدة هـو بهـا بـر، لـو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يسـتغفر لـك فافعـل**» فاسـتغفر لي، فاستغفر لـه، فقال لـه عمر: أين تريد؟

قـال الكـوفة. قـال: ألا أكـتب لـك إلى عاملـها؟ قال: أكون في غبراء الناس أحبُّ إليّ.

قـال: فلمـا كـان مـن العـام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال: تركته رث البيت قليل المتاع، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: وذكر الحديث ـ فأتى أويساً فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهـداً بسـفر صالح فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟ قال: نعم. فاستغفر لـه، ففطن لـه الناس فانطلق على وجهه.

قـال أسـير: وكسوته بردة، فكان كلما رآه إنسان قال: من أين لأويس هذه البردة؟! رواه مسلم.

وعـن علقمـة بـن مـرثد قـال: انتهـى الزهد إلى ثمانية: منهم : أويس القرنـي، ظـن أهلـه أنـه مجنون، فبنوا لـه بيتاً على باب دارهم، فكانت تأتي علـيه السـنة والسـنون لا يرون لـه وجهاً، وكان طعامه مما يلتقط من النوى، فإذا أمسى باعه لإفطاره، فإن أصاب حشفة حبسها لإفطاره.

وعـن أسـير بـن جابـر: أن أويساً القرني كان إذا حدث يقع حديثه في قلوبنا موقعاً ما يقع حديث غيره.

وعـنه قـال: كـان محـدث بالكـوفة يحدثـنا، فإذا فرغ من حديثه يقول: تفـرقوا، ويبقـى رهط فيهم رجل يتكلم بكلام لا أسمع أحداً يتكلم بكلامه فأحببـته ففقدتـه، فقلـت لأصـحابي: هـل تعرفون رجلاً كان يجالسنا؟ فقال رجـل من القوم: نعم أنا أعرفه، وذاك أويس القرني. قلت : وتعرف منزله؟

قـال: نعـم. قـال : فانطلقـت معـه حتـى جـئت حجـرته فخرج إليَّ فقلت: يـا أخـي مـا حبسـك عـنا؟ قـال: العُـرْي. قال: وكان أصحابه يسخرون به ويـؤذونه قـال: قلت: خذ هذا البرد فالبسه قال: لا تفعل، فإنهم يؤذونني إذا رأوه قال: فلم أزل به حتى لبسه، فخرج عليهم، فقالوا: من ترون خُدع عن برد هذا، فجاء فوضعه؟ فقال: أترى؟ قال: فأتيت المجلس فقلت: ما تريدون مـن هـذا الـرجل ؟! قد آذيتموه، الرجل يعرى مرة ويكتسي مرة، فأخذتهم بلساني أخذاً شديداً.

قـال: فقضـي أن أهـل الكوفة وفدوا إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عـنه ـ فـوفد رجل ممن كان يسخر به فقال عمر : قدم علينا أويس . فقلت : أنـت أخـي لا تفـارقني فـانملس منـى، فأنبئت أنه قدم عليكم الكوفة. فأقبل ذلـك الـرجل حتـى دخـل علـيه فقـال: سمعت عمر يقول فيك كذا وكذا، فاستغفر لي يا أويس. قال: لا أفعل حتى تجعل لي عليك ألا تسخر بي فيما بعد، وألاّ تذكر الذي سمعته عن عمر لأحد.

قال أسير: فما لبثنا أن فشا أمره بالكوفة فانملس منهم فذهب.

قال عمرو بن مرة: لما لقي عمر أويساً وظهر عليه هرب، فما رئي حتى مات.

وعـن الشـعبي قال: مر رجل من مراد على أويس القرني، فقال: كيف أصـبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله ـ عز وجل ـ. قال: كيف الزمان عليك؟ قـال: كـيف الزمان على رجل إن أصبح ظن أنه لا يمسي وإن أمسى ظن أنه لا يصبح؟ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار يا أخا مراد! إن الموت وذكره لم يترك

لمؤمن فرحاً وإن علمه بحقوق الله لم يترك له فضة ولا ذهبا، وإن قيامه لله بالحق لم يترك له صديقاً.

وقال عمار بن سيف الضبي: لحق رجل بأويس القرني فسمعه يقول: اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة، فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني، وليس في بيتي شيء من الرياش إلا ما على ظهري. قال: وعلى ظهره خرقة قد تردى بها.

وعن أصبغ بن زيد: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة السجود فيسجد حتى يصبح. وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به. ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به.

وقال النضر بن إسماعيل: كان أويس القرني يلتقط الكسر من المزابل فيغسلها ويتصدق ببعضها ويأكل بعضها، ويقول: اللهم إني أبرأ إليك من كبدٍ جائع.

وقال هرم بن حيان لأويس القرني: أوصني. قال: توسد الموت إذا نمت، واجعله نصب عينيك، وإذا قمت فادع الله أن يصلح لك قلبك ونيتك، فلن تعالج شيئا أشد عليك منهما، بينا قلبك معك ونيتك إذا هو مدبر، وبينا هو مدبر إذا هو مقبل، ولا تنظر في صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى عظمة من عصيت.

قال أبو عبد الله البناجي: زار هرم بن حيان أويساً فقال له هرم: يا أويس واصِلْنا بالزيارة فقال أويس: قد وصلتك بما هو أنفع لك من الزيارة واللقاء: الدعاء بظهر الغيب، لأن الزيارة واللقاء قد يعرض فيها التزين والرياء.

قال ابن الجوزي في صفة الصفوة: كان أويس مشغولاً بالعبادة عن الرواية، غير أنه قد أرسل الحديث عن النبي ﷺ.

وعن أصبغ بن زيد قال: إنما منع أويساً أن يقدم على رسول الله ﷺ بره بأمه.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نادى منادٍ يوم صفين: أفي القوم أويس القرني؟ فوجد في قتلى علي ـ رضي الله عنه ـ وكذا قال هشام الكلبي.

قال ابن الجوزي: هذا هو الصحيح.

رحمه الله ـ تعالى ـ ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: فمن الطبقة الأولى من التابعين سيد العباد وعلم الأصفياء من الزهاد أويس بن عامر القرني. بشر النبي ﷺ به وأوصى به أصحابه.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٢/ ٩٥-١٠٣ رقم ١٦٢).
٢- أسد الغابة (١/ ١٧٦-١٧٧ رقم ٣٣١).
٣- صفة الصفوة (٣/ ٢٩-٣٨ رقم ٣٩٨).
٤- سير أعلام النبلاء (٤/ ١٩-٣٣ رقم ٥).
٥- الطبقات الكبرى (٦/ ٢٠٤-٢٠٧ رقم ٢٠٧٦).

٢٢ ـ شريح القاضي
أقضى العرب

هو الفقيه أبو أمية، شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكِنْديّ، قاضي الكوفة أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره.

وثقه يحيى بن معين.

صح أن عمر بن الخطاب ولاّه قضاء الكوفة. فقيل: أقام على قضائها ستين سنة. وقد قضى بالبصرة سنة. وفد زمن معاوية إلى دمشق، وكان يقال له: قاضي المِصْرَيْنِ.

عن الشعبي قال: كتب عمر إلى شريح: إذا أتاك أمر في كتاب الله فاقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله ﷺ فاقض به، فإن لم يكن فيهما فاقض بما قضى به أئمة الهدى، فإن لم يكن فأنت بالخيار، إن شئت تجتهد رأيك وإن شئت تؤامرني، ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك.

عن هشام عن محمد، قلت لشريح: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام وعِدادي في كِنْدة.

وقيل: إنه إنما خرج من اليمن إلى المدينة، لأن أمه تزوجت بعد أبيه، فاستحيا من ذلك فخرج، وكان شاعرًا قائفًا.

روى أشعث عن ابن سيرين قال: أدركت الكوفة وبها أربعة ممن يعد بالفقه، فمن بدأ بالحارث ثنّى بعبيدة، ومن بدأ بعبيدة ثنّى بالحارث ثم علقمة، ثم شريح، وإن أربعة أخسهم شريح لخيار. وفي رواية: وإن قومًا

أخسهم شريح لقوم لهم شأن.

وقال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يوازيه في علم القضاء.

وعنه قال: إن عمر رزق شريحًا مائة درهم على القضاء.

وعن هبيرة بن يريم : أن عليًّا جمع الناس في الرحبة، وقال: إني مفارقكم فاجتمعوا في الرحبة فجعلوا يسألونه حتى نفد ما عندهم، ولم يبق إلا شريح، فجثا على ركبتيه وجعل يسأله. فقال له عليّ: اذهب فأنت أقضى العرب.

وقال إبراهيم النخعي: كان شريح يقضي بقضاء عبد الله - أي ابن مسعود - .

فكان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة.

وقال ابن عبد البر وكان شاعرًا محسنًا، وهو أحد السادات الطُّلْس، وهم أربعة: عبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن عبادة والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم، والقاضي شريح.

والأطلس: الذي لا شعر في وجهه.

قال ابن سيرين: كان شريح يقول للشاهدين: إنما يقضي على هذا الرجل أنتما، وإني لمتَّقٍ بكما فاتَّقِيا.

وقال مكحول: اختلفت إلى شريح أشهرًا لم أسأله عن شيء، اكتفي بما أسمعه يقضي به.

وعن ابن سيرين قال: كان إذا قيل لشريح : كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وشطر الناس عليّ غضاب.

قال أبو إسحاق السبيعي: خرجت قرحة بإبهام شريح فقيل: ألا أريتها طبيبًا؟ قال: هو الذي أخرجها.

وعن الشعبي قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم تكن أكبر منها، وأحمد إذا رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني.

قال ميمون بن مهران: لبث شريح في الفتنة ـ يعني فتنة ابن الزبير ـ تسع سنين لا يخبر فقيل له: قد سلمت. قال: كيف بالهوى؟

وقال منصور: كان شريح إذا أحرم كأنه حيّة صمّاء.

وقال مغيرة: كان لشريح بيت يخلو فيه يوم الجمعة، لا يدري الناس ما يصنع فيه.

يروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية: يا أمير المؤمنين قد ضبطت لك العراق بشمالي وفرّغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز. فبلغ ذلك عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وكان مقيما بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد. فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها فاستدعى القاضي شريحًا وعرض عليه ما أشار به الأطباء فقال له: لك رزق معلوم وأجل مقسوم، وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين. وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك

مقطوع اليد، فإذا سألك: لم قطعتها؟ قلت: بغضًا في لقائك، وفرارًا من قضائك. فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحًا على منعه من القطع لبغضهم له فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يومًا ورجله يومًا وسائر جسده يومًا يومًا.

وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون: أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب، والمكان الذي خلفته لم يعجل امرأً حِمامه ولم يظلمه أيامه. وإنك وإياهم لعلى بساط واحد، إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب، والسلام.

وعن الشعبي قال: شهدت شريحًا وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت فقلت أنا: ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة. فقال: ياشعبي إن إخوة يوسف ـ عليه السلام ـ جاءوا أباهم عِشاءً يبكون.

وعنه قال: إن ابنًا لشريح قال لأبيه: بيني وبين قوم خصومة، فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي لم أخاصمهم. فقص قصته عليه. فقال: انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فخاصمهم إليه. فقضى على ابنه، فقال له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك لم أُلمك، فضحتني. فقال: والله يابني لأنت أحب إليّ من ملء الأرض مثلهم، ولكن الله هو أعز عليّ منك أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم.

وكان سبب توليه القضاء ـ رحمه الله ـ ما رواه الشعبي حيث قال:

اشترى عمر فرساً من رجل على أن ينظر إليه فأخذ الفرس فسار به

فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك. فقال: لا. قال: اجعل بيني وبينك حكماً. قال الرجل: شريح. قال عمر: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي. قال: فانطلقا إليه فقصا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته أوخذ بما ابتعته. فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا، سر إلى الكوفة، فقد وليتك قضاءها. فإنه لأول يوم عرفه فيه.

وعن إبراهيم قال: كان شريح يقول: سيعلم الظالمون حق من نقضوا، إن الظالم ينتظر العقاب، والمظلوم ينتظر النصر.

عن عبدة أنه سمع الشعبي يقول: قال شريح: كانت الفتنة فما سألت عنها. فقال رجل: لو كنت مثلك ما باليت متى مت؟ فقال له شريح: كيف بما في قلبي.

وعن شقيق قال: قال لي شريح: ما أخبرت ولا استخبرت منذ كانت الفتنة. قال: لو كنت مثلك لسرني أن أكون قدمت. قال: فكيف بما في صدري، تلتقي الفئتان إحداهما أحب إليَّ من الأخرى.

ولما سئل ـ رحمه الله ـ: بأي شيء أصبت هذا العلم؟ قال: بمعاوضة العلماء، آخذ منهم وأعطيهم.

وعن الأصمعي قال: قال رجل لشريح: لقد بلغ الله بك يا أبا أمية. قال: إنك لتذكر النعمة في غيرك وتنساها فيك. قال: إني والله لأحسدك على ما أرى بك؛ قال: ما ينفعك الله بهذا ولا ضرني.

وعن ابن عون عن الشعبي قال: قال شريح: ما التقي رجلان إلا كان

أولاهما بالله الذي يبدأ بالسلام.

قال علي بن المديني: ولي شريح البصرة سبع سنين في زمن زياد، وولي الكوفة ثلاثا وخمسين سنة. قال علي: ويقال: تعلم شريح العلم من معاذ بن جبل.

وعن أبي حصين: اختصم إلى شريح رجلان فقضى على أحدهما فقال: قد علمت من حيث أُتيت. فقال له شريح: لعن الله الراشي والمرتشي والكاذب.

وعن أبي الشعثاء جابر بن زيد البصري: أتانا زياد بشريح فقضى فينا سنة لم يقض فينا مثله قبله ولا بعده.

وقال أبو بكر الهذلي عن الشعبي: سمعت شريحاً جاءه رجل من مراد فقال: يا أبا أمية كم دية الأصابع؟ قال: عشر عشر. قال: يا سبحان الله أسواء هاتان ـ وجمع بين الخنصر والإبهام ـ؟ فقال شريح: يا سبحان الله أسواء أذنك ويدك؟ فإن الأذن تواريها العمامة والشعر والكمة فيها نصف الدية وفي اليد نصف الدية؛ ويحك إن السنة سبقت قياسكم فاتبع ولا تبتدع، فإنك لن تضل ما أخذت بالأثر.

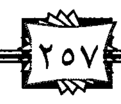
وعن محمد بن سيرين قال شريح: إنما أقتفي الأثر فما وجدت في الأثر حدثتكم.

وعن مجالد بن سعيد: قلت للشعبي: يقال في المثل: إن شريحاً أدهى من الثعلب وأحيل فما هذا؟! فقال لي: ذاك أن شريحاً خرج أيام الطاعون إلى النجف، فكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب فيقف تجاهه فيحاكيه ويخيل بين

يديه فيشغله عن صلاته فلما طال ذلك عليه نزع قميصه فجعله على قصبة وأخرج كُميّه وجعل قلنسوته عمامته عليه، فأقبل الثعلب فوقف على عادته، فأتاه شريح من خلفه فأخذه بغتة، فلذلك يقال: هو أدهى من الثعلب وأحيل.

وكان من كلامه رحمه الله: الخصم داؤك، والشهود شفاؤك.

ويروى أن عليًّا وجد درعه عند يهودي فقال له: درعي سقطت عن جمل لي أورق. فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين. فأتوا شريحاً فلما رأي عليًّا قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس عليٌّ فيه، ثم قال عليٌّ: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تساووهم في المجلس، والجؤوهم إلي أضيق الطرق، فإن سبوكم فاضربوهم وإن ضربوكم فاقتلوهم**» ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت عن جمل لي أورق والتقطها هذا اليهودي، فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي وفي يدي، فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لابد من شاهدين. فدعا قنبراً مولاه والحسن بن علي وشهدا أنها لدرعه فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها. فقال علي: ثكلتك أمك أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» قال: اللهم نعم. قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله لأوجهنك إلى بانقيا



تقضي بين أهلها أربعين يوماً. ثم قال لليهودي: خذ الدرع. فقال اليهودي: أمير المؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى عليه ورضي، صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك، سقطت عن جمل لك التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقال له علي: الدرع لك، وهذا الفرس لك. وفرض له تسعمائة. ثم لم يزل هذا الرجل مع علي قريباً منه حتى دخل معه معركة صفين، حتى قتل فيها.

وكان شريح ـ رحمه الله ـ فقيهاً نبيهاً شاعراً، صاحب مزاح، وكان له دربة في القضاء بالغة.

ورُوي له شعر:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ... فشلَّت يميني حين أضرب زينبا

أأضربها من غير ذنب أتت به ... فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا

وزينب شمس والنساء كواكب ... إذا طلعت لم تُبق منهن كوكبا

والبيت الأخير مأخوذ من قول النابغة عندما مدح النعمان بن المنذر بقوله:

فإنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

قال ابن معين: كان في زمن النبي ﷺ وآله ولم يسمع منه. استقضاه عمر على الكوفة،وأقره عليٌ وأقام على القضاء بها ستين سنة، وقضى بالبصرة سنة. وقال شريح: وليت القضاء لعمر وعثمان وعلي فمن بعدهم إلى أن استعفيت من الحجاج.

وعـاش مائة سنة وثمان سنين ومات بعد أن ترك القضاء بسنة في سنة ثمـانين، وأوصـى قـبل أن يمـوت: أن يصـلى عليه بالجبانة، وأن لا يؤذن به أحـد، ولا تتبعه صائحة، وأن لا يجعل على قبره ثوب، وأن يسرع به السير، وأن يلحد له.

رحمـه الله تعـالى. ورحـم الله أبـا نعـيم القائـل فـيه: ومـنهم شريح بن الحـارث الكندي أبو أمية القاضي، كان من حالة التسليم والتراضي، والقيام على نفسه بالمحاسبة والتقاضي.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٤/ ١٤٤ - ١٥٤ رقم ٢٥٧).
٢- الطبقات الكبرى (٦/ ١٨٢ - ١٩٣ رقم٢٠٢٥).
٣- سير أعلام النبلاء (٤/ ١٠٠ - ١٠٦ رقم ٣٢).
٤- تهذيب الكمال (١٢/ ٤٣٥ - ٤٤٥ رقم ٢٧٢٥).
٥- تهذيب التهذيب (٢/ ١٦٠ - ١٦١).
٦- شذرات الذهب (١/ ٣٢٠ - ٣٢٣).
٧- المنتظم (٦/ ١٨٥ - ١٨٦ رقم ٤٦٩).
٨- صفة الصفوة (٣/ ٢٦ - ٢٨ رقم ٣٩٤).
٩- وفيات الأعيان (٢/ ٤٦٠ - ٤٦٣ رقم ٢٩٠).
١٠- البداية والنهاية (٩/ ٢٥ - ٢٩).
١١- طبقات الحفاظ (ص٢٧ رقم٤٢).

٢٣ ـ مُطرّف بن عبد الله
قـرة العيـن

هـو مطـرِّف بـن عبد الله بن الشِّخِّير الإمام القدوة الحجة أبو عبد الله الحرشي العامري البصري.

كان ثقة لـه فضل وورع ورواية وعقل وأدب.

وقـال العجلـي: كان ثقة لم ينج بالبصرة من فتنة ابن الأشعث إلا هو وابن سيرين ولم ينج منها بالكوفة إلا خيثمة بن عبد الرحمن وإبراهيم النخعي.

قـال بشير بن عقبة ليزيد بن عبد الله بن الشخير: ما كان مطرف يصنع إذا هـاج في الـناس هـيج؟ قـال: كان يلزم قعر بيته ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت.

وقـال غـيلان بن جرير: كان مطرف يلبس البرانس والمطارف ويركب الخيل ويغشى السلطان، لكن إذا أفضيت إليه أفضيت إلى قرة عين.

وقـال قـتادة: فكـان مطـرف إذا كانـت الفتنة نهى عنها وهرب، وكان الحسـن ينهـى عـنها ولا يـبرح. قال مطرف: ما أشبه الحسن إلا برجل يحذر الناس السيل ويقوم بسَنَنِه.

وعـن قـتادة قـال: كـان مطـرف بـن عـبد الله وصـاحب لـه سريا في ليلة مظلمـة، فـإذا طـرف سـوط أحـدهما عـنده ضوء، فقال: أما إنه لو حدثنا الناس بهذا كذبونا. فقال مطرف: المكذب أكذَبُ. يقول: المكذب بنعمة الله أكذب.

وعـن غـيلان بـن جريـر قـال: أقبل مطرف مع ابن أخ لـه من البادية

ـ وكان يبدو ـ فبينا هو يسير سمع في طرف سوطه كالتسبيح فقال له ابن أخيه: لو حدثنا الناس بهذا كذبوبا. فقال: المكذب أكذب الناس.

وقال أبو التياح: كان مطرف بن عبد الله يبدو، فإذا كان ليلة الجمعة أدلج على فرسه، فربما نوّر له سوطه، فأدلج ليلة حتى إذا كان عند القبور هوّم على فرسه (أي نام نوماً خفيفاً). قال: فرأيت أهل القبور، صاحب كل قبر جالساً على قبره، فلما رأوني قالوا: هذا مطرف يأتي الجمعة. قلت: أتعلمون عندكم يوم الجمعة؟! قالوا: نعم، نعلم ما تقول الطير فيه. قلت: وما تقول الطير؟ قالوا: تقول: سلام سلام من يوم صالح.

قال الذهبي: إسنادها صحيح.

وقال سليمان بن المغيرة: كان مطرف إذا دخل بيته سبحت معه آنية بيته.

وقال حميد بن هلال: أتت الحروريةُ مطرفَ بن عبد الله يدعونه إلى رأيهم، فقال: يا هؤلاء لو كان لي نفسان بايعتكم بإحداهما وأمسكت الأخرى، فإن كان الذي تقولون هدى أتبعتها الأخرى وإن كان ضلالة هلكت نفس وبقيت لي نفس، ولكن هي نفس واحدة لا أغرِّر بها.

وعن غيلان بن جرير أنه كان بينه وبين رجل كلام فكذب عليه، فقال مطرف: اللهم إن كان كاذباً فأمته. فخر مكانه ميتًا، فرفع ذلك إلى زياد، فقال: قتلت الرجل قال: لا، ولكنها دعوة وافقت أجلاً.

وقال سليمان بن حرب: كان مطرف مجاب الدعوة، قال لرجل: إن كنت كذبتَ فأرنا به. فمات مكانه.



وقال حميد بن هلال: أتى مطرف بن عبد الله زمان ابن الأشعث ناس يدعونه إلى قتال الحجاج فلما أكثروا عليه قال: أرأيتم هذا الذي تدعوني إليه، هل يزيد على أن يكون جهادًا في سبيل الله؟ قالوا: لا، قال: فإني لا أخاطر بين هلكة أقع فيها وبين فضل أصيبه.

قال ثابت: مات عبد الله بن مطرف، فخرج مطرف على قومه في ثياب حسنة، وقد ادّهن فغضبوا وقالوا: يموت عبد الله ثم تخرج في ثياب مثل هذه مدّهنا؟! قال: فأستكين لها وقد وعدني ربي تبارك عليها ثلاث خصال كل خصلة منها أحب إليَّ من الدنيا كلها؟ قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٌۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧].

وقالت امرأة مطرف: إنه تزوجها على ثلاثين ألفًا وبغلة وقطيفة وماشطة.

وروى مهديٌّ بن ميمون، أن غيلان قال: تزوج مطرف امرأة على عشرين ألفا.

وقال الذهبي في السير: كان مطرف له مال وثروة وبزة جميلة ووقع في النفوس.

وقال قتادة: حدثنا مطرف قال: كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: يا عباد الله! أكرموا وأجملوا، فإنما وسيلة العباد إلي الله بخصلتين: الخوف والطمع. فأتيته ذات يوم، وقد كتبوا كتاباً، فنسقوا كلاماً من هذا النحو: إن الله ربنا ومحمد نبينا والقرآن إمامنا، ومن كان معنا كنا وكنا، ومن خالفنا



كانت يدنا عليه وكنا وكنا. قال فجعل يعرض الكتاب عليهم رجلاً رجلاً. فيقولون: أقررت يا فلان؟ حتى انتهوا إليَّ، فقالوا: أقررت يا غلام؟ قلت: إن الله قد أخذ عليَّ عهداً في كتابه، فلن أحدث عهداً سوى العهد الذي أخذه عليّ. فرجع القوم من عند آخرهم ما أقر منهم أحد، وكانوا زهاء ثلاثين نفساً.

قال العجلي: بصري ثقة من كبار التابعين، رجل صالح.

وقال ابن حبان في «الثقات»: ولد في حياة النبي ﷺ وكان من عباد أهل البصرة وزهادهم.

قال أخوة يزيد بن عبد الله: مطرف أكبر مني بعشر سنين وأنا أكبر من الحسن البصري بعشر سنين.

قال الذهبي: على هذا يقتضي أن مولد مطرف كان عام بدر أو عام أحد، ويمكن أن يكون سمع من عمر وأُبيّ.

وعن ثابت قال: قال مطرف: أني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون، يبيتون لربهم سجداً وقياماً، أمن هو قامت آناء الليل ساجداً وقائماً، فلا أراني فيهم، فأعرض نفسي على هذه الآية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر٤٢] وأمر بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة:١٠٢]. فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم.



وقال مطرف: لو سألنا الله أن يميتنا من خشيته كنا أحق بذلك ولقد علمت أن ربي ـ تعالى ـ ليرضى منا بدون ذلك.

وقال: لو أتاني آت من ربي ـ تعالى ـ فخيرني: أفي الجنة أو في النار، أو أصير تراباً؟ اخترت أن أصير تراباً.

وقال: فضل العلم أحب إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع.

وقال: صلاح القلب بصلاح العمل، وصلاح العمل بصحة النية.

وقال: لو كانت الدنيا لي فأخذها الله مني بشربة ماء ليسقيني بها يوم القيامة كان قد أعطاني بها ثمناً.

وقال: إن من أحب عباد الله إلى الله الصّبّار الشكور، الذي إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.

وقال: نظرت ما خير لا شر فيه ولا آفة ـ ولكل شيء آفة ـ فما وجدته، إلا أن يعافى عبد فيشكر.

وقال: لأن أعافى فأشكر أحب إليّ من أن ابتلى فأصبر.

وقال: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إليَّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً.

وقال: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرت عليَّ نفسي.

وقال: لو أخرج قلبي فجعل في يدي هذه اليسار، وجيء بالخير فجعل في هذه اليمنى ما استطعت أن أولج قلبي منه شيئاً حتى يكون الله ـ تعالى ـ يضعه.

عن المعلى بن زياد قال: كان إخوان مطرف عنده فخاضوا في ذكر

الجنة، فقال مطرف: لا أدري ما تقولون؟ حال ذكر النار بيني وبين الجنة.

وعن غيلان بن جرير قال: سمعت مطرفاً يقول: كأن القلوب ليست منا، وكأن الحديث يعنى به غيرنا.

وعن ثابت أن مطرفاً كان يقول: لو أن رجلاً رأى صيداً، والصيد لا يراه يختله أليس يوشك أن يأخذه، قالوا: بلى. قال: فإن الشيطان هو يرانا ونحن لا نراه، فيصيب منا.

وعن أبي العلاء عن مطرف أنه قال: ما أوتي عبد بعد الإيمان أفضل من العقل.

وعن قتادة عن مطرف قال: إن هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

وعن سفيان قال: قال مطرف: إن الفتنة ليست تأتي تهدي الناس، ولكن إنما تأتي تقارع المؤمن عن دينه، ولأن يقول الله: لم لا قتلت فلانا أحب إليَّ من أن يقول: لِمَ قتلت فلانا؟

وعن غيلان قال: حبس الحجاج مورقاً العجلي في السجن فقال لي مطرف بن عبدالله: تعال ندعو وأمنوا. فدعا مطرف وأمنا على دعائه. فلما كان العشاء خرج الحجاج ودخل الناس، ودخل أبو مورق فيمن دخل، فقال الحجاج لحرسي: اذهب إلى السجن فادفع ابن هذا الشيخ إليه. قال خالد بن خداش: من غير أن يكلمه فيه أحد من الناس.

وكان مطرف ـ رحمه الله ـ يدعو ربه فيقول:

- اللهم إني أعوذ بك من شر السلطان ومن شر ما تجري به أقلامهم، وأعوذ بك أن أقول بحق أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيء يشيني عندك، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على ضر نزل بي، وأعوذ بك من أن تجعلني عبرة لأحد من خلقك، وأعوذ بك أن تجعل أحداً أسعد بما عملته مني، اللهم لا تخزني فإنك بي عالم، اللهم لا تعذبني فإنك عليّ قادر.
- اللهم إني أستغفرك مما تبت إليك منه ثم عدت إليه، وأستغفرك مما جعلته لك على نفسي ثم لم أوف به، وأستغفرك مما زعمتُ أني أردتُ به وجهك فخالط قلبي فيه ما قد علمت.
- اللهم ارض عنا فإن لم ترض عنا فاعف عنا، فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راض.
- اللهم تقبل مني صلاة، اللهم تقبل مني صياماً، اللهم اكتب لي حسنة. ثم قال: إنما يتقبل الله من المتقين.

غاب ابن لمطرف فلبس جبة وأخذ عصا ـ أو قصبة ـ في يده وقال: أتمسكن لربي لعله يرحمني، فيرد عليَّ ولدي.

وقد قال ـ رحمه الله ـ لبعض إخوانه: يا أبا فلان إذا كانت لك إليَّ حاجة فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها إليّ فِي رقعة ثم ارفعها إليَّ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال.

وعن أبي التياح أن مطرف بن عبد الله قال: أتى على الناس زمان



أفضلهم في أنفسهم المسارع، وأما اليوم فأفضلهم في أنفسهم المتأني.

وقال ـ رحمه الله ـ: إذا دخلتم على مريض فإن استطعتم أن يدعو لكم فإنه قد حرك. أي قد أوقظ من غفلته بسبب مرضه ـ فدعاؤه مستجاب من أجل كسره ورقة قلبه.

وقال ـ رحمه الله ـ: أقبح ما طلبت به الدنيا عمل الآخرة.

حبس السلطان ابن أخي مطرف فلبس مطرف خُلْقان ثيابه، وأخذ عكازاً وقال: أستكين لربي لعله أن يُشفِّعني في ابن أخي.

وعن ثابت البناني ورجل آخر قد سماه أنهما دخلا على مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو مغمًى عليه، قال: فسطعت منه ثلاثة أنوار: نور من رأسه، ونور من وسطه ونور من رجليه. قال: فهالنا ذلك، فأفاق فقلنا: كيف تجدك يا أبا عبد الله؟ قال: صالح. قلنا: لقد رأينا شيئاً هالنا. قال: وما هو؟ قلنا. أنوار سطعت منك قال: وقد رأيتم ذلك؟! قلنا: نعم. قال: تلك آلم السجدة، وهي تسع وعشرون آية تسطع أولها من رأسي وأوسطها من وسطي وآخرها من قدمي، وقد صعدت لتشفع لي، وهذه تبارك تحرسني.

قال ـ رحمه الله ـ: لو علمت متى أجلي لخشيت على ذهاب عقلي، ولكن الله منَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولولا الغفلة ما تهنأوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسواق.

أوصى مطرف أخاه يزيد أن لا يؤذن بجنازته أحدًا.

ومات ـ رحمه الله ـ في سنة ست وثمانين. وقيل سنة سبع وثمانين



وقيل غير ذلك.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم المتعبد الشكير مطرف بن عبد الله بن الشخير، كان لنفسه مذلاً، ولذكر الله ـ عز وجل ـ مجلاً.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٢٧ - ٢٤١ رقم١٧٨).
٢- الطبقات الكبرى (٧/ ١٠٣ - ١٠٦ رقم٣٠٢٧).
٣- سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧ - ١٩٥ رقم٧٧).
٤- تهذيب الكمال (٢٨/ ٦٧ - ٧٠ رقم٦٠٠١).
٥- المنتظم (٦/ ٢٨١ - ٢٨٢ رقم٥٠٦).
٦- صفة الصفوة (٣/ ١٥٧ - ١٦٠ رقم٤٩٢).
٧- تهذيب التهذيب (٤/ ٩٠ - ٩١).
٨- شذرات الذهب (١/ ٣٨٦).
٩- البداية والنهاية (٩/ ٧٥).

٢٤ ـ ربيعة الرأي
عالـــم الوقـــت

هـو ربـيعة بـن أبي عبد الرحمن فروخ الإمام مفتي المدينة وعالم الوقت أبـو عـثمان، ويقـال أبـو عبد الرحمن القرشي التيمي مولاهم المشهور بربيعة الرأي من موالي آل المنكدر.

كان من أئمة الاجتهاد ومن أوعية العلم.

وثقه أحمد بن حنبل وأبو حاتم وجماعة.

وقال يعقوب بن شيبة: ثقة ثبت، أحد مفتي المدينة.

وقـال مصعب الزبيري: كان يقال لـه: ربيعة الرأي، وكان صاحب الفتوى بالمدينة، وكان يجلس إليه وجوه الناس، كان يحصى في مجلسه أربعون معتماً.

وقال يحيى بن سعيد: ما رأيت أحداً أفطن من ربيعة بن أبي عبد الرحمن.

وقال عبيد الله بن عمر: هو صاحب معضلاتنا وعالمنا وأفضلنا.

وعـن عـبد الـرحمن بـن زيـد بـن أسلم قال: مكث ربيعة دهراً طويلاً عابـداً، يصـلي الـليل والـنهار، صـاحب عـبادة، ثم نزع ذلك إلى أن جالس القـوم، قـال: فجالس القاسم، فنطق بلُبٍّ وعقل. وكان القاسم إذا سئل عن شـيء قال: سلوا هذا ـ لربيعة ـ فإن كان في كتاب الله أخبرهم به القاسم أو في سنة رسول الله ﷺ، وإلا قال: سلوا ربيعة أو سالماً.

وعـن عـبد الرحمن بن زيد قال: كان يحيى بن سعيد يجالس ربيعة، فإذا

غاب ربيعة حدثهم يحيى أحسن الحديث. وكان كثير الحديث فإذا حضر ربيعة كف يحيى إجلالاً لربيعة، وليس ربيعة أسنَّ منه، وهو فيما هو فيه، وكان كل واحد منهما مبجِّلاً لصاحبه.

وروى معاذ بن معاذ عن سوّار بن عبد الله العنبري قال: ما رأيت أحداً أعلم من ربيعة الرأي. قلت ولا الحسن وابن سيرين؟! قال: ولا الحسن وابن سيرين.

وعن عبد العزيز بن أبي سلمة قال: لما جئت العراق جاءني أهل العراقي فقالوا: حدثنا عن ربيعة الرأي. فقلت: يا أهل العراق، تقولون: ربيعة الرأي، والله ما رأيت أحدًا أحفظ لسنة منه.

وعن عبد الرحمن بن زيد قال: صار ربيعة إلى فقه وفضل، وما كان بالمدينة رجل أسخى بما في يديه لصديق أو لابن صديق، أو لباغ يبتغيه منه، كان يستصحبه القوم فيأبى صحبة أحد إلا أحدًا لا يتزود معه ولم يكن في يده ما يحمل ذلك.

وعن مالك قال: لما قدم ربيعة على أمير المؤمنين أبي العباس أمر له بجائزة فأبي أن يقبلها، فأعطاه خمسة آلاف درهم يشتري بها جارية حين أبى أن يقبلها، فأبى أن يقبلها.

وعن مالك عن ربيعة قال: قال لي حين أراد العراق: إن سمعت أني حدثتهم أو أفتيتهم فلاَ تُعدَّني شيئاً. قال: فكان كما قال. لما قدمها لزم بيته فلم يخرج إليهم ولم يحدثهم بشيء حتى رجع.

وقال أبو بكر بن عياش: دخلت المسجد فإذا ربيعة جالس، وقد أحدق به غلمان أهل الرأي فسألته: أسمعت من أنس شيئاً؟ قال: حديثين.

وقال أبو بكر بن الخطيب: كان ربيعة فقيهاً عالماً حافظاً للفقه والحديث، قدم على السفاح الأنبار، وكان أقدمه ليوليه القضاء. فلم يفعل وعرض عليه العطاء فلم يقبل.

وقال يحيى بن معين وغيره: مات بالأنبار، وكان ثقة كثير الحديث، وكانوا يتقونه لموضع الرأي.

قال ابن القاسم عن مالك: قدم الزهري فأخذ بيد ربيعة ودخلا المنزل، فما خرجا إلى العصر، وخرج ابن شهاب يقول: ما ظننت أن بالمدينة مثل ربيعة. وخرج ربيعة وهو يقول نحو ذلك.

وعن يونس: شهدت أبا حنيفة في مجلس ربيعة، مجهوده أن يفهم ما يقول ربيعة.

وعن مطرف بن عبد الله عن ابن أخي يزيد بن هرمز أن رجلاً سأل ابن هرمز عن بول الحمار. فقال: نجس. قال: فإن ربيعة لا يرى به بأساً قال: لا عليك ألا تذكر هنات ربيعة، فلربما تكلمنا في المسألة نخالفه فيها، ثم نرجع إلى قوله بعد سنة.

وقال مالك: اعتممت وما في وجهي شعرة، ولقد رأيت في مجلس ربيعة بضعة وثلاثين معتماً.

وقال: كان ربيعة أعجل شيء جواباً.



وقال عبد العزيز بن الماجشون: والله ما رأيت أحوط لسنة من ربيعة.

وقال محمد بن عمر: كانت له مروة وسخاء مع فقهه وعلمه، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكان ربما اجتمع هو وأبو الزناد في حلقة. ثم افترقا بعد فجلس هذا في حلقة وهذا في حلقة.

فعن ابن أبي سبرة وعبد الله بن جعفر قالا: كان ربيعة إذا مرض فجلس في بيته وضع مائة لعواده، فلا تزال موضوعة فكلما دخل إليه قوم يعودونه قال: أصيبوا، أصيبوا. فلا يزال كذلك حتى يخرج، وذلك بكلفة.

وعن ليث بن سعد عن يحيى بن سعيد قال: ما رأيت أحداً أسدَّ عقلا من ربيعة.

قال ليث: وكان صاحب معضلات أهل المدينة ورئيسهم في الفتيا.

أدرك جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، وعنه أخذ مالك بن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

قال بكر بن عبد الله الصنعاني: أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأي، فكنا نستزيده من حديث ربيعة، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذاك الطاق؟ فأتينا ربيعة فأنبهناه، وقلنا له: أنت ربيعة؟ قال: نعم. قلنا: أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس؟ قال: نعم. فقلنا: كيف حظي بك مالك وأنت لم تحظ بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم؟.

وكان ربيعة يكثر الكلام ويقول: الساكت بين النائم والأخرس. وكان

يـوماً في مجلسـه وهـو يـتكلم، فوقـف علـيه أعرابـي دخل من البادية فأطال الوقـوف والإنصـات إلى كلامـه، فظن ربيعة أنه قد أعجبه كلامه، فقال لـه: يـا أعرابـي مـا الـبلاغة عـندكم؟ فقال: الإيجاز مع إصابة المعنى. فقال: وما العِيُّ؟ فقال: ما أنت فيه منذ اليوم. فخجل ربيعة.

وعـن سـفيان قـال: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً جالساً فغطى رأسه ثم اضطجع فبكى فقيل لـه: ما يبكيك؟ فقال: رياء ظاهر وشهوة خفية.

ولقد جرت لـه محنة.

قـال أبـو داود: كـان الـذي بـين أبـي الزناد وربيعة متباعداً، وكان أبو الـزناد وجيها عند السلطان فأعان على ربيعة فضرب وحلقت نصف لحيته، فحلق هو النصف الآخر.

وقـال عبد العزيز بن أبي سلمة: قلت لربيعة في مرضه الذي مات فيه: إنـا قـد تعلمـنا مـنك، وربمـا جاءنـا من يستفتينا في الشيء لم نسمع فيه شيئاً فنـرى أن رأينا خير لـه من رأيه لنفسه فنفتيه؟ قال: فقال: أقعدوني. ثم قال: ويحـك يا عبد العزيز لأن تموت جاهلاً خير من أن تقول في شيء بغير علم، لا، لا. ثلاث مرات.

أدرك بعـض الصـحابة والأكابـر مـن الـتابعين، وكان صاحب الفتوى بالمديـنة، وكـان يجلـس إليه وجوه الناس بالمدينة، وكانت لـه حلقة للفتوى، وهو من الثقات كما قال ابن ناصر الدين.

قـال ابـن سعد في "الطبقات" : ولقد ذكر لي أن أبا جعفر محمد بن علي

ابن حسين كان يجلس مع ربيعة في حلقته، فأما جعفر بن محمد فلم يزل يجلس مع ربيعة. قال: قلت: ولِمَ! وولاء ربيعة لآل المنكدر؟ فقال: لإخوة كانت بين ربيعة وبينهم.

قال الوليد بن يزيد لربيعة: لم تركت الرواية؟ قال: يا أمير المؤمنين تقادم الزمان، وقل أهل القناعة.

وقال مالك: كان ربيعة يقول لابن شهاب: إن حالي ليست تشبه حالك. قال: وكيف؟ قال:أنا أقول برأي من شاء أخذه ومن شاء تركه، وأنت تحدث عن النبي ﷺ فيحفظ.

قال العجلي في تاريخه: حدثني أبي قال: قال ربيعة: وسئل كيف استوى؟ فقال: الكيف غير معقول، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التصديق.

وصح عن ربيعة أنه قال: العلم وسيلة إلى كل فضيلة.

سأل رجل ربيعة فقال: يا أبا عثمان ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها ووضعها في حقها.

وقال له رجل: انعت لي أبا بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فقال ربيعة: ما أدري كيف أنعتهما لك؟ أما هما فقد سبقا من كان معهما، وأتعبا من كان بعدهما.

مرّ ربيعة بمالك بن أنس فقال له: يا مالك ما أقول لك نفاسة، إنه بلغني أنه سيكون في هذه الأمة أئمة في الدين يَضِلون ويُضلون، فاتق الله أن تكون منهم.

وسئل ربيعة: ما منتهى الصبر؟ فقال: أن يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه.

ذكر أهل السير والتاريخ حكاية مشهورة وفيها كلام، وأنا أذكرها هنا لشهرتها وبيان ما قيل فيها.

فقد ذكرها المزي في «تهذيبه» وابن خلكان في «وفيات الأعيان» وابن الجوزى في (المنتظم) و(الصفوة) وساقها الذهبي في «السير» بسنده:

حدثنا عبد الوهاب بن عطاء الخفاف، حدثني مشيخة أهل المدينة: أن فروخ والد ربيعة خرج في البعوث إلى خراسان أيام بني أمية غازيا وربيعة حمل في بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكب فرس في يده رمح فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة فقال: يا عدو الله، أتهجم عليّ منزلي؟ فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمتي، فتواثبا، وتلبث كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران. فبلغ مالك بن أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول كذلك ويقول: وأنت مع امرأتي وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك، سكت الناس كلهم. فقال مالك: أيها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار. فقال الشيخ: هي داري وأنا فروخ مولى بني فلان. فسمعت امرأته كلامه فخرجت، فقالت: هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به، فاعتنقا جميعاً وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال:

هـذا ابـني؟! قالـت: نعم. قال: فأخرجي المال الذي عندك وهذه معي أربعة آلاف ديـنار. قالـت: المـال قـد دفنته، وأنا أخرجه بعد أيام. فخرج ربيعة إلى المسـجد، وجلـس في حلقـته وأتـاه مالك بن أنس والحسن بن زيد وابن أبي علـيّ اللِّهْـبيّ والمسـاحقي وأشـراف أهـل المديـنة وأحـدق الـناس به فقالت امـرأته: اخـرج صـلّ في مسجد الرسول ﷺ. فخرج فصلى، فنظر إلى حلقة وافـرة، فأتاه فوقف عليه ففرجوا لـه قليلاً، ونكّس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يـره وعلـيه طـويلة. فشك فيه أبو عبد الرحمن، فقال: من هذا الرجل؟ قالوا لــه: هذا ربيعة بن أبي عبد الرحمن. فقال: لقد رفع الله ابني. فرجع إلى منزله فقـال لوالدته: لقد رأيت ولدك في حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه علـيها. فقالت أمه: فأيما أحب إليك: ثلاثون ألف دينار أو هذا الذي هو فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإني قد أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعته. اهـ.

لقـد صـدر الحـافظ الـذهبي هـذه الحكاية بقوله: ذكر حكاية باطلة قد رويت: ثم ذكر سنده وذكر الحكاية كما تقدم ثم قال:

لـو صـح ذلـك لكـان يكفـيه ألف دينار في السبع والعشرين سنة، بل نصفها، فهذه مجازفة بعيدة.

ثـم لمـا كـان ربـيعة ابـن سبع وعشرين سنة كان شابًّا لا حلقة لـه، بل الدَّسْتُ لمثل سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومشايخ ربيعة.

وكان مالك لم يولد بعد أو هو رضيع.



والطويلة: إنما أخرجها للناس المنصور بعد موت ربيعة.

والحسن بن زيد وإنما كبر واشتهر بعد ربيعة بدهر.

وإسنادها منقطع. ولعله قد جرى بعض ذلك. انتهى كلام الذهبي.

قال مطرف: سمعت مالكاً يقول: ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة.

رحمه الله وغفر له، ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم صاحب المعارف والبيان، والمحارف والقربان، ربيعة بن أبي عبد الرحمن أبو عثمان.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٣/ ٢٩٧ـ٣٠٥ رقم٢٤١).

٢- سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩ـ٩٦ رقم٢٣).

٣- الطبقات الكبرى (٥/ ٤١٥ـ٤١٧ رقم١٢٢٠).

٤- تهذيب الكمال (٩/ ١٢٣ـ١٣٠رقم١٨٨١).

٥- وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨ـ٢٩٠ رقم٢٣٢).

٦- المنتظم (٧/ ٣٤٩ـ٣٥١ رقم٧٣٢).

٧- صفة الصفوة (٢/ ٤٨٣ـ٤٨٦ رقم١٨٣).

٨- تهذيب التهذيب (١/ ٥٩٨ـ٥٩٩).

٩- شذرات الذهب (٢/ ١٥٩).

٢٥ ـ أبو مسلم الخولاني
حكيم الأمة وريحانة الشام

هو أبو مسلم الخولاني الداراني سيد التابعين وزاهد العصر، اسمه على الأصح: عبد الله بن ثُوَب، وقيل: اسمه عبد الله بن عبد الله. وقيل: عبد الله بن ثوَّاب وقيل غير ذلك. تابعي فقيه عابد زاهد، رآه كعب فقال: من هذا؟ قالوا له: أبو مسلم فقال: هذا حكيم هذه الأمة.

ونعته الذهبي بريحانة الشام.

قدم من اليمن وقد أسلم في أيام النبي ﷺ فدخل المدينة في خلافة الصديق.

قد تنبأ الأسود العنسي باليمن وادعى أنه يوحى إليه فاتبعه ناس كثير بالترغيب والترهيب فأرسل إلى أبي مسلم فقال له: أتشهد أن محمداً رسول الله قال: نعم. قال: فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال فتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم، قال فتشهد أني رسول الله؟ قال : ما أسمع، فتغيظ الأسود العنسي واشتد حنقه وغضبه فأمر بنار عظيمة فأججت وطرح فيها أبو مسلم، فلم تضره النار ونجاه الله منها، وتحققت بركته وكرامته، وخرج من النار معافا ولم تصبه بسوء فكان شبيهاً بإبراهيم الخليل لما قذفوه في النار وأمر الله النار أن تكون عليه برداً وسلاماً. فلما رأى الأسود وجنوده قال له أهل مملكته: إن تركت هذا في بلادك

أفسدها عليك. فأمره بالرحيل ومغادرة اليمن فخرج قاصداً المدينة النبوية لعله يدرك رسول الله ﷺ فيتشرف بصحبته وينال فضل رؤيته، ولكن لما قدم المدينة وجد رسول الله ﷺ قد قبض واستخلف أبو بكر. ودخل المسجد فقام إلى سارية من سواري المسجد يصلي فبصر به عمر بن الخطاب، فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن. قال عمر: فما فعل عدو الله بصاحبنا الذي حرقه بالنار فلم تضره؟ قال: ذاك عبد الله بن ثوب. قال: نشدتك بالله عز وجل أنت هو؟ قال: اللهم نعم. قال: فقبل ما بين عينيه، ثم جاء به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فُعِلَ به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن ـ عليه السلام ـ.

عن علقمة بن مرثد قال: انتهى إليَّ ثمانية من التابعين منهم: أبو مسلم الخولاني، فإنه لم يكن يجالس أحداً يتكلم في شيء من أمر الدنيا إلا تحول عنه فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفر قد اجتمعوا، فرجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى، فجلس إليهم، وإذا بعضهم يقول: قدم غلامي فأصاب كذا وكذا. وقال آخر: جهزت غلامي. فنظر إليهم وقال: سبحان الله أتدرون ما مثلي ومثلكم؟ كمثل رجل أصابه مطر غزير وابل، فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال: لو دخلت هذا البيت حتى يذهب هذا المطر فدخل فإذا البيت لاسقف له، جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكرٍ وخيرٍ فإذا أنتم أصحاب دنيا.

وقيل لأبي مسلم الخولاني حين كبر وضعف: لو قصرت عن بعض ما تصنع. فقال: أرأيتم لو أرسلتم الخيل في الحلبة ألستم تقولون لفارسها: دعها وارفق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبقوا منها شيئاً؟ قالوا: بلى. قال: فإني قد أبصرت الغاية، وإن لكل ساع غاية، وغاية كل ساع الموت، فسابقٌ ومسبوق.

قال عبد الملك بن عمير: كان أبو مسلم الخولاني إذا استسقى سُقي.

وعن يحيى بن معين أنه قال عنه: ثقة.

وقال العجلي: شامي تابعي ثقة من كبار التابعين وعُبّادهم.

وذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام، وقال: كان ثقة، توفي في زمن يزيد بن معاوية.

وقال شرحبيل بن مسلم: كان الولاة يتيمنون بأبي مسلم، ويؤمِّرونه على المقدمات.

وكان رحمه الله مجاب الدعوة مشهوراً بذلك، الأمر الذي جعل الصبيان يطلبون منه أن يدعو الله فيحبس لهم الصيد فيأخذونه، فعن بلال ابن كعب، أن الصبيان قالوا لأبي مسلم الخولاني: ادع الله أن يحبس علينا هذا الظبي فنأخذه، فدعا الله، فحبسه فأخذوه.

وقال أحمد بن حنبل: حُدِّثنا عن محمد بن شعيب عن بعض المشيخة قال: أقبلنا من أرض الروم فمررنا بالعمير على أربعة أميال من حمص في آخر الليل فاطلع راهب من صومعة فقال: هل تعرفون أبا مسلم الخولاني؟ قلنا: نعم. قال: إذا أتيتموه فأقرؤوه السلام، فإنا نجده في الكتب رفيق عيسى ابن مريم. أما

إنكم لا تجدونه حيًّا. قال: فلما أشرفنا على الغوطة بلغنا موته.

وقال سعيد بن هانئ: قال معاوية: إنما المصيبة كل المصيبة بموت أبي مسلم الخولاني، وكريب بن سيف الأنصاري.

قال الذهبي في «السير»: إسناده صالح، فعلى هذا يكون أبو مسلم مات قبل معاوية، إلا أن يكون هذا هو معاوية بن يزيد.

قال ابن عبد البرفي «الاستيعاب»: أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ وهو معدود في كبار التابعين، وكان ناسكا عابداً له كرامات.

وقال سفيان: سمعت أبا هارون موسى بن عيسى، يقول: كان يقال: إن أبا مسلم الخولاني ممثل هذه الأمة.

وعن عطية بن قيس أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولاني في منزله وهو غاز بأرض الروم فوجدوه قد احتفر في فسطاطه جوبة، ووضع في الجوبة نطعا، وأفرغ فيه ماءً يتصلّق فيه وهو صائم، فقالوا: ما يحملك على الصيام وأنت مسافر، وقد رخص لك في الفطر في السفر؟! فقال: لو حضر قتال لأفطرت وتقوّيت للقتال، إن الخيل لا تجري إلى الغايات وهي بُدَّن، إنما تجري وهي ضُمّر، إن بين أيدينا أياماً لها نعمل.

قال محمد بن زياد عن أبي مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروا بنهر: أجيزوا بسم الله. قال: ويمر بين أيديهم. قال: فيمرون بالنهر الغمر، فربما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الركب أو بعض ذلك، أو قريباً من ذلك. فإذا جازوا قال للناس: هل ذهب لكم من شي؟ من ذهب له شيء فأنا له ضامن. قال: فألقي



بعضهم مخلاة عمداً فلما جازوا قال الرجل: مخلاتي وقعت في النهر. قال له أبو مسلم: اتبعني، فإذا المخلاة تعلقت ببعض أعواد النهر.

عن عبد الله الحرسي ـ وكان من حرس عمر بن عبد العزيز ـ قال: دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان وقال: السلام عليكم أيها الأجير. فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم، ثم قال: السلام عليكم أيها الأجير. فقال الناس: الأمير فقال معاوية: دعوا أبا مسلم هو أعلم بما يقول. قال أبو مسلم: إنما مثلك مثل رجل استأجر أجيراً فولاه ماشيته وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية ويوفر جزازها وألبانها، فإن هو أحسن رعيتها ووفر جزازها حتى تلحق الصغيرة وتسمن العجفاء أعطاه أجره وزاد من قبله زيادة، وإن هو لم يحسن رعيتها وأضاعها حتى تهلك العجفاء وتعجف السمينة ولم يوفر جزازها وألبانها غضب عليه صاحب الأجر فعاقبه ولم يعطه الأجر، فقال معاوية: ما شاء الله كان.

وعن يونس بن الهرم عن أبي مسلم الخولاني أنه نادى معاوية بن أبي سفيان وهو جالس على منبر دمشق فقال: يا معاوية إنما أنت قبر من القبور، إن جئت بشيء كان لك شيء، وإن لم تجئ بشيء فلا شيء لك. يا معاوية لا تحسبن الخلافة جمع المال وتفرقه، ولكن الخلافة العمل بالحق والقول بالمعدلة وأخذ الناس في ذات الله ـ عز وجل ـ. يا معاوية إنا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفت لنا رأس عيننا وإنك رأس عيننا. يا معاوية إياك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب فيذهب حيفك بعدلك. فلما

قضى أبو مسلم مقالته أقبل عليه معاوية، فقال: يرحمك الله.

عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من أمر أبي مسلم الخولاني أن علق سوطه في مسجده ويقول: أنا أولى بالسوط من الدواب. فإذا دخلته فترة مشق ساقه سوطا أو سوطين، وكان يقول: لو رأيت الجنة عيانا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندي مستزاد.

وعن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: كان أبو مسلم الخولاني إذا انصرف إلى منزله من المسجد كبّر على باب منزله فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبّر فتجيبه امرأته، وإذا بلغ باب بيته كبّر فتجيبه امرأته. فانصرف ذات ليلة فكبّر عند باب داره فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد، فلما كان عند باب بيته كبّر فلم يجبه أحد، وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه. قال: فدخل البيت، فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكسة تنكت بعود معها، فقال لها: مالك؟! قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم فلو سألته فأخذ منا وأعطاك، فقال: اللهم من أفسد عليَّ امرأتي فأعم بصرها. قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك، فقالت لها: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له: يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم. قال: فبينا تلك المرأة جالسة في بيتها إذ أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفئ؟! قالوا: لا. فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله ـ عز وجل ـ لها أن يرد عليها بصرها. قال: فرحمها أبو مسلم، فدعا الله لها فرد عليها بصرها.

وعـنه قـال: قالـت امـرأة أبـي مسلم الخولاني: يا أبا مسلم ليس لنا دقيق. قـال: عـندك شـيء؟ قالـت: درهـم بعـنا بـه غزلاً. قال: ابغينيه وهاتي الجراب. فـدخل السـوق فوقـف علـى رجـل يبـيع الطعام فوقف عليه سائل، فقال: يا أبا مسلم تصـدق علـيَّ، فهـرب مـنه، فأتـي حانـوتا آخر فتبعه السائل، فقال: يا أبا مسلم. فهرب منه فأتى حانوتا آخر فتبعه السائل. فقال: يا أبا مسلم. فهرب منه، فأتـى حانـوتا آخـر فتبعه السائل فقال: تصدق عليَّ. فلما أضجره أعطاه الدرهم ثـم عمـد إلى الجـراب فمـلأه نجارة النجارين مع التراب، ثم أقبل إلى باب منزله، فنقـر الـباب، وقلـبه مـرعوب من أهله. فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب فلمـا فتحـته إذا هـي بدقـيق حُـوَّارى (أي الدقـيق الأبـيض وهـو لباب الدقيق) فعجـنت وخبـزت، فلمـا ذهـب من الليل الهوِيّ جاء أبو مسلم فنقر الباب، فلما دخـل وضـعت بين يديه خِواناً وأرغفة فقال: من أين لكم هذا؟! قالت لـه: يا أبا مسلم من الدقيق الذي جئت به، فجعل يأكل ويبكي.

قـال الحسـن : قـال أبو مسلم الخولاني ـ وكان ذا أمثال ـ : أرأيتم نفساً إذا أكـرمتها وودعـتها ونعمـتها ذمتني غداً عند الله، وإن أنا أهنتها وأنصبتها وأعملتها مدحتني عند الله غداً؟ قالوا : من تيك يا أبا مسلم ؟ قال : تيك والله نفسي.

وعـن أبـي مسـلم قال: مثل الإمام كمثل عين عظيمة صافية طيبة الماء يجـري مـنها إلى نهـر عظـيم فـيخوض الـناس النهر فيكدرونه ويعود عليهم صفو العين، فإن كان الكدر من قبل العين فسد النهر.

قـال : ومـثل الإمام ومثل الناس كمثل الفسطاط لا يستقل إلا بعمود

ولا يقوم العمود إلا بالأطناب ـ أو قال: بالأوتاد ـ فكلما نزع وتداً زاد العمود، وهذا لا يصلح الناس إلا بالإمام، ولا يصلح الإمام إلا بالناس.

وعن شرحبيل بن مسلم عن أبي مسلم الخولاني : أنه كان إذا وقف على خربة قال: يا خربة أين أهلك؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم وانقطعت الشهوات وبقيت الخطيئة.ابن آدم ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة.

وعن صفوان بن مسلم قال: قال أبو مسلم الخولاني : كان الناس ورقاً لا شوك فيه، فإنهم اليوم شوك لا ورق فيه، إن ساببتهم سابوك، وإن ناقدتهم ناقدوك، وإن تركتهم لم يتركوك.

وفي رواية : وإن نفرت منهم يدركوك. قال: فما أصنع؟ قال: هب عرضك ليوم فقرك، وخذ شيئاً من لا شيء.

وعن يزيد بن جابر قال: كان أبو مسلم الخولاني يكثر أن يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان، وكان يقول : اذكروا الله حتى يرى الجاهل أنكم مجانين.

وعن عطاء بن أبي رباح عن أبي مسلم الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فيه نحو من ثلاثين كهلاً من أصحاب النبي ﷺ وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا لا يتكلم، ساكت، فإذا امترى القوم في شيء أقبلوا عليه فسألوه، فقلت لجليس لي : من هذا؟ قال : هذا معاذ بن جبل، فوقع في نفسي حبه، فمكثت معهم حتى تفرقوا ثم هجرت إلى المسجد، فإذا معاذ بن جبل قائم يصلي إلى سارية فصليت ثم جلست فاحتبيت بردائي وجلس فسكت لا أكلمه وسكت لا يكلمني ثم قلت: إني والله لأحبك.

قال: فيم تحبني؟ قلت: في الله ـ عز وجل ـ قال: فأخذ بحبوتي فجرني إليه هنيهة ثم قال: أبشر إن كنت صادقاً، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء**» قال: فخرجت فلقيت عبادة بن الصامت فقلت: يا أبا الوليد ألا أحدثك ما حدثني به معاذ بن جبل في المتحابين؟ قال: وأنا أحدثك، عن النبي ﷺ يرفعه إلى الرب ـ عز وجل ـ قال: «**حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيّ!!**».

قال المفضل بن غسّان الغلابي إن علقمة وأبا مسلم ماتا في سنة اثنتين وستين ـ رحمهما الله تعالى ـ.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم المتخلي عن الهموم والكرب، المتسلي بالأوراد والنوب، الخولاني أبو مسلم عبد الله بن ثُوَب، حكيم الأمة وممثلها، ومديم الخدمة ومحررها.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٢/ ١٤٤-١٥٣ رقم ١٦٨).
٢- سير أعلام النبلاء (٤/ ٧-١٤ رقم ٢).
٣- تهذيب الكمال (٣٤/ ٢٩٠-٢٩٣ رقم ٧٦٢٧).
٤- تهذيب التهذيب (٤/ ٥٨٨).
٥- الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٢ رقم ٣٨٣٤).
٦- صفة الصفوة (٤/ ٤٢٦-٤٣٠ رقم ٧٤٥).
٧- شذرات الذهب (١/ ٢٨١-٢٨٢).

٢٦ ـ أبو العالية
الحافظ المفسر

هو رُفَيع بن مِهْران، الإمام المقرئ الحافظ المفسر أبو العالية الرِّياحي البصري أحد الأعلام. كان مولى لامرأة من بني رِياح بن يربوع ثم من بني تميم.

أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ودخل عليه وسمع من عمر وعلي وأبيٍّ وأبي ذر وابن مسعود وعائشة وأبي موسى وأبي أيوب وابن عباس وزيد بن ثابت وعِدَّة.

وحفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم وبعُد صيته. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء فيما قيل، وما ذاك ببعيد فإنه تميمي وكان معه ببلده وأدرك من حياة أبي العالية نيّفاً وعشرين سنة.

عن شعيب بن الحبحاب قال: قال أبو العالية : اشترتني امرأة فأرادت أن تعتقني فقال لها بنو عمها: تعتقينه فيذهب إلى الكوفة فينقطع، قال: فأتت بي مكانا في المسجد لو شئت أقمتك عليه، فقالت: أنت سائبة. قال: فأوصى أبو العالية بماله كله.

وعن أبي خلدة عن أبي العالية قال: ما تركت من ذهب أو فضة أو مال ثلثه في سبيل الله وثلثه في أهل النبي ﷺ وثلثه في فقراء المسلمين، وأعطوا حق امرأتي.

فقلت له: يسعك هذا فأين مواليك؟ قال: سأحدثك حديثي، إني كنت



مملوكاً لأعرابية مُذْكَرَة فاستقبلتني يوم الجمعة فقالت: أين ننطلق يا لُكَع؟ قلت: أنطلق إلى المسجد. فقالت: أي المساجد؟ قلت: المسجد الجامع. قالت: انطلق يا لكع. قال: فذهبت أتبعها حتى دخلت المسجد، فوافقنا الإمام على المنبر فقبضت على يدي فقالت: اللهم ادخره عندك ذخيرة، أشهدوا يا أهل المسجد إنه سائبة لله ليس لأحد عليه سبيل إلاّ سبيل معروف. قال: فتركتني وذهبت. قال: فما تراءينا بعد. قال أبو العالية: والسائبة يضع نفسه حيث يشاء.

وعنه قال: سمعت أبا العالية يقول: كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة مرة، فشق ذلك علينا فجعلنا نختم كل ليلتين مرة فشق ذلك علينا فجعلنا نختم كل ثلاث ليالٍ مرة، فشق علينا حتى شكا بعضنا إلى ببعض فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة. أو قال: كل سبع، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا.

وعنه قال: قال أبو العالية: كنت مملوكاً أخدم أهلي فتعلّمت القرآن ظاهراً والكتابة العربية.

وعنه قال: قال أبو العالية: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله ﷺ فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم.

قال إسحاق بن منصور عن يحيى بن معين وأبي زرعة وأبي حاتم: ثقة.

وقال أبو القاسم اللالكائي : ثقة مجمع على ثقته.

وقال أبو عبيد الآجريُّ عن أبي داود: ذهب علم أبي العالية، لم يكن له رواة.

وقال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من

أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وبعده السُّدِّيّ، وبعده سفيان الثوري.

وقال ابن عدي في «الكامل»: له أحاديث صالحة وأكبر ما نقم عليه حديث الضحك في الصلاة، وكل من رواه غيره فإنما مدارهم ورجوعهم إلى أبي العالية، والحديث له وبه يعرف ومن أجل هذا الحديث تكلموا في أبي العالية وسائر أحاديثه مستقيمة صالحة.

وعن أبي خلدة عن أبي العالية: كنت آتي ابن عباس فيرفعني على السرير وقريش أسفل من السرير فتغامز بي قريش، وقالوا: يرفع هذا العبد على السرير؟ ففطن بهم ابن عباس، فقال: إن هذا العلم يزيد الشريف شرفاً ويُجْلِسُ المملوك على الأسرة.

قال الذهبي في (السير): هذا كان سرير دار الإمرة لمّا كان ابن عباس متوليها لعليٍّ ـ رضي الله عنهما ـ.

قال العجلي: تابعي ثقة، من كبار التابعين.

قال ابن قتيبة: حج أبو العالية ستين حجة.

وقال الأصمعي: كان أبو العالية ومكحول جميلين ـ يعني مكحول الأزدي ـ وكان مزّاحاً.

وروى جرير عن مغيرة قال: كان أشبه أهل البصرة علماً بإبراهيم النخعي أبو العالية.

وقال أبو عمرو الداني: أخذ أبو العالية القراءة عرضاً عن أبي وزيد وابن عباس.

وعن حفصة بنت سيرين قالت: قال لي أبو العالية: قرأت القرآن على عمر ـ رضي الله عنه ـ ثلاث مرار.

وعنه قال: أول من أذّن بما وراء النهر أبو العالية الرياحي.

وقال عاصم الأحول: كان أبو العالية إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم.

وعن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأتفقد صلاته، فإن وجدته يحسنها أقمت عليه، وإن أجده يضيعها رحلت ولم أسمع منه، وقلت: هو لما سواها أضيع.

قال أبو خلدة: قال أبو العالية: لمّا كان زمان علي ومعاوية وإني لشاب، القتال أحب إليّ من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يُرى طرفاهما، إذا كبرّ هؤلاء كبرّ هؤلاء، وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء، فراجعت نفسي، فقلت: أيُّ الفريقين أنزّله كافراً؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم.

وعن عاصم، عن أبي العالية قال: أنتم أكثر صلاة وصياماً ممن كان قبلكم، ولكن الكذب قد جرى على ألسنتكم.

وعن خالد بن دينار عن أبي العالية قال: تعلمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي، ولا رئي في ثوبي مداد قط.

وعن عاصم الأحول يحدث عن أبي العالية قال: تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء، فإنها توقع العداوة

والبغضاء بينكم. فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل ـ يعني عثمان ـ بخمس عشرة سنة. قال فحدثت به الحسن، فقال: قد نصحك والله وصدقك.

وعن ثابت أن أبا العالية قال: إني لأرجو أن لا يهلك عبد بين نعمتين: نعمة يحمد الله عليها، وذنب يستغفر الله منه.

وعن قتادة عن أبي العالية قال: ما أدري أي النعمتين أفضل عليَّ: أن هداني للإسلام، أو لم يجعلني حروريًّا.

وعن محمد بن واسع عنه أنه قال: ما أدري أي النعمتين عليَّ أفضل: إذا أنقذني الله من الشر وهداني إلى الإسلام، أو نعمة إذ أنقذني من الحرورية.

وعن أبي خلدة قال: قال أبو العالية : كنا نرى من أعظم الذنب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام حتى ينساه، لا يقرأ منه شيئاً .

وعن شعيب بن الحبحاب قال: كان أبو العالية يجيئ فيقول : أطعمونا من طعام البيت، ولا تكلفوا أن تشتروا لنا شيئاً.

وعن أبي خلدة قال: أعتق أبو العالية جارية له ثم تزوجها قال: فسألتها: كيف كان أبو العالية يؤدي صدقة الفطر؟ قالت: كان يعطي عن نفسه قفيزاً وعنا مكوكين مكوكين.

والمكوك: مكيال يسع صاعاً ونصفاً، أو نصف رطل إلى ثمان أواقي أو نِصف الوَيْبَةِ. والقفيز: مكيال يسع ثمانية مكاكيك، وهو ما يعادل بالتقدير المصري الحديث نحو ستة عشر كيلو جراماً.

وعن أبي خلدة قال: سمعت أبا العالية يقول: زارني عبد الكريم



أبو أمية وعليه ثياب صوف فقلت له: هذا زي الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجمّلوا.

وعنه قال: كنت عند أبي العالية قاعداً إذ جاء غلام له بمنديل قندسكّر مختوم ففض الخاتم وأعطاه عشر سكرات، وقال : لو خانني لم يخني بأكثر من هذا. أمرنا أن نختم على الرسول والخادم، لكي لا نظن بهم ظنًّا سيئاً.

وعنه قال: كان أبو العالية إذا دخل عليه أصحابه يرحب بهم ثم يقرأ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ [الأنعام: ٧٤].

وعن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال: إن الله تعالى قضى على نفسه أن من آمن به هداه، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن : ١١]. ومن توكل عليه كفاه، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق : ٣]. ومن أقرضه جازاه، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةًۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ومن استجار من عذابه أجاره، وتصديق ذلك في كتاب الله ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]. والاعتصام الثقة بالله. ومن دعاه أجابه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة : ١٨٦].

وعن سيار أبي المنهال قال: رأيت أبا العالية يتوضأ فقلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢]. فقال : ليس المتطهرون

من الماء، ولكنِ المتطهرون من الذنوب.

وعن أبي خلدة قال: أوصى أبو العالية سبع عشرة مرة وهو صحيح، ووقَّت فيها أجلاً، وكان إذا جاء الأجل كان فما أوصى به إن شاء أمضاه وإن شاء رده.

وعن عاصم الأحول أن أبا العالية أوصى مورقاً العجلي أن يجعل في قبره جريدة أو جريدتان.

وعن أبي خلدة قال: رأيت أبا العالية يسجد على وسادة وهو جالس على فراش وهو مريض.

وعنه قال: إن أبا العالية مات يوم الاثنين في شوال سنة تسعين. ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم ذو الأحوال السامية، والأعمال الخافية، رُفيع أبو العالية، كانت وصاياه في لزوم الاتباع، وعهوده في مجانبة الأحداث والابتداع.

مصادر ترجمته :

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٤٧-٢٥٤ رقم ١٨٠).
٢- الطبقات الكبرى (٧/ ٧٩-٨٤ رقم ٢٩٩٠).
٣- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧-٢١٣ رقم ٨٥).
٤- تهذيب الكمال (٩/ ٢١٤-٢١٨ رقم ١٩٢٢).
٥- المنتظم (٦/ ٢٩٧ رقم ٥١٥).
٦- صفة الصفوة (٣/ ١٤٧-١٤٨ رقم ٤٨٥).
٧- تهذيب التهذيب (١/ ٦١٠-٦١١).
٨- شذرات الذهب (١/ ٣٦٧-٣٦٨).

٢٧ ـ الربيع بن خثيم
كبير الشأن ومن معادن الصدق

هو الربيع بن خثيم بن عائذ الإمام القدوة العابد أبو يزيد الثوري الكوفي أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وأرسل عنه.

وروى عن عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وعمرو بن ميمون، وهو قليل الرواية إلا أنه كبير الشأن. وكان يعد من عقلاء الرجال.

قال سفيان الثوري عن أبيه : قيل لأبي وائل: أيما أكبر أنت أو الربيع ابن خثيم؟ قال : أنا أكبر منه سنًّا وهو أكبر مني عقلاً.

وعن يحيى بن معين قال: لا يسأل عنه مثله.

وعن الشعبي قال: كان من معادن الصدق.

وعن أبي يعلى الثوري قال: كان في بني ثور ثلاثون رجلاً ما منهم رجل دون الربيع بن خثيم.

وقال ابن عيينة : سمعت مالكا يقول : قال الشعبي : ما رأيت قوماً قط أكثر علماً ولا أعظم حلماً ولا أكف عن الدنيا من أصحاب عبد الله، ولولا ما سبقهم به الصحابة، وما قدمنا عليهم أحدًا.

وعن الشعبي قال: أصفهم لك ـ يعني أصحاب عبد الله بن مسعود ـ كأنك شهدتهم، كان الربيع بن خثيم أشدهم ورعًا.

وعن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال: كان الربيع بن خثيم إذا دخل على ابن مسعود: لم يكن له إذن لأحد حتى يفرغ كل واحد من

صاحبه، فقال له ابن مسعود يا أبا يزيد! لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين.

قال الذهبي في (السير) : فهذه منقبة عظيمة للربيع.

روى منصور عن إبراهيم قال : قال فلان: ما أرى الربيع بن خثيم تكلم بكلام منذ عشرين سنة إلا بكلمة تصعد.

وعن بعضهم قال: صحبت الربيع عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تعاب.

وعن منذر أن الربيع كان إذا أخذ عطاءه فرّقه وترك قدر ما يكفيه.

وقال ابن حبان في (الثقات): أخباره في الزهد والعبادة أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكرها.

وقال العجلي: تابعي ثقة وكان خيارًا.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين : فأما الربيع بن خثيم فقيل له حين أصابه الفالج: لو تداويت. فقال : لقد علمت أن الدواء حق، ولكن ذكرت عادًا وثمودًا وأصحاب الرس وقرونًا بين ذلك كثيرًا كانت فيهم الأوجاع وكانت لهم الأطباء فلا المداوي بقي ولا المداوى. فقيل له: ألا تذكر الناس؟ قال: ما أنا عن نفسي براضٍ فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله ـ تعالى ـ في ذنوب الناس وأمنوا على ذنوبهم وقيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

وكان ابن مسعود إذا رآه قال: وبشر المخبتين، أما إن محمدًا ﷺ لو رآك لأحبك.

وكان الربيع يقول: أما بعد: فأعد زادك، وخذ في جهازك، وكن وصيَّ نفسك.

قال حماد الأصم عمن حدثه عن بعض أصحاب الربيع : ربما علَّمنا شعره عند المساء وكان ذا وفرة، ثم يصبح والعلامة كما هي، فنعلم أن الربيع لم يضع جنبه ليلته على فراشه.

وعن محمد عن رجل من أسلم من المبكرين إلى المسجد قال: كان الربيع بن خثيم إذا سجد كأنه ثوب مطروح، فتجيء العصافير فتقع عليه.

وقالت ابنة الربيع بن خثيم: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا تنام؟! قال: إن جهنم لا تدعني أنام. وقال لها مرة : إن أباك يخاف البيات.

وعن عيسى بن فروخ قال: كان الربيع بن خثيم إذا كان الليل ووجد غفلة الناس خرج إلى المقابر فيقول: يا أهل المقابر كنا وكنتم.. فإذا أصبح فكأنه نشر من قبر.

وقال أبو حيان التيمي عن أبيه: ما سمعت الربيع بن خثيم يذكر شيئاً من أمر الدنيا قط إلا أنه قال يومًا: كم للتيم مسجد؟

وعن سفيان عن رجل من بني تيم الله عن أبيه قال: جالست الربيع ابن خثيم سنتين فما سألني عن شيء مما فيه الناس إلا أنه قال لي مرة: أمك حية؟ كم لكم مسجد؟

وعن شقيق قال : أتينا الربيع بن خثيم في نفر من أصحاب عبد الله نعوده. أو قال: نزوره، فمررنا برجل فقال: أين تريدون؟ فقلنا: نريد الربيع. فقال : إنكم لتأتون رجلاً إن حدثكم لم يكذبكم وإن وعدكم لم يخلفكم وإن

ائتمنتموه لم يخنكم.

وقيل للربيع : لو كنت تقول البيت من الشعر، فقد كان أصحابك يقولون. قال: إنه ليس شيء يتكلم به أحد إلا وجده في إمامه، وإني أكره أن أجد في إمامي شعرًا.

وعن نسير بن ذعلوق عن الربيع أنه كان يتهجد في سواد الليل فمر بهذه الآية: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فلم يزل يرددها ليله حتى أصبح.

قال رجل للربيع : أوصني. قال: ائتني بصحيفة. قال: فكتب فيها: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ قال: إنما أتيتك لتوصيني. قال: عليك بهؤلاء.

وعن أم الأسود سُرِّيّة كانت للربيع قالت: كان الربيع يعجبه السكر يأكله. قالت: فإذا جاء السائل ناوله. فقلت: ما يصنع بالسكر؟ الخبز خير له فقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾.

وعن منذر قال: كان الربيع يكنس الحش بنفسه، فقيل له: إنك تُكْفَى هذا. فقال: إني أحب أن آخذ نصيبي من المهنة.

وقال بشر بن الحارث : قال الربيع بن خثيم: أنا بعصافير المسجد آنس مني بأهلي.

وعـن أبـي وائل قال: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ومعنا الربيع بن خثيم فمـررنا علـى حـدّاد فقـام عـبد الله ينظر حديدة في النار فنظر الربيع إليها فتمايل ليسـقط فمضـى عـبد الله حتى أتينا على أتون على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله والـنار تلـتهب في جـوفه قـرأ هـذه الآيـة: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إلى قـوله: ﴿ثُبُورًا﴾ فصـعق الـربيع فاحتملـناه فجئـنا به إلى أهله قـال: ثـم رابطه عبد الله إلى الظهر فلم يفق ثم رابطه إلى العصر فلم يفق ثم رابطه إلى المغرب فلم يفق، ثم إنه أفاق، فرجع عبد الله إلى أهله.

وقـال الأعمش : مر الربيع بن خثيم في الحدادين فنظر إلى كير فصعق. قال الأعمش فمررت بالحدادين لأتشبه به، فلم يكن عندي خير.

وقـال سلام بن أبي مطيع: كان الربيع بن خثيم إذا أصبح قال: مرحبًا بملائكـة الله، اكتـبوا: بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

وكان رحمه الله جوادًا كريمًا سخي النفس معطاءً.

قـال حفـص بـن عمـر: كان الربيع بن خثيم لا يعطي السائل أقل من رغـيف، ويقـول: إني لأستحي من ربي ـ عز وجل ـ أن يُرى غدًا في ميزاني نصف رغيف.

عـن عبد الملك بن سلع عن عبد خير قال: كنت رفيقاً للربيع بن خثيم في غـزاة فذكـرها قـال: فـرجع ومعـه رقـيق ودواب، قال: فمكثت أيامًا ثم أتيـته فلـم أحس من ذاك الرقيق ولا من تلك الدواب شيئاً. قال: فاستأذنت

فلـم يجبني أحـد ثـم دخلت. قال: فقلت: أين رقيقك ودوابك؟ فلم يجبني، فأعدت عليه فقال: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وعن سعيد الحارثي قال : ضرب الربيعَ بن خثيم الفالجُ فطال وجعه، فاشـتهى لحم دجاج فكف نفسه أربعين يومًا، ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجـاج مـنذ أربعـين يـومًا فكففـت نفسـي رجـاء أن تكف فأبت. قالت لـه امـرأته : سـبحان الله ! وأيُّ شـيء هـذا حتـى تكف نفسك عنه؟! قد أحله لـك. فأرسـلت امـرأته إلى السـوق، فاشـترت لــه دجاجـة بدرهم ودانقين، فذبحتها وشـوتها، واختبـزت لــه خبزًا لـه أصباغ، ثم جاءت بالخوان حتى وضعته بين يديه فلما ذهب ليأكل قام سائل على الباب فقال: تصدقوا عليّ بـارك الله فـيكم ، فكـف عن الأكل وقال لامرأته: خذي هذا فلفيه وادفعيه إلى السـائل. فقالـت امـرأته : سـبحان الله !! فقـال: افعلـي ما آمرك. قالت: فأنا أصـنع مـا هو خير لـه وأحب إليه من هذا قال: وما هو؟ قالت: نعطيه ثمن هذا، وتأكـل أنت شهوتك. قال: قد أحسنت ائتيني بثمنه. قال: فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ، فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جميعًا إلى السائل.

وعـن مـنذر الـثوري قـال: قـال الـربيع بـن خثـيم لأهله: اصنعوا لنا خبيصًـا. وقـال: وكـان لا يكـاد يشـهّى علـيهم شـيئًا. قـال: فصنعوه، قال: وأرسـل إلى جـار لــه مصـاب كان به خبل فجعل يلقمه ولعابه يسيل. فلما خـرج قـال أهلـه: تكلفـنا وصـنعنا ثم أطعمت هذا؟ ما يدري هذا ما أكل. فقال الربيع: ولكن الله يدري.

قال أحمد بن عبد الله بن مسروق عن الربيع بن خثيم: أنه سرق له فرس أعطى به عشرين ألفًا فقالوا له: ادع الله عليه. فقال: اللهم إن كان غنيًّا فاغفر له، وإن كان فقيرًا فأغْنِهِ.

وعن سفيان قال: بلغنا أن أم الربيع كانت تنادي، فتقول: يا بني ! يا ربيع ! ألا تنام؟ فيقول: يا أماه من جن عليه الليل وهو يخاف البيات حق له أن لا ينام قال: فلما بلغ ورأت ما يلقى من البكاء والسهر نادته فقالت: يا بني لعلك قتلت قتيلاً؟ فقال : نعم يا والدة، قتلت قتيلاً. فقالت: ومن هذا القتيل يا بني نتحمل على أهله فيعفوك، والله لو علموا ما تلقى من البكاء والسهر لقد رحموك فيقول: يا والدتي هي نفسي.

وكان رحمه الله يخفي أعماله ولا يحب أن يطلع عليها أحد.

قال نسير بن ذعلوق: ما تطوع الربيع بن خثيم في مسجد الحي إلا مرة.

قال سفيان : أخبرتني سُرّية الربيع بن خثيم قالت: كان عمل الربيع كله سرًّا، إن كان ليجيء الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه.

وعن أم الأسود قالت: كانت ابنة الربيع بن خثيم تأتيه، فتقول: يا أبتاه ائذن لي ألعبُ، فيقول: يا بنية قولي خيرًا. قال: فتلقنها أمها، قولي: أتحدَّث فيقول: إني لم أسمع الله رضي لأحد اللعب.

وعن بكر بن ماعز قال: جاءت ابنة الربيع بن خثيم إليه فقالت: يا أبه أذهب ألعبُ؟ فقال: اذهي فقولي خيراً. فلما أكثرت عليه قال له بعض القوم: اتركها تذهب تلعب. قال: لا أحب أن يكتب عليَّ اليوم أني أمرت باللعب.

وقال عزرة للربيع بن خثيم : أوصِ لي بمصحفك. فنظر الربيع إلى ابنه فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾.

وعن بلال بن المنذر قال : قال رجل للربيع : قتل ابن فاطمة ـ أي الحسين بن علي ـ رضي الله عنهم ـ فلما سمع ذلك الربيع استرجع قائلاً وهو حزين : إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم تلا هذه الآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ قال: ما تقول؟ قال الربيع: ما أقول؟! إلى الله إيابهم وعليه حسابهم.

قال الربيع لأصحابه يومًا: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا. قال: الداء: الذنوب. والدواء: الاستغفار. والشفاء: أن تتوب فلا تعود.

أقواله وحكمه ومواعظه:

- السرائر التي تختفي على الناس وهي لله بوادٍ، التمسوا دواءهن، التمسوا دواءهن. ثم يقول: وما دواؤهن؟ دواؤهن أن تتوب فلا تعود.
- كل ما لا يبتغى به وجه الله ـ تعالى ـ يضمحل.
- من استغفر الله ـ تعالى ـ كتب في راحته : أمن من العذاب.
- أقلوا الكلام إلا بتسع : تسبيح وتكبير وتهليل وسؤالك الخير وتعوذك من الشر وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وقراءة القرآن.
- أريدوا بهذا الخير الله تنالوه لا بغيره، وأكثروا ذكر هذا الموت الذي لم تذوقوا قبله مثله، فإن الغائب إذا طالت غيبته وجبت محبته وانتظره أهله، وأوشك أن يقدم عليهم.

- وكـان يقول: قولوا خيرًا، وافعلوا خيرًا، وداوموا على صالح ذلك، واستكثروا مـن الخـير، واسـتقلوا مـن الشـر، لا تقسو قلوبكم ولا يطـول علـيكم الأمـد ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

وعـن أبـي حيان قـال: حـدثني أبي قال: كان الربيع بعدما سقط شقه يهـادى بـين رجلـين إلى مسجد قومه، وكان أصحاب عبد الله يقولون: يا أبا يـزيد لقد رخص الله لك لو صليت في بيتك فيقول: إنه كما تقولون، ولكن سمعته ينادي: حي على الفلاح. فمن سمع منكم ينادى: حي على الفلاح. فليجبه ولو زحفًا ولو حبوًا.

وأوصـى ـ رحمـه الله ـ فقـال: هـذا مـا أقـر بـه الربيع بن خثيم على نفسه وأشـهد الله علـيه وكفـى بالله شهيدًا وجازياً لعباده الصالحين ومثيبًا بأني رضيت بـالله ربًّـا وبمحمد ﷺ نبيًّا وبالإسلام ديني، وأني رضيت لنفسي ومن أطاعني بأن أعبده في العابدين، وأحمده في الحامدين، وأن أنصح لجماعة المسلمين.

وأوصى أيضاً فقال: لا تُشْعرُوا بي أحدًا وسُلّوني إلى ربي سلاًّ.

هـذا هـو الـربيع بن خثيم القائل: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد عليَّ. والقائل وهو يبكي: لقد أدركنا أقوامًا كنا في جنبهم لصوصًا.

فرحم الله الربيع وأكرم نزله وبوّأه من الجنة منزلاً. مات سنة ٦٣هـ.

ورحـم الله أبـا نعـيم القائل فيه: ومنهم المخبت الورع، المتثبت القنع، الحـافظ لسـره، الضابط لجهره المعترف بذنبه، المفتقر إلى ربه، أبو يزيد الربيع

ابن خثيم أحد الثمانية من الزهاد.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٢/ ١٢٤ - ١٣٩ رقم ١٦٦).

٢- الطبقات الكبرى (٦/ ٢١٩ - ٢٢٨ رقم ٢١١٧).

٣- تهذيب الكمال (٩/ ٧٠ - ٧٦ رقم ١٨٥٩).

٤- سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٨ - ٢٦٢ رقم ٩٥).

٥- المنتظم (٦/ ٨ رقم ٤١٥).

٦- صفة الصفوة (٣/ ٤٠ - ٤٦ رقم ٤٠٣).

٧- تهذيب التهذيب (١/ ٥٩١).

٢٨ ـ الـــزهـــري
أعلم الناس وحافظ زمانه

هـو محمـد بـن مسـلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري القرشي المدنـي نـزيل الشـام أبـو بكـر الإمـام العلـم حـافظ زمانه أحد الفقهاء والمحدثين والأعلام التابعين بالمدينة رأى عشرة من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

قـال الليـث بـن سـعد : ما رأيت عالمًا قط أجمع من ابن شهاب، يحدث في الترغـيب فـنقول لا يحسـن إلا هـذا، وإن حـدّث عـن العرب والأنساب، قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدّث عن القرآن والسنة، كان حديثه بوعي جامع.

وعن سفيان قال: كان الزهري أعلم أهل المدينة.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: ما ساق الحديث أحد مثل الزهري.

وعـن عمرو بن دينار قال: ما رأيت أحدًا أنص للحديث من الزهري، وما رأيت أحدًا أهون عنده الدراهم منه، كانت عنده بمنزلة البعر.

وعـنه قـال: جالسـت ابن عباس وابن عمر وجابرًا وابن الزبير فلم أر أحدًا أنسق للحديث من الزهري.

وقال أحمد بن حنبل: الزهري أحسن الناس حديثاً، وأجود الناس إسنادًا.

وقال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس الزهري.

روى إبـراهيم بن سعد عن أبيه قال: ما رُؤي أحد جمع بعد رسول الله ﷺ ما جمع ابن شهاب.

وعن يحيى بن سعيد قال: ما بقي عند أحد من العلم ما بقي عند ابن شهاب.

وقال عمر بن عبد العزيز : عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم لا تلقون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه.

وقال مكحول وقتادة مثل ذلك.

وعن وهيب : سمعت أيوب يقول: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري. فقال له صخر بن جويرية: ولا الحسن البصري؟! فقال: ما رأيت أحدًا أعلم من الزهري.

عن الوليد بن مسلم: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: ما كان إلا بحرًا. وسمعت مكحولاً يقول: ابن شهاب أعلم الناس.

وقال ابن عيينة : سمعت أبا بكر الهذلي يقول وقد جالس الحسن وابن سيرين: لم أر مثل هذا قط. يعني : الزهري.

وقال ابن عيينة : كانوا يرون يوم مات الزهري، أنه ليس أحد أعلم بالسنة منه.

وعن شعيب بن أبي حمزة، قيل لمكحول : من أعلم من لقيت؟ قال: ابن شهاب. قيل: ثم من؟ قال: ابن شهاب. قيل: ثم من ؟ قال : ابن شهاب.

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول: بقي ابن شهاب وماله في الناس نظير.

وقال علي بن المديني: أفتى أربعة : الحكم وحماد وقتادة والزهري. والزهري عندي أفقههم.

وعن جعفر بن ربيعة قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ قال: أما أعلمهم بقضايا رسول الله ﷺ وقضايا أبي بكر وعمر وعثمان وأفقههم فقهاً، وأعلمهم بما مضى من أمر الناس، فسعيد بن المسيب. وأما أغزرهم حديثاً فعروة، ولا تشاء أن تفجر من عبيد الله بن عبد الله بحرًا إلا فجرته، وأعلمهم عندي جميعاً ابن شهاب فإنه جمع علمهم جميعًا إلى علمه.

وعن مالك قال: قدم ابن شهاب المدينة، فأخذ بيد ربيعة ودخلا إلى بيت الديوان، فما خرجا إلى العصر، فقال ابن شهاب: ما ظننت أن بالمدينة مثلك، وخرج ربيعة وهو يقول: ما ظننت أن أحدًا بلغ من العلم ما بلغ ابن شهاب.

وقال مالك: إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه. لقد أدركت في المسجد سبعين ممن يقول: قال فلان قال رسول الله. وإن أحدهم لو ائتمن على بيت المال لكان به أمينًا. فما أخذت منهم شيئاً، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن، ويقدم علينا الزهري وهو شاب فنزدحم على بابه.

قال الذهبي: كأن مالكاً انخدع بخضاب الزهري فظنه شابًّا.

وعن سفيان، قيل للزهري: لو أنك سكنت المدينة ورحت إلى مسجد رسول الله ﷺ وقبره، تَعلَّم الناسُ منك. قال: إنه ليس ينبغي أن أفعل حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة. ثم قال سفيان : ومن كان مثل الزهري.

وقال إسحاق المسيّبي المقرئ عن نافع بن أبي نعيم أنه عرض القرآن على الزهري.

وعن محمد بن المنكدر قال: رأيت بين عيني الزهري أثر السجود.

وقال الذهبي في (السير): وكان الزهري يوصف بالعبادة.

وقال محمد بن إشكاب: كان الزهري جنديًا. قلت (أي الذهبي): كان في رتبة أمير.

وقال أيضًا: كان رحمه الله محتشماً جليلاً بزي الأجناد، له صورة كبيرة في دولة بني أمية.

وقال ابن شهاب : قال لي سعيد بن المسيب: ما مات من ترك مثلك.

وقال الليث: وكان من أسخى من رأيت، كان يعطي فإذا فرغ ما معه يستلف من عبيده، ويقول: يا فلان أسلفني كما تعرف، وأُضعف لك كما تعلم، وكان يطعم الناس الثريد ويسقيهم العسل، وكان يَسْمُرُ على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ويقول: اسقونا وحدثونا وكان يكثر شرب العسل.

وقال مالك : كان ابن شهاب من أسخى الناس. فلما أصاب تلك الأموال، قال له مولى له وهو يعظه: قد رأيت ما مرَّ عليك من الضيق فانظر كيف تكون، أمسك عليك مالك. قال: إن الكريم لا تحنكه التجارب.

وروى الشافعي أن رجاء بن حيوة عاتب ابن شهاب في الإسراف وكان يدّان فقال: لا آمن أن يحبس هؤلاء القوم أيديهم عنك ـ يريد بني أمية ـ قال: فوعده أن يقصر، فمر به بعد ذلك، وقد وضع الطعام ونصب موائد العسل، فوقف به رجاء فقال: يا أبا بكر هذا الذي افترقنا عليه! فقال له ابن شهاب : انزل فإن السخي لا تؤدبه التجارب.

قال سعيد بن عبد العزيز: كنا نأتي الزهري ، فيقدم لنا كذا وكذا لونًا.

وقال الإمام مالك: إن الزهري كان يشق الزق الذي فيه العسل فيلعق الناس ما فيه، ولم يكن ابن المسيب ولا غيره يفعل مثل هذا.

وقال أيضاً: كان ابن شهاب يجمع الأعراب فيتذكر بهم حديثه، فإذا كان الشتاء شق لهم العسل وجاءهم بالزبد، وإذا كان الصيف شق لهم وجاءهم بالسمن.

ومن صور كرمه الفريد أنه نزل مرة بماء فشكا إليه أهل الماء، أن لنا ثماني عشرة امرأة عمرية ـ أي لهن أعمار ـ ليس لهن خادم، فاستسلف ابن شهاب ثمانية عشر ألفًا وأخدم كل واحدة خادمًا بألف.

قال زياد بن سعيد للزهري : إن حديثك ليعجبني، ولكن ليست معي نفقة فاتبعك. فقال له الزهري : اتبعني أُحدثك وأنفق عليك.

فكان رحمه الله آية في الكرم والجود والعطاء والإنفاق حتى أجمعوا عليه بأنه كان أكرم أهل زمانه، وأن المال كان أهون شيء عنده وهو بمنزلة البعر.

هذا الكرم الذي جعله يستدين حتى أرهقته الديون الأمر الذي جعله يقصد أبواب السلاطين ويدخل عليهم ويأخذ جوائزهم وهداياهم حتى ذمه معاصروه وأنكروا عليه هذا وعابوه فنجد أستاذه وشيخه الكبير سعيد ابن المسيب أخذ منه موقفًا وأنكر عليه أن ذهب للسلطان فقال له مستنكرًا متعجبًا: أنت الذي ذهبت بحديثي إلى بني مروان. تبكيتا له وعتبًا عليه. وهو القائل له: ما مات من ترك مثلك.

وأنكـر علـيه مكحـول فقد ذكر الزهري، فقال: كَلَّ كليلُهُ ـ وكانت به لكنةٌ قال: يريد قل قليله ـ أي رجل هو!! لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك.

قـال ابـن أبـي ذئـب: كـان ابـن شـهاب قـد ضاقت حاله ورهقه دين فخـرج إلى الشـام في زمـان عـبد الملك بن مروان فجالس قبيصة بن ذؤيب. قـال ابـن شـهاب: فبيـنا نحن مع قبيصة ذات يوم نسمر معه إذ جاءه رسول عـبد الملك، فقال: أجب أمير المؤمنين. قال: فذهب إليه، ثم رجع إلينا فقال: مـن مـنكم يحفـظ قضـاء عمر في أمهات الأولاد؟ قال: قلت: أنا. فقال لي: قـم. فقمـت معـه فـأدخلني علـى عبد الملك بن مروان فإذا هو جالس على نُمْـرُقَةٍ بـيده مِخْصَـرة علـيه غِلالـة ملـتحف بسـبنِّية بـين يديـه شمعة. قال: فسـلمت علـيه، فلما فرغت من سلامي قال: من أنت؟ فانتسبت إليه، قال: إن كـان أبـوك لـنعّارًا في الفـتن. قلـت: يـا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف. قـال: اجلـس. قـال: فجلست. قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: اقرأ من سـورة كـذا ومـن سـورة كـذا. قال: فقرأت قال: فقال لي: أتَفْرِض؟ قلت: نعم. قال: فما تقول في امرأة تركت زوجها وأبويها؟ قلت: لزوجها النصف ولأمهـا السدس ولأبيها ما بقي. قال: أصبت الفرض وأخطأت اللفظ: إنما لـزوجها النصـف، ولأمها ثلث ما بقي وهو السدس من رأس المال، ولأبيها مـا بقـي. قـال: فـإن الفريضـة علـى حالهـا، وهو رجل ترك زوجته وأبويه؟ فقلـت؟ للـزوجة الـربع ولأمـه الربع ولأبيه ما بقي. قال: فقال لي: أصبت الفـرض، وأخطأت اللفظ، ليس هكذا يفرض! لزوجته الربع ولأمه ثلث ما

بقـي وهـو الـربع مـن رأس المـال، ولـلأب ما بقي. ثم قال: هات حديثك. قلـت: حـدثني سـعيد بـن المسـيب: أن فتـى من الأنصار وكان لزم عمر بن الخطـاب، وكـان بـه معجبًا وأنه فقده فقال: مالي لا أرى فلانا؟ فأرسل إليه فجاءه فإذا هو بذأ الهيئة فقال: مالي أراك هكذا؟! فقال: يا أمير المؤمنين! إن إخوتـي خيّرونـي بـين أمـي وبـين ميراثـي مـن أبـي فـاخترت أمي ولم أكن أخـرجها علـى رؤوس الـناس فأخـذتها بجميع ميراثي من أبي، قال: فخرج عمـر مغضـبًا حتـى رقـى المنـبر فحمـد الله وأثنـى عليه فقال: أما بعد: أيها الـناس.. فـأي امـرئ وطـئ امرأة فولدت منه فله أن يستمتع منها ما عاش، فـإذا مـات فهـي حـرة. فقـال عـبد الملـك: هكذا حدثني سعيد بن المسيب. فقلـت: يا أمير المؤمنين اقضِ ديني. قال: قد قضى الله دينك. قلت: وتفرض لي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا والله ما نجمعها لأحد. قال: فخرجت فتجهزت حتـى قـدمت المديـنة فجـئت سـعيد بن المسيب في مجلسه في المسجد فدنوت لأسـلم علـيه فدفـع في صـدري وقـال: انصرف. وأبى أن يسلم عليَّ. قال: فخشـيت أن يـتكلم بشـيء يعنـيني بـه، فيرويـه مـن حضره فتنحيت ناحية، وقلـت: يخلو وأكلمه: فلما خلته الشيعة (أي الجماعة الجالسين حوله وليس الشـيعة هـنا هـم الطائفـة المعـروفة) قـام فصـلى أربـع ركعات، ثم انصرف وانصـرف معه ناس من أصحابه. قال: واتبعته ليخلو فلما خلا وبقي وحده مشـيت إلى جنـبه فقلـت: يـا أبـا محمد ما ذنبي؟ أنا ابن أخيك ومن مُودِّيك. قـال: فمازلـت أعـتذر إليه وأنتصل وما يكلمني بحرفٍ، وما يرد عليَّ كلمة،

حتى إذا بلغ منزله، واستفتح ففتح لـه فأدخل رجله ثم التفت إليَّ فقال: أنت الذي ذهبت بحديثي إلى بني مروان.

نعم الدخول على السلطان مزلة أقدام وخطوة في طريق التنازل والتهاون وإقرار المظالم ومدعاة لإمرار الباطل وإخفاء الحق وطمس المعالم.

ومن هنا أنكر سعيد على تلميذه الزهري، وكذا أنكر مكحول وغيرهما خوفًا عليه من الوقوع في الباطل أو السكوت وعدم إنكار المنكر في مجلس السلطان، ولكن من باب الإنصاف فإن الزهري وإن كان دخل على السلاطين وهذا ينكر عليه إلا إنه بحمد الله لم يقر في مجالسهم باطلاً ولم يسكت على منكر، وهذا يحمد لـه ويمدح به فروى ابن عساكر عن الأوزاعي قال: ما أدْهَنَ ابن شهاب قط لملك دخل عليه، ولا أدركت خلافة هشام أحدًا من التابعين أفقه منه.

ولما دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال لـه الوليد: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعية كتب لـه الحسنات ولم يكتب لـه السيئات. فأنكر الزهري هذا الكلام وقال: باطل يا أمير المؤمنين. أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ فقال الوليد: بل نبي خليفة. قال الزهري: فإن الله يقول لنبيه داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فماظنك



بخليفة غير نبي؟ قال الوليد: إن الناس ليُغوونا عن ديننا.

فهذا هو شأن المنافقين والعلماء الذين ليس لهم حظ في الآخرة، يبيعون آخرتهم بإرضاء السلاطين فيزينون لهم الباطل، ويخفون عنهم الحق، ويغوونهم عن دينهم، حتى يقال لهم: إن الله يكتب لكم الحسنات ولا يكتب عليكم السيئات. ولكن أهل الحق الذين لا يخافون لومة لائم، ويصدعون بكلمة الحق في كل حين لا يبيعون آخرتهم بدنيا غيرهم، ولا يسخطون ربهم من أجل إرضاء الناس أمثال الإمام الزهري ـ رحمه الله ـ.

ومن مواقفه في الصدع بالحق وعدم المداهنة وإرضاء السلطان على حساب دينه وأمانته وآخرته فقد دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم (أي ما أشيع حول عائشة ـ رضي الله عنها ـ) فقال له سليمان: عبد الله بن أبي ابن سلول. فقال له هشام: كذبت، هو علي بن أبي طالب. قال سليمان : أمير المؤمنين أعلم بما يقول.

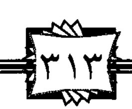
ولما دخل عليه ابن شهاب فقال له هشام: يا ابن شهاب من الذي تولّى كبره منهم؟ فقال الزهري: عبد الله بن أبي فقال له هشام: كذبت، هو علي بن أبي طالب. فقال الزهري: أنا أكذب لا أبا لك، فوالله لو نادى منادٍ من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله كلهم عن عائشة أن الذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي.

فلـم يـزل القوم يُغْرون به فقال لـه هشام: ارحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمـل عن مثلك. فقال لـه ابن شهاب: ولِم ذاك أنا اغتصبتك على نفسي أو أنت اغتصـبتني علـى نفسـي؟ فخـل عـني. فقال لـه: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف. فقـال الزهري: قد علمتَ وأبوك قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبـيك. فقـال هشـام: إنا نهيج الشيخ ثم أمر فقضى عنه من دينه ألف ألف فأخبر الزهري بذلك، فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده.

وقـال الذهبي في (السير) بعد أن ذكر قول مكحول في الزهري: قلت: بعـض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري لكونه كان مداخلاً للخلفاء، ولئن فعل ذلك فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري رحمه الله.

ومن حكمه ومواعظـه:

- الاعتصام بالسنة نجاة.
- إنما يذهب العلم النسيان وترك المذاكرة.
- وجدنا السخي لا تنفعه التجارب.
- إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب.
- لا يرضى الناس قول عالم لا يعمل ولا عمل عامل لا يعلم.
- ثـلاث إذا كُـنّ في القاضـي فلـيس بقـاضٍ : إذا كـره الملام، وأحب المحامد، وكره العزل.
- العمـائم تـيجان العـرب، والحـبوة حـيطان العرب، والاضطجاع في المسجد رباط المؤمنين.



• الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن وحَّد ولم يؤمن بالقدر كان ذلك ناقصًا توحيده.

وعن يونس قال الزهري: إياك وغلول الكتب. قلت: وما غلولها؟ قال : حبسها.

قال أبو جبلة : كنت مع ابن شهاب في سفر فصام يوم عاشوراء، فقيل له: لِمَ تصوم وأنت تفطر في رمضان في السفر؟! قال: إن رمضان له عدة من أيام أخر، وإن عاشوراء يفوت.

وعن الأوزاعي : سمعت الزهري لما حدث عن النبي ﷺ قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» قلت له: فما هو؟ قال: من الله القول وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم، أمرُّوا حديث رسول الله ﷺ كما جاء بلا كيف.

ومن قوله: إن هذا العلم إن أخذته بالمكاثرة غلبك ولم تظفر منه بشيء ولكن خذه مع الأيام والليالي أخذًا رفيقًا تظفر به.

مات الزهري ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٤ هـ وكان عمره آنذاك اثنتين وسبعين سنة.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: ومنهم العالم السوي والراوي الروي أبو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، كان ذا عزٍّ وسناء وفخر وسخاء.

مصادر ترجمته:

١- حلية الأولياء (٣/ ٤١٢ - ٤٣٥ رقم ٢٤٨).

٢- السير (٥/ ٣٢٦ - ٣٥٠ رقم ١٦٠).

٣- الطبقات (٥/ ٣٤٨ - ٣٥٦ رقم ١٠٦٥).

٤- تهذيب الكمال (٢٦/ ٤١٩ - ٤٤٣ رقم ٥٦٠٦).

٥- وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧ - ١٧٩ رقم ٥٦٣).

٦- المنتظم (٧/ ٢٣١ - ٢٣٥ رقم ٦٧١).

٧- صفة الصفوة (٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨ رقم ١٧٨).

٨- شذرات الذهب (٢/ ٩٩ - ١٠١).

٩- تهذيب التهذيب (٣/ ٦٩٦ - ٦٩٩).

١٠-الزهري لابن عساكر / تاريخ مدينة دمشق.

١١- الإمام الزهري لمحمد حسن شرَّاب.

٢٩ ـ شقيق بن سلمة
كان رأسًا في العلم والعمل

هو شقيق بن سلمة الإمام الكبير شيخ الكوفة، أبو وائل الأسدي، أسد خزيمة الكوفي مخضرم أدرك النبي ﷺ وما رآه.

قال الأعمش : قال لي إبراهيم النخعي: عليك بشقيق، فإني أدركت الناس وهم متوافرون، وإنهم ليعدونه من خيارهم.

وروى مغيرة عن إبراهيم، وذكر عنده أبو وائل، فقال: إني لأحسبه ممن يُدفع عنا به. وعنه قال: أما إنه خير مني.

وقال عاصم : كان عبد الله (أي ابن مسعود) إذا رأى أبا وائل قال : التائب.

وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين : أبو وائل ثقة ، لا يسأل عن مثله.

وقال ابن سعد في (الطبقات) : كان ثقة كثير الحديث.

وقال الذهبي في (السير) : قد كان هذا السيد رأسًا في العلم والعمل.

وقال وكيع : كان ثقة.

وعن مغيرة قال: كان إبراهيم التيمي يذكر في منزل أبي وائل، فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير.

وعن عاصم قال: كان أبو وائل إذا صلى في بيته ينشج نشيجًا، ولو جعلت له الدنيا على أن يفعل ذلك وأحد يراه لم يفعل.

وعن عاصم بن أبي النجود قال: كان عطاء أبي وائل ألفين. فإذا

خرج أمسك ما يكفي وتصدق بما سوى ذلك.

وعنه أن أبا وائل كان له خص من قصب، وكان يكون فيه هو وفرسه، فإذا غزا نقضه وتصدق به، وإذا رجع أنشأ بناءه.

وقال عمرو بن مرة: قلت لأبي عبيدة : من أعلم أهل الكوفة بحديث عبد الله؟ قال : أبو وائل.

وقال ابن حبان في (الثقات): سكن الكوفة، وكان من عُبّادها وليست له صحبة، ومولده سنة إحدى من الهجرة.

وقال العجلي : رجل صالح جاهلي من أصحاب عبد الله.

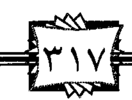
وقال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه ثقة.

وعن عاصم قال : ما رأيت أبا وائل ملتفتاً في صلاة ولا في غيرها، ولا سمعته يسب دابة قط، إلا أنه ذكر الحجاج يومًا فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع. ثم تداركها، فقال : إن كان ذاك أحب إليك. فقلت: وتستثني في الحجاج فقال: نعدها ذنبًا.

وعن الزبرقان قال: كنت عند أبي وائل فجعلت أسب الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه، وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي. فغفر له.

وعن ابن عون قال: ذهب بي رجل إلى أبي وائل فقال : يا أبا وائل أي شيء تشهد على الحجاج؟ قال: أتأمرني أن أحكم على الله ؟

وعن الأعمش عن أبي وائل، قال: دخلت على عبيد الله بن زياد بالبصرة مع مسروق، فإذا بين يديه تل من ورق ثلاثة آلاف: ألف من خراج



أصبهان، قال: فقال: يا أبا وائل ما ظنك برجل يموت ويدع مثل هذا؟ قال: فقلت : فكيف إذا كان من غلول؟ قال: فذاك شر على شر. قال: وقال لي : إذا أتيت الكوفة فائتني لعلي أصيبك بمعروف. قال: فلما رجعت قلت: لو أني شاورت علقمة في ذلك، فأتيته فقلت: إني دخلت على ابن زياد، فقال لي كذا، فكيف ترى؟ قال: لو أتيته قبل أن تستأمرني لم أقل لك شيئًا، فأما إذا استأمرتني فإني حقيق أن أنصحك، والله ما يسرني أن لي ألفين مع ألفين، فإني أكره الناس عليه. قال: قلت: لم يا أبا شبل؟ قال: إني أخاف أن ينقصوا مني أكثر مما انتقص منهم.

وعن المعلي بن عرفان قال: سمعت أبا وائل وجاءه رجل فقال: ابنك استعمل على السوق. فقال: والله لو جئتني بموته كان أحب إليّ إن كنت لأكره أن يدخل بيتي من عمل عملهم.

وعن شعبة قال: الحكم أخبرني قال: سمعت أبا وائل قال: كان بيني وبين زياد معرفة قال: فلما جمعت له الكوفة والبصرة قال لي: اصحبني كيما تصيب مني. قال: فأتيت علقمة فسألته، فقال: إنك لن تصيب منهم شيئاً إلا أصابوا منك أفضل منه. قال : أي من دينه. قال: ولي زياد أبا وائل بيت المال، ثم عزله عنه.

وعن عامر بن شقيق عن أبي وائل: استعملني ابن زياد على بيت المال فأتاني رجل بصكٍّ أن أَعْطِ صاحب المطبخ ثمان مئة درهم. فأتيت ابن زياد فكلمته في الإسراف، فقال: ضع المفاتيح واذهب.

وعن عاصم قال. كان أبو وائل يقول لجاريته: يا بركة إذا جاء يحيى - يعني ابنه بشيء فلا تقبليه، وإذا جاءك أصحابي بشيء فخذيه. قال: وكان يحيى ابنه قاضيا على الكناسة.

وعن عاصم عن أبي وائل قال: أرسل إليَّ الحجاج فأتيته فقال: ما اسمك؟ قلت ما أرسل إليّ الأمير إلا وقد عرف اسمي. قال: متى هبطت هذا البلد؟ قلت ليالي هبطه أهله. قال: كأيّنْ تقرأ من القرآن؟ قال: قلت: أقرأ منه ما إن اتبعته كفاني. قال: إنا نريد أن نستعملك على بعض عملنا. قال: قلت: على أي عمل الأمير ؟ قال : السلسلة. قال : قلت: إن السلسلة لا يصلحها إلا رجال يقومون عليها ويعملون عليها، فإن تستعن بي تستعن بشيخ أخرق ضعيف يخاف أعوان السوء، وإن يعفني الأمير فهو أحب إليَّ، وإن يقحمني الأمير أقتحم، وايم الله إني لأتعارَّ من الليل فأذكر الأمير فما يأتيني النوم حتى أصبح ولست للأمير على عمل، فكيف إذا كنت للأمير على عمل؟ وايم الله ما أعلم الناس هابوا أميرًا قط هيبتهم إياك أيها الأمير. قال: فأعجبه ما قلت. قال: أعد عليَّ. فأعدت عليه فقال: أما قولك: إن يُعفني الأمير فهو أحب إليَّ وإن يُقحمني أقتحم، فإنا إن لا نجد غيرك نقحمك، وإن نجد غيرك لا نقحمك، وأما قولك : إن الناس لم يهابوا أميرًا قط هيبتهم إيايَّ فإني والله ما أعلم اليوم رجلاً على ظهر الأرض هو أجرؤ على دم مني، ولقد ركبت أمورًا كان هابها الناس فأخرج لي بها. انطلق يرحمك الله. قال شقيق: فخرجت من عنده وعدلت من الطريق عمدًا كأني لا أنظر.



قـال الحجـاج : أرشدوا الشيخ أرشدوا الشيخ. حتى جاء إنسان فأخذ بيدي فأخرجني فلم أعُدْ إليه بعد.

وعـن الأعمـش قـال لـي أبـو وائـل: يـا سـليمان ما في أمرائنا هؤلاء واحدة من اثنتين: ما فيهم تقوى أهل الإسلام، ولا عقول أهل الجاهلية.

قـال الأعمـش : قـال لـي شـقيق بن سلمة: يا سليمان لو رأيتنا ونحن هـرَّاب مـن خالـد بـن الولـيد يـوم بُـزاخة فوقعت عن البعير فكادت تندق عنقـي. فلومت يومئذ كانت النار. قال: وكنت يومئذ ابن إحدى عشرة سنة. وفي نسخة: ابن إحدى وعشرين سنة وهو أشبه.

قـال الذهبي : كونه جاء بالكبش ثم هرب من خالد يؤذن بارتداده، ثم مـنَّ الله علـيه بالإسـلام، ألا تراه يقول: لو مُتُّ يومئذٍ، كانت النار، فكانت لله به عناية.

قال عاصم بن أبي النجود : ما سمعت أبا وائل سب إنسانًا قط ولا بهيمة.

وعـنه قـال: قلـت لأبـي وائـل: شـهدت صـفين؟ قال: نعم، وبئست الصـفوف كانـت. فقـيل لـه: أيهما أحب إليك، عليٌّ أو عثمان ؟ قال: عليٌّ ثم صار عثمان أحبَّ إليّ.

وعن محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي وائل أنه تعلم القرآن في شهرين.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله ودعائه:

- لا تقاعد أصحاب أرأيت أرأيت.
- أهل بيت يضعون على مائدتهم رغيفاً حلالاً لأهل بيت غرباء.



- لأن يكون لي ولد يقاتل في سبيل الله أحب لي من مائة ألف.
- درهم من تجارة أحب إليَّ من عشرة من عطائي.
- رب أغفر لي، رب اعف عني، إن تعف عني فطولاً من فضلك، وإن تعذبني تعذبني غير ظالم لي.
- اللهم إن كنت كتبتنا عندك أشقياء فامحنا واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب.

وعن عاصم قال: قلت لأبي وائل: إن قومًا يقولون: إن الله يدخل المؤمنين النار. فقال : لعمرك إن لها لحشوًا غير المؤمنين.

وعن سليمان الأعمش عن شقيق بن سلمة قال: مثل قُرَّاء أهل الزمان كمثل غنم ضوائن ذات صوف، فغبط شاة منها فإذا هي لا تنقي ثم غبط أخرى، فإذا هي كذلك، فقال: أف لك سائر اليوم.

وعن منصور عن أبي وائل في قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾. قال: القربة في الأعمال.

وعن الأعمش عن شقيق قال : مر على عبد الله بمصحف مزين بالذهب، فقال: إن أحسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق.

وعن الأعمش قال: قال أبو وائل: يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا.

روى عن كبار الصحابة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم الكثير.

مات في زمن الحجاج بعد الجماجم. سنة ٨٢ هـ.



وعن عاصم ابن بهدلة قال: لما مات أبو وائل قبَّل أبو بُرْدة جبهته.

فرحمه الله رحمة واسعة ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: فمنهم الواله الذابل المجتهد الناحل، شقيق بن سلمة أبو وائل.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٤/ ١٠٦ - ١٢٠ رقم ٢٥٣).

٢- الطبقات الكبرى (٦/ ١٥٤ - ١٥٩ رقم ١٩٨٤).

٣- السير (٤/ ١٦١ - ١٦٦ رقم ٥٩).

٤- تهذيب الكمال (١٢/ ٥٤٨ - ٥٥٤ رقم ٢٧٦٧).

٥- تهذيب التهذيب (٢/ ١٧٨ - ١٧٩).

٦- صفة الصفوة (٣/ ١٩ - ٢٠ رقم ٣٨٢).

٧- وفيات الأعيان (٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧ رقم ٢٩٦).

٣٠ ـ زر بن حبيش
الإمام القدوة مقرئ الكوفة

هـو زر بن حبيش بن حباشة بن أوس الإمام القدوة مقرئ الكوفة مع السُّلميّ أبـو مـريم الأسـديّ الكـوفيّ، ويكنـى أيضـا أبـا مطرف أدرك أيام الجاهلية.

حـدث عـن عمر بن الخطاب وأبي بن كعب وعثمان وعلي وعبد الله وعمـار وغيرهـم، وتصـدر للإقـراء، فقـرأ عليه يحيى بن وثّاب، وعاصم بن بهدلة وأبو إسحاق وغيرهم.

قال عاصم: كان زر من أعرب الناس، كان ابن مسعود يسأله عن العربية.

وكـان ـ رحمـه الله ـ حريصـاً أشـد الحـرص علـى أن يلتقي بأصحاب رسـول الله ﷺ لـيأخذ عـنهم علمه وهديه وسنته. وهو وإن كان حرم رؤية رسـول الله ﷺ فلا يحرم أن يرى من رأوه ويسمع ممن سمعوا منه فلا يكون بينه وبين رسول الله ﷺ إلا نفس واحدة.

فـيروي لـنا عاصـم بـن أبي النجود ابن بهدلة المقرئ المعروف عن زر قـال: خرجت في وفدٍ من أهل الكوفة، وايم الله إنْ حرّضني على الوفادة إلا لقـاء أصحاب رسول الله ﷺ المهاجرين والأنصار، فلما قدمت المدينة أتيت أبـي بـن كعـب وعـبد الرحمن بن عوف، وكانا جليسيَّ وصاحبيَّ. فقال أبي: يـا زر مـا تـريد أن تـدع آيـة من القرآن إلا سألتني عنها . قال: فقلت في أي

شيء أتيته؟ فقلت : يا أبا المنذر ـ رحمك الله ـ أخفض لي جناحك، فإنما أتمتع منك تمتعاً.

وقال ابن عبد البر في "الاستيعاب": كان عالماً بالقرآن قارئاً فاضلاً.

وقال ابن سعد في "الطبقات" : كان ثقة كثير الحديث.

وقال العجلي: كان من أصحاب علي وعبد الله، ثقة.

وقال أبو جعفر البغدادي: قلت لأحمد : فزرّ وعلقمة والأسود؟ قال: هؤلاء أصحاب ابن مسعود، وهم الثبت فيه.

وعن عاصم قال: ما رأيت أحداً أقرأ من زر. وفي رواية له: ما رأيت رجلاً مثله.

وقال يحيى بن معين: ثقة.

وعن عاصم قال: أدركت أقواماً كانوا يتخذون هذا الليل جملاً، منهم زر بن حبيش وأبو وائل (شقيق بن سلمة).

فمع قيام الليل والتهجد ومكابدة النفس ومغالبتها بالتقرب إلى الله بإحياء الليل صلاة وذكراً ودعاءً واستغفاراً حتى شبه الليل بالجمل الذي يحملهم إلى الله والدار الآخرة، ومع ذلك لم يمنعهم هذا العمل وهذه الطاعة والعبادة من لبس المعصفر وشرب نبيذ الجرّ، وكانوا لا يرون به بأساً.

وعنه أيضاً قال: كان أبو وائل (شقيق بن سلمة) عثمانيًّا وكان زر بن حبيش علويًّا، وما رأيت واحداً منهما قط تكلم في صاحبه حتى ماتا. وكان زر أكبر من أبي وائل، فكان إذا جلسا جميعاً لم يحدث أبو وائل مع زر ـ يعني



يتأدب معه لِسنِّه.

وفي رواية لـه: وكـان مصـلاهما في مسـجد واحـد، ما رأيت واحداً منهما قط تكلم صاحبُه في شيء مما هو عليه حتى ماتا، وكان أبو وائل معظماً لزر.

وعن الأعمش قال: أدركت أشياخنا زِرًّا وأبا وائل، فمنهم من عثمان أحب إليه من عليٍّ، ومنهم من عليٌّ أحب إليه من عثمان، وكانوا أشد شيء تحابًّا وأشد شيء توادًّا.

قلت: فهذا هو والله العدل والإنصاف فها هما ـ رحمهما الله ـ قد اختلفا في تقديم محبة عثمان وعلي ـ رضي الله عنهما ـ ومع ذلك لم نجد أحدهما يطعن في الآخر أو يغرض به في حديثه أو ينتقص من قدر صاحبه، ولم يؤثر عنهما إلا المحبة والمودة التي جمعت بينهما حتى ماتا، كل منهما يقدر أمر صاحبه ويحترم اختياره ويتأدب الصغير مع الكبير مراعاة لسنه فيعظمه ويبجله.

أما في العصور المتأخرة وخاصة في أيامنا هذه فقد لعب الشيطان بعقول كثير من المشايخ فضلاً عن الشباب وطلبة العلم وأنصاف المتعلمين فترى الواحد منهم إذا اختلف في مسألة فقهية ما أوفي حكم من الأحكام تراه يقيم الدنيا ولا يقعدها، ويصول ويجول ويرغي ويزيد من أجل الرد على صاحبه وإفحامه ومنازلته ومصارعته وكشف عوراته وقلة علمه وخلو جعبته من علم كذا وكذا وفضيحته على رؤوس الأشهاد ثم الطعن فيه وفي ديانته وعقيدته، وبالتالي يقوم هذا الخصم فيكشر عن أنيابه وينقب في

سجل خصمه ـ دفاعاً عن نفسه وانتقاماً لها ـ فإذا ما عثر على خطأ أو زلة أو وجده قد أخذ برخصة إلا وطار بهذا كله المشرق والمغرب ينشر خطأه ويذيع زلته فإذا ما كان لهذين الخصمين طلاب تراهم انقسموا فريقين وثارت بينهم ثارات وتكفل كل فريق منهما بنشر مساوئ الفريق الآخر وشيخه، وأصبح الولاء لهذا الفريق والبراءة من الفريق الآخر ميدان التقوى والعمل الصالح، كل منهم يسعى إلى تحقيقه في واقع حياته، وينسى كل منهم العداوات كلها إلا عداوة ذاك الفريق، حتى صار جسد الأمة الواحد ممزقاً وأشلاؤه متناثرة ودماؤه متدفقة وآهاته متوالية، كل فرد يحمل سلاحه يطعن في نفسه وهو يظن أنه يدافع عن نفسه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

فهل لنا في زر بن حبيش وشقيق بن سلمة قدوة نقتدي بها ومنارة نهتدي بها، عسى أن يكون بفضل الله قريباً.

وعن الشعبي وسويد الكلبي قالا: إن زر بن حبيش كتب إلى عبد الملك ابن مروان كتاباً يعظه، وكان في آخر كتابه:

ولا يُطمعنك يا أمير المؤمنين في طول الحياة ما يظهر من صحتك، فأنت أعلم بنفسك، واذكر ما تكلم به الأولون:

إذا الرجال ولدت أولادها ... وبليت من كبر أجسادُها
وجعلت أسقامها تعتادها ... تلك زروع قد دنا حصادها

فلما قرأ عبد الملك الكتاب بكى حتى بل طرف ثوبه. ثم قال: صدق زر، ولو كتب إلينا بغير هذا كان أرفق.



فلـم يخف السلطان أن أرسل إليه يذكره ويعظه ويبين لـه حقيقة أمره ومآله فلـم يـدار ولم يمـالأ ولم يـنافق، بـل صدع بكلمة الحق وقام بالدور الواجب عليه النصيحة لأئمة المسلمين كما نصح لعامة المسلمين فرحمه الله رحمة واسعة.

ولم يدخـر وقـتا أو جهـداً في تحصـيله للعلـم فقـد قـال عاصم ـ وهو تلمـيذه ـ أن زر بـن حبيش قـال: حـاك في صـدري المسـح علـى الخفين، فغدوت على صفوان بن عسال المرادي في أهله، فقال : ما غداك إليّ يا زر! طلـب العلـم؟ قلـت: نعـم. قـال: أمـا إنـه لـيس من رجل يطلب العلم إلا وضعت لـه الملائكة أجنحتها رضاء بما يفعل.

فكـان ـ رحمـه الله ـ لا يتوانـى عـن فعـل الخـيرات ويـنافس في عمـل الصـالحات فمـع عبادته بالليل وقيامه لا يتأخر عن الأذان فعن عاصم قال: مـر رجـل مـن الأنصـار على زر بن حبيش وهو يؤذن فقال: يا أبا مريم قد كـنت أكـرمك عـن ذا، أو قـال: عن الأذان. فغضب زر لقوله غضباً شديداً وهجره فلم يكلمه فقال لـه: إذا لا أكلمك كلمة حتى تلحق بالله.

فهذه صورة من صور تعظيم أمر الله ـ عز وجل ـ في قلوب أهل الخير القلـوب العامـرة بـتقوى الله ـ عـز وجـل ـ وتعظـيم شـعائره فالمؤذنون هم أطـول الـناس أعـناقاً يـوم القيامة وعملهم هذا من أفضل الأعمال وأحسن القربات فلما قال هذا الرجل هذه الكلمة دلت على عدم تعظيمه لأمر الله. الأمـر الـذي جعـل زر ـ رحمـه الله ـ يقـف منه هذا الموقف الرائع. وإن كان الرجل لا يقصد من هذه الكلمة إلا تعظيم زر واحترامه وتبجيله.



وعمَّر زر بن حبيش حتى عاش أكثر من مائة وعشرين عاماً فعن إسماعيل قال: رأيت زرًّا وقد أتى عليه عشرون ومائة سنة وأن لحييه ليضطربان من الكبر.

وقال هشيم : زر بن حبيش بلغ سنه مائة واثنتين وعشرين سنة.

وقال أبو نعيم: مات وهو ابن سبع وعشرين ومائة.

ورحمه الله تعالى حين قال فيه: ومنهم الوافد الغادي، الذاكر في النادي، وفد ليتعلم، وغزا ليغنم، زر بن حبيش بن أبي مريم، تحمل الكلال، طلبا للكمال، فحفظ في الملال وثبت في الوصال.

مات سنة ٨٢ هـ.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٤/ ٢٠١-٢١٢ رقم ٢٦٨).

٢- السير (٤/ ١٦٦-١٧٠ رقم ٦٠).

٣- تهذيب الكمال (٩/ ٣٣٥-٣٣٩ رقم ١٩٧٦).

٤- صفة الصفوة (٣/ ٢١-٢٢ رقم ٣٨٥).

٥- الطبقات الكبرى (٦/ ١٦١-١٦٢ رقم ١٩٨٩).

٦- تهذيب التهذيب (١/ ٦٢٧-٦٢٨).

٧- شذرات الذهب (١/ ٣٣٥).



٣١ ـ الأوزاعـــي
كبير الشأن وعالم الأمة

هـو عـبد الـرحمن بـن عمرو بن يحمد، شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبـو عمرو الأوزاعي، كان يسكن بمحلة الأوزاع وهي العقيبة الصغيرة ظاهر بـاب الفـراديس (يقال لـه الآن: باب العمارة) بدمشق، ثم تحول إلى بيروت فسكنها مرابطاً بها إلى أن مات.

وقـال محمـد بـن سعد في (الطبقات) : الأوزاع بطن من همدان، وهو مـن أنفسـهم، ولد سنة ثمان وثمانين، وكان ثقة مأموناً صدوقاً فاضلاً خيّرا كثير الحديث والعلم والفقه حجة.

وقـال إسماعـيل بن عياش: سمعت الناس سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة.

وقال الخربي: كان الأوزاعي أفضل أهل زمانه.

وقال الشافعي : ما رأيت رجلاً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعي.

وقـال عـبد الـرحمن بـن مهدي : إنما الناس في زمانهم أربعة : حماد بن زيد بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام.

وعـن نعـيم بن حماد عن ابن المبارك قال: لو قيل لي : اختر لهذه الأمة لاخـترت سـفيان الثوري والأوزاعي. ولو قيل لي : اختر أحدهما لاخترت الأوزاعي، لأنه أرفق الرجلين. وكذا قال في هذا المعنى أبو أسامة.

وقـال أحمـد بـن حنـبل: دخـل سفيان الثوري والأوزاعي على مالك،



فلما خرجا قال: أحدهما أكثر علماً من صاحبه ولا يصلح للإمامة، والآخر يصلح للإمامة ـ يعني الأوزاعي للإمامة ـ.

وقال علي بن بكار : سمعت أبا إسحاق الفزاري يقول: ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري فأما الأوزاعي فكان رجل عامة، وأما الثوري فكان رجل خاصة نفسه، ولو خُيِّرتُ لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي ـ يريد الخلافة ـ لأنه كان أكثر توسعاً، وكان والله إماماً إذ لا نصيب اليوم إماماً، ولو أن الأمة أصابتها شدة، والأوزاعي فيهم لرأيت لهم أن يفزعوا إليه.

وقال مالك : الأوزاعي إمام يقتدى به.

قال إسماعيل بن عياش : سمعت الناس في سنة أربعين ومئة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة.

وعن أبي مسهر عن سعيد قال: الأوزاعي هو عالم أهل الشام.

وعن محمد بن شعيب قال: قلت لأمية بن يزيد. أين الأوزاعي من مكحول؟ قال: هو عندنا أرفع من مكحول.

قلت (أي الذهبي): بلا ريب هو أوسع دائرة في العلم من مكحول.

عن أبي مسهر عن الهقل قال: أجاب الأوزاعي في سبعين ألف مسألة، أو نحوها.

قال العباس بن الوليد: فما رأيت أبي يتعجب من شيء في الدنيا تعجبه من الأوزاعي، فكان يقول : سبحانك تفعل ما تشاء! كان الأوزاعي يتيماً فقيراً في حجر أمه، تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه أن



بلّغته حيث رأيته. يا بني عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدب الأوزاعي في نفسه، ما سمعت منه كلمة قط فاضلة إلا احتاج مستمعها إلى إثباتها عنه، ولا رأيته ضاحكاً قط حتى يقهقه، ولقد كان إذا أخذ في ذكر المعاد، أقول في نفسي : أترى في المجلس قلبُ لم يبك؟!.

وقال أمية بن يزيد : كان قد جمع العبادة والعلم والقول بالحق.

وقال العباس بن الوليد البيروتي : حدثني رجل من ولد الأحنف بن قيس، قال: بلغ الثوري ـ وهو بمكة ـ مقدم الأوزاعي، فخرج حتى لقيه بذي طوى، فلما لقيه حلَّ رسن البعير من القطار، فوضعه على رقبته فجعل يتخلل به، فإذا مر بجماعة قال: الطريق للشيخ.

وعن الوليد بن مسلم قال: ما كنت أحرص على السماع من الأوزاعي حتى رأيت رسول الله ﷺ في المنام والأوزاعي جنبه، فقلت : يا رسول الله ! عمن أحمل العلم؟ قال: عن هذا. وأشار إلى الأوزاعي.

قلت (أي الذهبي): كان الأوزاعي كبير الشأن.

قال النووي في (شرح المهذب) : وأما الأوزاعي فهو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو من كبار تابعي التابعين وأئمتهم البارعين، كان إمام أهل الشام في زمنه.

وقال ابن العماد في (الشذرات): وكان رأساً في العلم والعمل جم المناقب.

وعن الوليد أيضاً قال: ما رأيت أكثر اجتهاداً في العبادة من الأوزاعي.

وقال ضمرة بن ربيعة : حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومئة فما

رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم استند إلى القتب.

وعن بشر بن المنذر قال: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع.

وقال محمد بن شعيب : جلست إلى شيخ في الجامع، فقال: أنا ميت يوم كذا وكذا. فلما كان ذلك اليوم أتيته، فإذا به يتفلّى في الصحن، فقال: ما أخذتم السرير؟ ـ يعني النعش ـ خذوه قبل أن تسبقوا إليه. قلت : ما تقول ـ رحمك الله ـ؟ قال: هو الذي أقول لك رأيت في المنام كأن طائراً وقع على ركن من أركان هذه القبة فسمعته يقول: فلان قدري، وفلان كذا، وعثمان بن أبي العاتكة نعم الرجل، وعبد الرحمن الأوزاعي خير من يمشي على الأرض، وأنت ميت يوم كذا وكذا. قال: فما جاءت الظهر حتى مات وأخرج بجنازته.

وقال أبو مسهر : ما رُئِي الأوزاعي باكيا قط ولا ضاحكاً حتى تبدو نواجذه، وإنما كان يتبسم أحياناً كما روي في الحديث. وكان يحيي الليل صلاة وقرآناً وبكاءً.

وعن الوليد بن مسلم: سمعت صدقة بن عبد الله يقول: ما رأيت أحداً أحلم ولا أكمل ولا أحمل فيما حمل من الأوزاعي.

ذكر بعض الحفاظ أن حديث الأوزاعي نحو الألف ـ يعني المسند ـ أما المرسل والموقوف فألوف. وهو في الشاميين نظير مهر لليمانيين، ونظير الثوري للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين، ونظير الليث للمصريين، ونظير



حماد بن سلمة للبصريين.

قال محمد بن عبد الوهاب : كنا عند أبي إسحاق الفزاري فذكر الأوزاعي، فقال: ذاك رجل كان شأنه عجبًا، كان يسأل عن الشيء عندنا فيه الأثر، فيردُّ ـ والله ـ الجواب كما هو في الأثر، لا يقدم منه ولا يؤخر.

وعن ابن مهدي قال: الأئمة في الحديث أربعة : الأوزاعي ومالك والثوري وحماد بن زيد.

وقال أيضاً : ما كان بالشام أعلم بالسنة منه.

وقال أبو زرعة: وإليه فتوى الفقه لأهل الشام لفضله فيهم وكثرة روايته، وبلغ سبعين سنة، وكان فصيحاً ورسائله تؤثر.

وقال ابن حبان في (الثقات): كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم.

وقال يعقوب بن شيبة : والأوزاعي ثقة ثبت.

وقال النسائي في (الكنى): أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام وفقيههم.

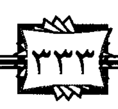
وقال بقية بن الوليد : إنا لنمتحن الناس بالأوزاعي فمن ذكره بخير عرفنا أنه صاحب سنة.

وقال الوليد بن مزيد: ما رأيت أحداً كان أسرَع رجوعاً إلى الحق منه.

وقال محمد بن عجلان: لا أعلم كان أنصح للأمة منه.

وقال العجلي :شامي ثقة من خيار المسلمين.

وقال عقبة : أرادوا الأوزاعي على القضاء فامتنع، فقيل : لِمَ لَمْ يكرهوه؟ فقال: هيهات، هو كان أعظم في أنفسهم قدراً من ذلك.



وقد كان الأوزاعي في الشام معظماً مكرماً، أمره أعز عندهم من أمر السلطان، وقد همَّ به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه : دعه عنك، والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك.

فعن ابن أبي العشرين: سمعت أميراً كان بالساحل يقول ـ وقد دفنا الأوزاعي ونحن عند القبر ـ : رحمك الله أبا عمرو، فلقد كنت أخافك أكثر ممن ولاَّني.

هكذا تفعل طاعة الله وتقواه في النفوس، فعندما تتجرد نفس الداعية والعالم إلى مولاه ولا يخشى أحداً سواه يعظم قدره في نفوس الناس ويخافه الأمراء ويجلوه، وهكذا كان الأوزاعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

قال أبو زرعة: وأصله من سبي السند، فنزل الأوزاع فغلب عليه النسب إليها، وقال غيره: ولد ببعلبك. ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه، وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد وتأدب بنفسه فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ولا أورع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتا، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها، وكان يعاني الرسائل والكتابة وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها، ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عبارتها وقد قال المنصور يوماً لأحظى كتابه عنده ـ وهو سليمان بن مجالد ـ: ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائماً لنستعين بكلامه فيما نكاتب به إلى الأفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي،

فقال: والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه.

وقال ابن عساكر : وكان الأوزاعي ـ رحمه الله ـ كثير العبادة حسن الصلاة ورعاً ناسكاً طويل الصمت. دخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصير الذي يصلي عليه مبلولاً فقالت لها: لعل الصبي بال ههنا؟ فقالت : هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده، هكذا يصبح كل يوم.

وكان الأوزاعي ـ رحمه الله ـ من أكرم الناس وأسخاهم، وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار فلم يمسك منها شيئاً، ولا اقتنى شيئاً من عقار ولا غيره، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، بل كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لا يخاف في الله لومة لائم ولا سطوة جائر ولا بطشة غاشم، يقول الحق ولا يبالى ما يحدث له في جنب الله، ويصدع في وجه الباطل وإن كلفه حياته وإزهاق روحه.

فلما خرج إبراهيم ومحمد على أبي جعفر المنصور أراد أهل الثغور أن يعينوه عليهما فأبوا ذلك فوقع في يد ملك الروم الألوف من المسلمين أسرى، وكان ملك الروم يحب أن يفادي بهم ويأبى أبو جعفر ـ فكتب الأوزاعي إلى أبي جعفر كتاباً: أما بعد: فإن الله ـ تعالى ـ استرعاك أمر هذه الأمة لتكون فيها بالقسط قائماً، وبنبيه ﷺ في خفض الجناح والرأفة متشبهاً،

وأسأل الله ـ تعالى ـ أن يسكن على أمير المؤمنين دهماء هذه الأمة ويرزقه رحمتها فإن سايحة المشركين غلبت عام أول وموطؤهم حريم المسلمين واستنزالهم العواتق والذراري من المعاقل والحصون، وكان ذلك بذنوب العباد وما عفا الله عنه أكثر فبذنوب العباد استنزلت العواتق والذراري من المعاقل والحصون، لا يلقون لهم ناصراً ولا عنهم مدافعاً، كاشفات من رءوسهن وأقدامهن، فكان ذلك بمرأى ومسمع وحيث ينظر الله إلى خلقه، وإعراضهم عنه فليتق الله أمير المؤمنين وليتبع بالمفادات بهم من الله سبيلاً، وليخرج من محجة الله ـ تعالى ـ فإن الله ـ تعالى ـ قال لنبيه : ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾، والله يا أمير المؤمنين ما لهم يومئذ فيء موقوف، ولا ذمة تؤدي خراجاً إلا خاصة أموالهم، وقد بلغني عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إني لأسمع بكاء الصبي خلفي في الصلاة، فأتجوز فيها مخافة أن تفتتن أمه**» فكيف بتخليتهم يا أمير المؤمنين في أيدى عدوهم يمتهنونهم ويتكشفون منهم ما لا نستحله نحن إلا بنكاح؟ وأنت راعي الله، والله ـ تعالى ـ فوقك ومستوف منك يوم توضع ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ فلما وصل إليه كتابه أمر بالفداء.

اجتمع الثوري والأوزاعي وعباد بن كثير بمكة، فقال الثوري للأوزاعي: حدثنا يا أبا عمرو حديثك مع عبد الله بن علي. قال : نعم، لما قدم الشام، وقتل بني أمية، جلس يوماً على سريره، وعبَّأ أصحابه أربعة

أصناف : صنف معهم السيوف المسلولة وصنف معهم الجَزَرَة، - أظنها الأطبار - وصنف معهم الأعمدة، وصنف معهم الكافركوب (أي المقارع) ثم بعث إليّ، فلما صرت بالباب أنزلوني وأخذ اثنان بعضديَّ، وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني مقاماً يسمع كلامي، فسلمت. فقال: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير. قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ - فسأل مسألة رجل يريد أن يقتل رجلاً - فقلت: قد كان بينك وبينهم عهود. فقال : ويحك! اجعلني وإياهم لا عهد بيننا. فأجشهت نفسي (أي خافت وفزعت) وكرهت القتل، فذكرت مقامي بين يدي الله - عز وجل -،فلفظتها فقلت: دماؤهم عليك حرام، فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه فقال لي: ويحك، ولِمَ؟ قلت : قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان، ونفس بنفس، وتارك لدينه**» قال: ويحك أو ليس الأمر لنا ديانة؟! قلت. وكيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله ﷺ أوصى إلى عليٍّ؟ قلت : لو أوصى إليه ما حكّم الحكمين. فسكت، وقد اجتمع غضباً، فجعلت أتوقع رأسي تقع بين يدي، فقال بيده هكذا - أومأ أن أخرجوه - فخرجت فركبت دابتي، فلما سرت غير بعيد، إذا فارس يتلوني فنزلت إلى الأرض، فقلت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلي ركعتين، فكبّرت، فجاء - وأنا قائم أصلي - فسلم وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الدنانير فخذها. فأخذتها ففرقتها قبل أن أدخل منزلي.

قال الذهبي في (السير) : قد كان عبد الله بن علي ملكاً جباراً سفاكاً للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كخَلْقٍ من علماء السوء الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقًّا ـ قاتلهم الله ـ أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق.

خرج الأوزاعي في بعث اليمامة، فأتى مسجدها فصلى، وكان يحيى ابن أبي كثير قريباً منه فجعل ينظر إلى صلاته، فأعجبته، ثم إنه جلس إليه وسأله عن بلده، وغير ذلك فترك الأوزاعي الديوان وأقام عنده مدة يكتب عنه فقال له : ينبغي لك أن تبادر البصرة لعلك تدرك الحسن وابن سيرين فتأخذ عنهما، فانطلق إليهما، فوجد الحسن قد مات وابن سيرين حي. فأخبر الأوزاعي: أنه دخل عليه فعاده ومكث أياماً ومات، ولم يسمع منه.

قال الوليد بن مسلم : رأيت الأوزاعي يثبت في مصلاه يذكر الله حتى تطلع الشمس، ويخبرنا عن السلف: أن ذلك كان هديهم، فإذا طلعت الشمس قام بعضهم إلى بعض، فأفاضوا في ذكر الله، والتفقه في دينه.

قال الشاذكوني: سمعت ابن عيينة يقول: كان الأوزاعي والثوري بمنى فقال الأوزاعي للثوري: لِمَ لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟ فقال : حدثنا يزيد بن أبي زياد.... فقال الأوزاعي : روى لك الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ وتعارضني بيزيد رجل ضعيف الحديث وحديثه مخالف للسنة، فاحمر وجه سفيان. فقال الأوزاعي: كأنك كرهت قلتُ؟ قال:

نعم . فقال: قم بنا إلى المقام نلتعن أينا على الحق. قال : فتبسَّم سفيان لما رآه قد احتد.

أما أقواله وحكمه ومواعظه فمنها أنه قال:

- من أكثر من ذكر الموت، كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قل كلامه.
- من أطال قيام الليل هوّن الله عليه وقوف يوم القيامة.
- عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم.
- إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل.
- لا يجتمع حب علي وعثمان ـ رضي الله عنهما ـ إلا في قلب مؤمن.
- من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام.
- ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب الورع.
- إن المؤمن يقول قليلا ويعمل كثيراً، وإن المنافق يتكلم كثيراً ويعمل قليلاً.

قال يزيد بن مذعور : رأيت الأوزاعي في منامي، فقلت : دلني على درجة أتقرب بها إلى الله، فقال : ما رأيت هناك أرفع من درجة العلماء، ومن بعدها درجة المحزونين.

وقال بقية بن الوليد: قال لي الأوزاعي : يا بقية! لا تذكر أحداً من أصحاب نبيك إلا بخير. يا بقية ! العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ وما لم يجئ عنهم فليس بعلم.

وعن محمد بن الأوزاعي قال: قال لي أبي : يا بني! لو كنا نقبل من الناس كل ما يعرضونه علينا لأوشك أن نهون عليهم.

وعن الوليد بن مزيد قال : سئل الأوزاعي عن الخشوع في الصلاة قال: غض البصر وخفض الجناح ولين القلب، وهو الحزن والخوف.

ولما سئل ـ رحمه الله ـ عن الأبله؟ قال : العَمِيُّ عن الشر البصير بالخير.

- اصبر على السنة، وقف حيث يقف القوم، وقل ما قالوا، وكف عما كفوا، وليسعك ما وسعهم.
- لهو العلماء خير من حكمة الجهلة.
- أيها الناس ! تقوَّوا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة فإنكم في دارٍ، الثواء فيها قليل، وأنتم مرتحلون وخلائف بعد القرون الذين استقالوا من الدنيا زهرتها، كانوا أطول منكم أعماراً، وأجد أجساماً، وأعظم آثاراً، فجددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم وأخوت منازلهم وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحدٍ، ولا تسمع آثارهم وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحسن منهم من أحدٍ ولا تسمع لهم ركزا، كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، ولصباح قوم نادمين ثم إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله، فأصبح كثير منهم في

ديـارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة وزوال نعمة ومسـاكن خاويـة، فـيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشـى وأصـبحتم في أجـل منقوص ودنيا مقبوضة في زمان قد ولّى عفـوه، وذهـب رخـاؤه، فلـم يـبق مـنه إلا حُمَةُ شرٍّ، وصبابة كدر، وأهاويل غير، وأرسال فتن، ورُذالة خلف.

- ولا يستقيم الإيمـان إلا بالقول، ولا يستقيم القول إلا بالعمل، ولا يسـتقيم الإيمـان والقـول والعمل إلا بالنية موافقة للسنة، وكان من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الإيمان والعمل. العمل من الإيمان، والإيمـان مـن العمـل، وإنمـا الإيمـان اسـم جامع كما يجمع هذه إلا الأديـان اسمهـا، ويصـدقه العمـل فمـن آمـن بلسـانه وعرف بقلبه وصـدق ذلـك بعملـه فتلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن قـال بلسـانه ولم يعـرف بقلبه ولم يصدقه بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين.

قـال محمـد بـن عبيد الطنافسي: كنت عند سفيان الثوري فجاءه رجل فقـال: رأيـت كـأن ريحانـة مـن المغرب رُفِعَتْ. قال: إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي.

فكتبوا ذلك. فَوُجِدَ كذلك في ذلك اليوم.

وقال عباس الدُّوري: سمعت يحيى يقول: مات الأوزاعي في الحمام.

فعـن خـيران بـن العـلاء ـ وكـان من خيار أصحاب الأوزاعي ـ قال:



دخـل الأوزاعـي الحمـام، وكـان لصاحب الحمام حاجة، فأغلق عليه الباب وذهب ثم جاء ففتح فوجد الأوزاعي ميتاً مستقبل القبلة.

وقـال عقـبة بـن علقمـة : سـبب موت الأوزاعي أنه اختضب ودخل الحمـام الذي في منزله وأدخلت معه امرأته كانوناً فيه فحم لئلا يصيبه البرد، وأغلقـت علـيه من برًا فلما هاج الفحم ضعفت نفسه وعالج الباب ليفتحه فامتنع عليه، فألقى نفسه فوجدناه موسِّداً ذراعه إلى القبلة.

رحمه الله رحمة واسعة مات سنة سبع وخمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٦/ ١٤٦-١٥٩ رقم ٣٥٤).

٢- سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧-١٣٣ رقم ٤٨).

٣- البداية والنهاية (١٠/ ١٢٤-١٢٩).

٤- صفة الصفوة (٤/ ٤٦٦-٤٦٨ رقم ٧٩٠).

٥- تهذيب الكمال (١٧/ ٣٠٧-٣١٥ رقم ٣٩١٨).

٦- تهذيب التهذيب (٢/ ٥٣٧-٥٣٩).

٧- الطبقات الكبرى (٧/ ٣٣٩ رقم ٣٩٨٧).

٨- شذرات الذهب (٢/ ٢٥٦-٢٥٩).

٣٢ ـ مكحـــــول
إمام أهل الشام

مكحـول عـالم أهل الشام، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبو أيوب، وقيل: أبـو مسـلم الدمشـقي الفقيه، عداده في أوساط التابعين، من أقران الزهري، واختلف في ولائه فقيل: مولى امرأة هذلية، وهو أصح، وقيل غير ذلك، فهو مكحـول بـن أبي مسلم شهراب بن شاذل بن سند الكابلي الهذلي مولاهم، كان فقيه أهل دمشق وأحد أوعية العلم والآثار.

قـال الزهـري: العلمـاء أربعـة: سـعيد بـن المسـيب بالمديـنة، والشعبي بالكوفة، والحسن بالبصرة، ومكحول بالشام.

وقـال سـليمان بـن موسـى : إذا جاءنا العلم من الحجاز عن الزهري قبلـناه، وإذا جاءنـا من الشام عن مكحول قبلناه، وإذا جاءنا من الجزيرة عن مـيمون بـن مِهْـران قبلـناه، وإذا جاءنـا من العراق عن الحسن قبلناه، هؤلاء الأربعة علماء الناس في خلافة هشام.

وقـال سـعيد بن عبد العزيز : كان مكحول أفقه من الزهري، مكحول أفقه أهل الشام.

وقال محمد بن عبد الله بن عمار : مكحول إمام أهل الشام.

وقـال عـثمان بـن عطـاء : كـان مكحول رجلاً أعجميًّا لا يستطيع أن يقول: قل. يقول: كل فكل ما قال بالشام قُبِلَ منه.

وقال أبو حاتم : ما بالشام أحد أفقه من مكحول.

وقال سعيد بن عبد العزيز : لم يكن في زمن مكحول أبصر بالفتيا منه.

قال العجلي: تابعي ثقة.

وقال ابن حجر في «التقريب»: ثقة فقيه كثير الإرسال، مشهور.

وقال ابن كثير في «البداية» : تابعي جليل القدر، إمام أهل الشام في زمانه، وكان له وجاهة عند الناس، مهما أمر به من شيء يفعل.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ لا يفتي حتى يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ويقول: هذا رأيي، والرأي يخطئ ويصيب.

وقال سعيد بن عبد العزيز: أعطوا مكحولاً مرة عشرة آلاف دينار، فكان يعطي الرجل خمسين دينارًا.

وعنه قال: إن مكحولاً كان فيمن افترض في العطاء، وكان يأخذه ويتقوى به على جهاد عدو الله.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب: أراد عثمان أن مكحولاً كان عندهم مع عجمة لسانه بمحل الإمامة وموضع الأمانة، يقبلون قوله، ويعملون بخبره.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يهاب سلطانًا ولا يعمل له حسابًا.

عن الوليد بن مسلم عن ابن جابر قال: أقبل يزيد بن عبد الملك بن مروان إلى مكحول وأصحابه، فلما رأيناه هممنا بالتوسعة له، فقال مكحول: مكانكم. دعوه يجلس حيث أدرك، يتعلم التواضع.

ولقد كان مكحول حريصًا أشد الحرص على العلم يبذل ما في وسعه

وطاقته للحصول عليه، ويكابد المشاق من أجل مسألة فلقد روى يحيى بن حمزة القاضي عن مكحول أنه قال: عتقت بمصر فلم أدع بها علمًا إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق، فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علمًا إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها، كل ذلك أسأل عن النفل فلم أجد أحدًا يخبرني عنه، حتى مررت بشيخ من بني تميم يقال له: زياد بن جارية جالساً على كرسي، فسألته فقال: حدثني حبيب بن مسلمة قال: شهدت رسول الله ﷺ نَفَلَ فِي البُداءة الربع، وفي الرجعة الثلث.

وعن ابن إسحاق قال: سمعت مكحولاً يقول: طفت الأرض كلها في طلب العلم.

قال الذهبي في «السير»: هذا القول منه على سبيل المبالغة لا على حقيقته.

واتُّهم - رحمه الله - بأنه يرى القدر.

فقال ابن خراش : مكحول شامي صدوق، وكان يرى القدر.

وقال نوح بن سفيان : وكان يقول بالقدر.

قال ابن سعد في «الطبقات» : قال بعض أهل العلم: كان مكحول من أهل كابل وكانت فيه لكنة، وكان يقول بالقدر، وكان ضعيفاً في حديثه وروايته.

وقال الذهبي في «الميزان» : هو صاحب تدليس، وقد رمي بالقدر، فالله أعلم.

وقال الجوزجاني : يُتوهم عليه القدر، وهو ينتفي عنه.

وقال في «المغني»: وثقه جماعة.

وقال يحيى بن معين: كان قدريًا، ثم رجع.

وقال أبو داود: سألت أحمد: هل أنكر أهل النظر على مكحول شيئاً؟ قال: أنكروا عليه مجالسة علان، ورموه به، فبرأ نفسه بأن نحاه.

وعن الأوزاعي قال: لم يبلغنا أن أحداً من التابعين تكلم في القدر إلا هذين الرجلين : الحسن ومكحول، فكشفنا عن ذلك، فإذا هو باطل.

قال سعيد بن عبد العزيز : كان مكحول أفقه من الزهري، وكان بريئاً من القدر.

وعن أبي رزين قال: لما أكثر الناس على مكحول في القدر، قلت: لأسألنه عن شيء؟ قلت: ما تقول في رجل عنده جارية وعليه دين ولا مال له غيرها، أترى له أن يعزل عنها؟ قال: لا يفعل، لا يفعل، فإن الله ـ تعالى ـ لم يخلق نفساً إلا وهي كائنة، فلا عليه أن لا يفعل.

وهذه الحكاية تنفي عن هذا العالم الجليل الفرية التي لصقت به من أنه كان قدريًا، ويؤكد ذلك الحوار الذي دار بينه وبين رجاء بن حيوة حيث قال إبراهيم بن أبي عبلة : وقف رجاء بن حيوة على مكحول وأنا معه، فقال: يا مكحول! بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر؟ فقال مكحول: لا والله. أصلحك الله، ما ذاك من شأني ولا قولي. أو نحو ذلك.

عن سعيد بن عبد العزيز أنه رأى على مكحول خاتماً من حديد قد

لـوى علـيه فضـة حتـى لم يكـن يُـرَى مـن الحديـد شيء، نقشه : ربّ باعدْ مكحولاً من النار.

وكـان ـ رحمـه الله ـ ناصـحاً لإخـوانه المسلمين، لا يجد باباً من أبواب الخـير إلا فـتحه فهـا هـو يعود حكيم بن حزام بن حكيم في مرضه فقال لـه مكحـول: أتـراك مـرابطاً العـام. فقـال حكيم متعجبا: كيف تسألني عن هذا وأنـا علـى ذي الحـال؟! قـال مكحول. وما عليك أن تنوي ذاك، فإن شفاك الله مضيت لوجهك، وإن حال بينك وبينه أجل كتب لك نيتك.

وعـن الأوزاعـي قال: قال مكحول: لأن تضرب عنقي أحب إليَّ من أن ألي القضاء، ولأن ألي القضاء أحب إلي من بيت المال.

ولمـا سـئل ـ رحمـه الله ـ عن قوله ـ تعالى ـ : ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾قـال : يـا ابـن أخي لم يأت تأويل هذه بعد، إذا هاب الـواعظ وأنكـر الموعـوظ، فعلـيك حينـئذ نفسـك، لا يضـرك مـن ضـل إذا اهتديت، يا أخي الآن نعظ ويُسمع منا.

وعـن الـنعمان بـن المـنذر، عـن مكحـول قال: اجتمعت أنا والزهري فتذاكـرنا التـيمم، فقـال الزهـري : المسـح إلى الآبـاط فقلت : عمن أخذت هـذا؟ قـال: عـن كـتاب الله، إن الله ـ تعـالى ـ يقـول : ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ فهـي يـد كلـها. قلـت : فإن الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ فمن أين تقطع اليد؟ قال: فخصمته.

وعـن العـلاء بـن الحارث عن مكحول قال: أربع من كن فيه كن لـه،

وثلاث من كن فيه كن عليه. فأما الأربع اللاتي له: فالشكر والإيمان والدعاء والاستغفار، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء : ١٤٧] وقال : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] وقال: ﴿مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان : ٧٧]. أما الثلاث اللاتي عليه: فالمكر والبغي والنكث قال الله تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[الفتح : ١٠] وقال: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣] وقال: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس : ٢٣].

وعنه في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥] قال : وضع عنهم الإثم في الخطأ، ووضع المغفرة على العمد.

وقال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩] قال: تكونون في كل عشرين سنة على حال لم تكونوا على مثلها.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله:

- أرق الناس قلوباً أقلهم ذنوباً.
- إن كان الفضل في الجماعة فإن السلامة في العزلة.
- أفضل العبادة بعد الفرائض الجوع والظمأ.
- من طابت ريحته زاد في عقله، ومن نظف ثوبه قل همه.
- الطيب غذاء الصائم.

- بر الوالدين كفارة للكبائر، ولا يزال الرجل قادراً على البر ما دام في فصيلته من هو أكبر منه.
- من مات مدارياً مات شهيداً.
- عينان لا يمسهما العذاب : عين بكت من خشية الله، وعين باتت من وراء المسلمين.
- المؤمنون هينون لينون مثل الجمل الأنف، إن قدته انقاد، وإن أنخته على صخرة استناخ.
- من أحيا ليلة في ذكر الله أصبح كيوم ولدته أمه.
- من أحب رجلاً صالحاً فإنما أحب الله، ومن ذهب إلى علم يتعلمه فهو في طريق الجنة حتى يرجع.
- من لم ينفعه علمه ضره جهله، اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه.

عن بركة الأزدي قال : وضأت مكحولا فأتيته بالمنديل، فأبى أن يمسح به وجهه، ومسح وجهه بطرف ثوبه، فقلت: الوضوء بركة، وأنا أحب أن لا تعدو ثوبي.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: سمعت مكحولاً يقول: رأيت رجلاً يصلي، وكلما ركع أو سجد بكى، فاتهمته أنه يرائي ببكائه، فحرمت البكاء سنة.

وكتب وهب بن منبه إلى مكحول : إنك امرؤ قد أصبت بما ظهر من علم على الإسلام شرفاً، فاطلب بما بطن من علم الإسلام محبة وزلفى.

وعن أبي ثوبان حدثني من سمع أبا عبد رب يقول لمكحول: يا أبا عبد الله أتحب الجنة؟ قال: ومن لا يحب الجنة؟! قال: فأحب الموت فإنك

لن ترى الجنة حتى تموت.

وعـن مـروان بـن محمـد حـدثني عـبد ربـه بن صالح قال: دخل على مكحول في مرضه الذي مات فيه، فقيل لـه : أحسن الله عافيتك أبا عبد الله فقـال: الإلحـاق بمـن يرجى عفوه خير من البقاء مع من لا يؤمن شره. وزاد غيره شياطين الإنس، وإبليس وجنوده.

ولحـق ـ رحمـه الله ـ بمـن يرجـى عفوه ـ سبحانه وتعالى ـ في سنة اثنتي عشـرة ومائـة وقيل سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة وقيل غير ذلك فرحمه الله رحمة واسعة.

ورحـم الله أبـا نعـيم القائـل فيه: ومنهم الإمام الفقيه الصائم المهزول إمام أهل الشام أبو عبد الله مكحول.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٥/ ٢٠٢-٢١٠ رقم ٣١٦).
٢- السير (٥/ ١٥٥-١٦٠ رقم ٥٧).
٣- الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٥-٣١٦ رقم ٣٨٥٢).
٤- تهذيب الكمال (٢٨/ ٤٦٤-٤٧٤ رقم ٦١٦٨).
٥- تهذيب التهذيب (٤/ ١٤٨-١٤٩).
٦- وفيات الأعيان (٥/ ٢٨٠-٢٨٣ رقم ٧٣٩).
٧- شذرات الذهب (٢/ ٦٦-٦٨).
٨- البداية والنهاية (٩/ ٣٠٩).
٩- المنتظم (٧/ ١٧٢-١٧٣ رقم ٦٢٠).

٣٣ ـ أبو حنيفة النعمان
فقيه الملة وأفقه أهل الأرض

هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة، فقيه أهل العراق وإمام أصحاب الرأي فهو الإمام وفقيه الملة، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، فهو أحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام وأحد أركان العلماء، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب عُني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهى والناس عليه عيال في ذلك.

عن أبي يحيى الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: رأيت رؤيا فأفزعتني، رأيت كأني أنبش قبر النبي ﷺ فأتيت البصرة، فأمرت رجلاً يسأل محمد بن سيرين، فسأله فقال: هذا رجل ينبش أخبار رسول الله ﷺ. وقال أيضاً: صاحب هذه الرؤيا يثور علماً، لم يسبقه إليه أحد قبله.

وقال أبو معاوية الضرير: حبُّ أبي حنيفة من السنة.

وقال يحيى بن معين: كان أبو حنيفة ثقة في الحديث.

وقال أيضاً: لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ.

وقال أيضاً: كان أبو حنيفة لا بأس به. وقال مرة: هو عندنا من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب.

ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضياً.



وعن حجر بن عبد الجبار قال: قيل للقاسم بن معن: ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة قال: ما جلس الناس إلي أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة.

وقال له القاسم: تعال معي إليه، فلما جاء إليه لزمه، وقال: ما رأيت مثل هذا.

وقال ابن المبارك: ما رأيت رجلاً أوقر في مجلسه، ولا أحسن سمتاً وحلماً من أبي حنيفة.

وعن شريك قال: كان أبو حنيفة طويل الصمت، كثير العقل.

وقال أبو عاصم النبيل: كان أبو حنيفة يُسَمَّى الوتد لكثرة صلاته.

وروى حيان بن موسى المروزي قال: سئل ابن المبارك: مالك أفقه أو أبو حنيفة؟ قال: أبو حنيفة.

وقال يحيى بن سعيد القطان: لا نكذب الله، ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

وقال علي بن عاصم: لو وُزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم.

وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر، ولا يعيبه إلا جاهل.

ورُوي عن الأعمش أنه سئل عن مسألة فقال: إنما يُحسنُ هذا النعمان ابن ثابت الخزاز، وأظنُّه بُورك له في علمه.

وقال جرير. قال لي مغيرة: جالس أبا حنيفة تفقه، فإن إبراهيم

النخعي لو كان حيًّا لجالسه.

وقال عبد الله بن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس.

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة.

قال الذهبي في "السير": الإمامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه.

وليس يصحُّ في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليل

وسيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين - رضي الله عنه ورحمه -.

توفي شهيداً مسقياً في سنة خمسين ومئة وله سبعون سنة.

وعن الشافعي قال: قيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: نعم. رأيت رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته.

وعن بكر بن يحيى بن زياد عن أبيه قال: قال لي أبو حنيفة: يا أهل البصرة أنتم أورع منا ونحن أفقه منكم.

وعن عبد الله بن داود الخُرَيْبِيِّ قال: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم. قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

وعن شداد بن حكيم قال: ما رأيت أعلم من أبي حنيفة.

وقال مكي بن إبراهيم: كان أعلم أهل زمانه.

قال بشر: حدثنيه عن ابن داود قال: إذا أردت الآثار، أو قال: الحديث وأحسبه قال: والورع، فسفيان. وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة.

وقال محمد بن بشر: كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان فآتي

أبـا حنـيفة فـيقول لـي: من أين جئت؟ فأقول: من عند سفيان، فيقول: لقد جـئت مـن عـند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله. فآتي سـفيان فيقول: من أين جئت؟ فأقول: من عند أبي حنيفة فيقول: لقد جئت من عند أفقه أهل الأرض.

أمـا عـن عبادته وخشيته وتقواه فقد قال سفيان بن عيينة: ما قدم مكة رجل في وقتنا أكثر صلاة من أبي حنيفة.

قـال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله ـ تعالى ـ، فقـرأ بـنا علـي بـن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾. وأبـو حنيفة خلفه فلما قضى الصلاة وخرج الناس نظرت إلى أبي حنيفة وهـو جـالس يتفكـر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تـركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر وهو قام وقـد أخـذ بلحية نفسه وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيرًا ويا من يجـزي بمثقال ذرة شرٌّ شرًّا، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السـوء، وأدخلـه في سـعة رحمتك. قال: فأذنت وإذا القنديل يزهر وهو قائم فلمـا دخلـت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل، قلت: قد أذنت لصلاة الغداة فقـال: اكـتم علـيَّ مـا رأيـت. وركـع ركعـتين وجلـس حتى أقمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وقـال الفضـل بـن دكـين: رأيـت جماعـة مـن الـتابعين وغيرهم فما رأيت أحسن صلاة من أبي حنيفة، ولقد كان قبل الدخول في الصلاة يبكي ويدعو.

وعـن أسـد بن عمرو أن أبا حنيفة ـ رحمه الله ـ صلى العشاء والصبح بوضوء أربعين سنة.

وعـن القاضـي أبـي يوسـف قـال: بيـنما أنـا أمشي مع أبي حنيفة، إذ سمعـت رجـلاً يقـول لآخـر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل. فقال أبو حنيفة: والله لا يُتحدثُ عني بما لم أفعل. فكان يحيي الليل صلاة وتضرعاً ودعاءً.

ووصـفه قـيس بن الربيع بقوله: كان أبو حنيفة ورعاً تقيًّا مُفضِلاً على إخـوانه فكـان ـ رحمه الله ـ جوادًا سخيًّا كريماً، يبذل أمواله للمحتاجين عن طـيب نفـس فعـن المثنى بن رجاء قال: جعل أبو حنيفة على نفسه إن حلف بالله صادقا أن يتصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها.

وكـان حفص بن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة في تجارة الثياب، وكان أبـو حـنيفة يجهـز علـيه فـبعث إليه رفقة بمتاع، وأعلمه أن في ثوبه كذا وكذا عيـباً، فـإذا بعـته فـبين فـباع حفص المتاع ونسي أن يبين، ولم يعلم من باعه، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كله.

وكـان ـ رحمـه الله ـ معظمـاً لأمـر الله ـ تعـالى ـ فعـن يـزيد بن كميت سمع رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله. فانتفض واصفرَّ وأطرق، وقال: جزاك الله خيراً. ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا.

ويروى أن أبا حنيفة ختم القرآن سبعة آلاف مرة.

وعـن القاسـم بن معن أن أبا حنيفة قام ليلة يردد قوله ـ تعالى ـ ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ ويبكي ويتضرع إلى الفجر.



وقد روي من غير وجه أن الإمام أبا حنيفة ضرب غير مرة على أن يلي القضاء فلم يجب.

وقال بكير بن معروف: كنت بطانة أبي حنيفة في السفر والحضر، وأشهده الليالي في منزله، وكان قل ما يستتر عليَّ أمر من أموره، فما رأيت أحداً أكثر اجتهاداً منه!! صائما بالنهار، قائما بالليل، تاليا لبيان الله، خاشعاً، دائباً في طاعة الله، محتسباً في التعليم وفي تنوير ما يشكل على الناس من المعاني، لا أقدر أن أصفه فرحمه الله رحمة واسعة.

وقال أبو مقاتل: صحبت أبا حنيفة الصحبة الطويلة في حضره وأسفاره فما رأيت أحداً أكثر صلاة منه ولا أعبد ولا أورع منه، وأما الفقه فلم أر أحداً يتقدمه.

وقال عطاء بن جبلة: لم أر أحداً من العلماء يختلف أن أبا حنيفة كان أفقه القوم وأورع أقوم وأكثرهم صلاة وعبادة.

وقال يحيى بن سعيد القطان: جالسنا أبا حنيفة رسمعنا منه، وكنت والله إذا نظرت إليه عرفت في وجهه أنه يتقي الله ـ عز وجل ـ.

وروى مسعود بن شيبة بسنده إلى محمد بن الحسن قال: كان أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ واحد زمانه، ولو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمواساة والورع والإيثار لله ـ تعالى ـ مع الفقه والعلم.

وعن عبد الله بن المبارك قال: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة؟ ما سمعناه يغتاب عدوا له. قال: والله هو أعقل من أن يسلط

على حسناته ما يذهب بها.

وروى الموفق بسنده إلى عبد الرزاق قال: كنت إذا رأيت أبا حنيفة رأيت آثار البكاء في عينيه وخديه.

وكان أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ إذا اشترى لعياله شيئاً أو جاءت له الباكورة من الفواكه اشترى لشيوخ المحدثين أجود مما اشترى لعياله ولنفسه، وأنفق عليهم أكثر مما أنفق على عياله، وكان يسامح في المبايعة والمعاملة.

وقال أبو يوسف: كانوا يقولون: أبو حنيفة زينه الله بالفقه والعلم والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت معه.

وقال عنه أحمد بن حنبل: إنه من العلم والورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد، ولقد ضرب بالسياط ليلي للمنصور فلم يفعل فرحمة الله عليه ورضوانه.

وكان شعبة ـ أمير المؤمنين في الحديث ـ حسن الذكر لأبي حنيفة، كثير الدعاء له، ما سمعته قط يذكر بين يديه إلا دعا له.

وعن هدبة بن عبد الوهاب قال: قدم علينا شقيق البلخي بمرو، وكنا نحضر مجلسه، وكان يكثر ذكر أبي حنيفة ويطريه فقلنا له: إلى كم تطري أبا حنيفة؟! كلمنا بما ننتفع به. قال شقيق: هيهات! ولا ترون ذكر أبي حنيفة وذكر مناقبه من أفضل الأعمال؟ لو رأيتموه وجالستموه لم تقولوا هكذا.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا حلم عميق وصبر جميل، يكظم غيظه ويداري حنقه، ويقابل السيئة بالحسنة عقبها، ولا ينتقم لمنقصة أصابته أو من جاهل

تعدى عليه، فقد كان يناقش في مسألة أفتى فيها من قبل أستاذ الوعظ (الحسن البصري) فقال أبو حنيفة: أخطأ الحسن. فقال له رجل: أنت تقول: أخطأ الحسن يا ابن الزانية؟! فما تغير وجهه ولا تلون. ثم قال: إي والله أخطأ الحسن وأصاب عبد الله بن مسعود، وكان يقول: من ضاق بنا صدره، فإن قلوبنا قد اتسعت له.

وقيل: إن بعض مناظريه قال له: يا مبتدع يا زنديق، فقال له أبو حنيفة: غفر الله لك، الله يعلم مني خلاف ذلك، وأني ما عدلت به أحداً منذ عرفته، ولا أرجو إلا عفوه ولا أخاف إلا عقابه. ثم بكى عند ذكر العقاب، فقال له الرجل: اجعلني في حل مما قلت، فقال: كل من قال فيّ شيئاً من أهل الجهل فهو في حلٍّ، ومن قال فيّ شيئاً ممن هو من أهل العلم فهو في حرج، فإن غيبة العلماء تبقي شيئاً بصدرهم.

لذا قال فيه يزيد بن هارون: ما رأيت أحداً أحلم من أبي حنيفة.

وكان ـ رحمه الله ـ منصفاً بغيته الحق أينما كان فلا يتعصب لقوله ورأيه، بل كان يقول: قولنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منا.

ويروى عن زهير بن معاوية أنه قال: سألت أبا حنيفة عن أمان العبد، فقال: إن كان لا يقاتل فأمانه باطل. فقلت: حدثني عاصم الأحول عن الفضيل بن يزيد الرقاشي قال: كنا نحاصر العدو فرمي إليهم بسهم فيه أمان. فقالوا: قد أمنتمونا. فقلنا: إنما هو عبد. فقالوا: والله ما نعرف فيكم

العبد من الحر فكتبنا إلى عمر بذلك، فكتب عمر: أن أجيزوا أمان العبد فسكت أبو حنيفة، ثم غبت عن الكوفة عشر سنين ثم قدمتها فأتيت أبا حنيفة فسألته عن أمان العبد. فأجابني بحديث عاصم ورجع عن قوله فعلمت أنه متبع لما سمع.

ولقد تعرض للمحن كغيره من أئمة الهدى ـ رحمهم الله ـ.

قال يحيى بن أكثم بن داود: أراد ابن هبيرة أن يولي الإمام قضاء الكوفة فأبى فحلف ابن هبيرة أنه إن لم يقبل ليضربنه بالسياط على رأسه ويحبسه فحلف الإمام أنه لا يلي منه فقيل له: إنه حلف على أن يضربك، فقال: ضربه لي في الدنيا أخف من معالجة مقامع الحديد في الآخرة، والله لا أفعل وإن قتلني.

وعن بشر بن الوليد قال: طلب المنصور أبا حنيفة فأراده على القضاء وحلف ليلين فأبى وحلف: إني لا أفعل. فقال الربيع الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف؟ قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني. فأمر به إلى السجن. فمات فيه ببغداد.

وكان أبو حنيفة حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لأخوانه. وكان ربعة من الرجال، وقيل: كان طوالا تعلوه سمرة أحسن الناس منطقاً وأحلاهم نغمة.

وقال جعفر بن ربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له



دويًّا وجهارة في الكلام وكان ـ رحمه الله ـ ربعة من الرجال تعلوه سمرة، حسن الثياب كثير التعطر كريماً.

وقال ابنه حماد: كان أبي جميلاً تعلوه سمرة، حسن الهيئة، كثير التعطر هيوباً، لا يتكلم إلا جواباً، ولا يخوض ـ رحمه الله ـ فيما لا يعنيه.

وكان من أذكياء بني آدم، جمع الفقه والعبادة والورع والسخاء، وكان لا يقبل جوائز الدولة، بل ينفق ويؤثر من كسبه، له دار كبيرة لعمل الخز (أي الثياب) وعنده صناع وإجراء ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقال الفضيل بن عياض: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهاً، معروفاً بالفقه، مشهوراً بالورع، واسع المال، معروفاً بالأفضال على من يطيف به، صبوراً على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام حتى ترد مسألة في حلال أو حرام. فكان يحسن أن يدل على الحق، هارباً من مال السلطان.

ولقد قال المخالفون فيه كثيراً، وذموه وجرّحوه، ونسبوه إلى الأخذ بالرأي والقياس، وعدوا ذلك من مثالبه وعيوبه فانتقصوه ولاحوا عليه باللائمة والتهويش.

ولكن الحق يقال فإن كثيراً من أئمة الجرح والتعديل مدحوا الإمام وأثنوا عليه وزكوه فصار كلام الجارحين في جنب كلام المادحين كضوء السراج في جنب ضوء الشمس في وضح النهار.

فعن يحيى بن ضريس يقول: شهدت سفيان وأتاه رجل فقال له: ما

تـنقم على أبي حنيفة قال: وماله؟ قال: سمعته يقول: آخذ بكتاب الله فما لم أجـد فبسـنة رسـول الله فمـا لم أجـد في كـتاب الله ولا في سـنة رسـول الله أخـذت بقول أصحابه، آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم ولا أخـرج مـن قـولهم إلى قـول غيرهـم. أما إذا انتهى الأمر أو جاء إلى إبراهيم والشـعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب وعدَّد رجالاً فقوم اجـتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا. قال: فسكت سفيان طويلاً ثم قال كلمات بـرأيه مـا بقـي أحـد في المجلـس إلا كتبه: نسمع الشديد من الحديث فنخافه، ونسـمع اللين فنرجوه، ولا نحاسب الأحياء ولا نقضي على الأموات، نُسَلِّم ما سمعنا، ونكل ما لا نعلم إلى عالمه ونتهم رأينا لرأيهم.

فقد روى نوح الجامع عن أبي حنيفة أنه قال: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلـى الـرأس والعـين، ومـا جاء عن الصحابة اخترنا [أي الأقرب للكتاب والسنة] وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال.

قلـت: هـذه الجملـة الأخـيرة عدوها من مآخذه ومثالبه فكيف يقول: فهم رجـال ونحـن رجـال. وأي غضاضـة وأي ملامة في قوله هذا، وهو لم يقله إلا في الـتابعين وهـو مـن خـيرة الـتابعين وكبارهم والمعدود من أفاضلهم فلا لوم عليه إذن عـندما يقـدم كـلام رسـول الله ﷺ فـإذا لم يكـن قدم كلام الصحابة الكرام واخـتار أقـرب الأقـوال إلى كـتاب الله وسـنة رسوله ﷺ فإذا لم يجد فلا عليه أن يجتهد وهو أهل لذلك، ولا عليه أن يرى وهو أهل لذلك.

فهذا عبد الله بن المبارك الإمام العلم التقي الورع الزاهد المخبت يقول: إن كان أحد ينبغي له أن يقول برأيه، فأبو حنيفة ينبغي له أن يقول برأيه.

وهذا الإمام الجليل وهو من هو في الجرح والتعديل يحيى بن سعيد القطان يقول: ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله.

قلت: وليس الرأي الذي كان عليه أبو حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ رد النصوص، لكن اعتبارها وفهمها والفهم عنها، وقد كان في هذا الباب البطل الذي لا يجارى، ولعل بعضهم حسده لهذا فقال فيه ما قال أو تخيل أنه يقدم الرأي على النص ـ لفهمه الدقيق فيه ـ فزعم في حقه ما زعم. لقد قال ـ رحمه الله تعالى ـ في الذي أكل أو شرب ناسيا في نهار رمضان: لولا الأثر لقلت بالقياس، أي أنه يفطر، ذلك لوجود صورة الإفطار منه لا قصده.

وإذا كان الإمام أبو حنيفة إماماً في القياس فهذا لا يعني بأي حال من الأحوال أنه يقدم القياس على النص فقد تقدم قوله: ما جاء عن الرسول ﷺ فعلى الرأس والعين.

وقد روي عنه أنه قال: كذب ـ والله ـ وافترى علينا من يقول: إننا نقدم القياس على النص، وهل يحتاج بعد النص إلى قياس.

وقال أيضا: نحن لا نقيس إلا عند الضرورة الشديدة، وذلك أننا ننظر في دليل المسألة من الكتاب والسنة أو أقضية الصحابة فإن لم نجد دليلاً قسنا حينئذ مسكوتا على منطوق به.

بـل إن أبـا حنيفة ـ رحمه الله ـ كان يعيب كثيراً من القياس الأمر الذي جعله يقول: البول في المسجد [وهو من أشنع الأفعال] أحسن من بعض القياس.

وقـد اتُّهِـم رحمـه الله بأنـه استتيب مـن الكفر مرتين وشنَّعوا عليه في ذلـك، والعجيب في ذلك أن هذا الأمر مدوّن في كتب لأئمة أهل السنة ففي كـتاب السـنة لعـبد الله بـن أحمـد بـن حنـبل ذكر هذا الأمر فمن يقف عليه ارتـاب في شأنه، ولكن الحق يقال: إن الذين استتابوا الإمام هم من الخوارج الـذين يكفـرون عمـوم المسـلمين، بـل قـد تطاولـوا علـى خـيرة الصـحابة وكفَّـروهم فلا يستغرب منهم أن يكفروا أبا حنيفة ويأخذوه ويستتيبوه فقال أبـو الفضـل الكرمانـي: لما دخل الخوارج الكوفة مع الضحاك قيل لهم: هذا شيخ هؤلاء، فأخذوا الإمام أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ وقالوا لـه: تب من الكفـر فقـال: أنا تائب من كل كفر. فقيل لهم: إنه تائب من كفركم فأخذوه فقال لهم: أبعلم قلتم أم بظن؟ قالوا: بظن. قال: إن بعض الظن إثم. والإثم ذنـب، فـتوبوا من الكفر [أي على مذهبهم] قالوا: تب أنت أيضا من الكفر فقـال: أنا تائب من كل كفر، فهذا الذي قاله الخصوم: إن الإمام استتيب من الكفر مرتين، ولبَّسوا على الناس.

قلـت: فهـل ينظر لهذه الاستتابة؟ وهل يجوز نقلها وإشاعتها وقد علمنا أن الخـوارج كـلاب أهـل الـنار يكفرون المسلمين ويدعون أهل الذمة والأوثان فلا عـبرة باسـتتابتهم إذن ولا وزن لهـا في ميـزان الحق والعدل والإنصاف. ولماذا كل هـذه الضـجة وهـذه الـزوبعات. وهـو رجـل لـيس بالمعصوم، بل مآخذه بجنب



محامده كالبحيرة الساكنة بجنب المحيط الزاخر المتلاطم.

فعن يحيى بن أيوب قال: سمعت يزيد بن هارون يقول وذكر أبا حنيفة فقال: أبو حنيفة رجل من الناس، خطؤه كخطأ الناس، وصوابه كصواب الناس.

وقال عبد الله بن داود: الناس في أبي حنيفة رجلان: جاهل به وحاسد له. وقال أيضا: الناس في أبي حنيفة حاسد وجاهل، وأحسنهم عندى حالاً الجاهل.

قال سفيان بن وكيع: سمعت أبي يقول: دخلت على أبي حنيفة فرأيته مطرقاً مفكراً فقال لي: من أين أقبلت؟ من عند شريك؟ ورفع رأسه وأنشأ يقول:

إن يحسدونى فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فَدَامَ لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يَجدُ

قال وكيع: وأظنه كان بلغه عنه شيء.

ومن أقواله وحكمه ومواعظه ـ رحمه الله ـ :

- من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها.
- من أراد أن ينجو من عذاب الآخرة، فلا يبال من عذاب الدنيا.
- لا ينبغي للرجل أن يحدث إلا بما يحفظه من وقت ما سمعه.
- إذا ارتشى القاضي فهو معزول وإن لم يعزل.
- من لم يمنعه العلم عن محارم الله ـ تعالى ـ ولم يحجزه عن معاصي الله ـ



تعالى ـ فهو من الخاسرين.

- إن لم يكن أولياء الله في الدنيا والآخرة الفقهاء والعلماء فليس لله ولي.
- غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة.
- من تعلم العلم للدنيا حُرم بركته ولم ينتفع به كثير أحد، ومن تعلمه للدين بورك في علمه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه.
- مثل من يطلب الحديث ولا يتفقه مثل الصيدلاني يجمع الأدوية ولا يدري لأي داء هي حتى يجيء الطبيب، هكذا طالب الحديث لا يعرف وجه حديثه حتى يجيء الفقيه.

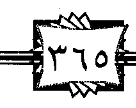
ولما ذكر أبو يوسف لأبي حنيفة علقمة والأسود أيهما أفضل؟ قال: والله ما قدري أن أذكرهما إلا بالدعاء والاستغفار إجلالاً لهما، فكيف أفضل بينهما.

قال الحماني :سمعت أبي يقول: رأيت في النوم كأن ثلاثة نجوم سقطت. فمات أبو حنيفة ثم مسعر ثم سفيان رحمهم الله تعالى، فذكر ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى وقال : العلماء نجوم الأرض.

وقال روح بن عبادة : كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة وأتاه موت أبي حنيفة فاسترجع وتوجع وقال: أي علم ذهب.

ولما بلغ شعبة موته ـ رحمه الله تعالى ـ استرجع وقال: طفئ عن الكوفة نور العلم، أما إنهم لا يرون مثله أبداً.

وقال مليح بن وكيع: كان ـ والله ـ أبو حنيفة عظيم الأمانة، وكان ـ



والله ـ جليلاً كبيراً عظيماً ، وكان يؤثر رضا ربه على كل شيء، ولو أخذته السيوف في الله لاحتمل ـ رضي الله عنه رضا الأبرار فقد كان منهم ـ.

روي أن المنصور سقاه السُّمَّ فمات شهيداً ـ رحمه الله ـ.

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠-٤٠٣ رقم ١٦٣).

٢- وفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥-٤١٥ رقم ٧٦٥).

٣- تهذيب الكمال (٢٩/ ٤١٧-٤٤٥ رقم ٦٤٣٩).

٤- تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢٩- ٢٣٠).

٥- المنتظم (٨/ ١٢٨-١٤٤ رقم ٨٠٥).

٦- شذرات الذهب (٢/ ٢٢٩-٢٣٢).

٧- البداية والنهاية (١٠/ ١١٥-١١٦).

٨- الطبقات الكبرى (٧/ ٢٣٣ رقم ٣٤٥٣).

٩- أبو حنيفة النعمان لوهبي سليمان غاوجي.

٣٤ ـ زين العابدين ومنار القانتين

هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب السيد الإمام زين العابدين الهاشمي العلوي المدني، يكنى أبا الحسين ويقال أبو الحسن ويقال أبو محمد وأبو عبد الله، وأمه أم ولد اسمها سلاّمة سُلافة بنت ملك الفرس يزدجرد، وقيل: غزالة.

كان مع أبيه الحسين الشهيد يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوكاً فلم يقاتل ولا تعرضوا له بل أحضروه مع آله إلى دمشق فأكرمه يزيد ورده مع آله إلى المدينة. وعلي هذا هو الأصغر وله أخ أكبر منه اسمه عليّ أيضاً، ولكن هذا قتل مع أبيه في كائنة كربلاء.

قال ابن سعد : هو عليٌّ الأصغر، وأما أخوه عليٌّ الأكبر فقتل مع أبيه بكربلاء.

وكان علي بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً.

قال الزهري : ما رأيت قرشيًّا أفضل من علي بن الحسين.

وقال أيضا : كان علي بن الحسين من أفضل أهل بيته وأحسنهم طاعة وأحبهم إلى مروان وإلى عبد الملك.

وقال أيضا : ما كان أكثر مجالستي مع علي بن الحسين، وما رأيت أحداً كان أفقه منه، ولكنه كان قليل الحديث.

وعن مالك قال: لم يكن في أهل البيت مثله، وهو ابن أمة.



كـان علـي بـن حسـين مـع أبـيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة، وكان مريضـاً نائمـاً علـى فراشـه فلما قتل الحسين ـ رضي الله عنه ـ قال شمر بن ذي الجوشـن: اقـتلوا هذا. فقال لـه رجل من أصحابه : سبحان الله ! أنقتل فتـى حَـدَثاً مريضـاً لم يقاتـل؟ وجـاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهؤلاء النسوة ولا لهذا المريض.

قـال علـي بـن الحسـين : فغيـبني رجـل مـنهم وأكـرم نزلي واختصني وجعـل يبكـي كلمـا خـرج ودخـل حتى كنت أقول : إن يكن عند أحد من الـناس خير ووفاء فعند هذا إلى أن نادى منادي ابن زياد: ألا من وجد عليَّ ابـن حسـين فلـيأت بـه فقد جعلنا فيه ثلاثمائة درهم. قال: فدخل ـ والله ـ علـيَّ وهـو يبكى وجعل يربط يدي إلى عنقي وهو يقول : أخاف. فأخرجني والله إلـيهم مـربوطاً حتى دفعني إليهم وأخذ ثلاثمائة درهم وأنا أنظر إليها، فأخـذت وأدخلـت علـى ابـن زيـاد، فقـال : مـا اسمـك؟ فقلت: علي بن حسـين. قال: أو لم يقتل الله عليًّا؟ قال قلت: كان لي أخ يقال لـه عليّ أكبر مـني قـتله الـناس. قـال: بـل الله قتله. قلت: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فأمـر بقتله فصاحت زينب بنت علي: يا ابن زياد حسبك من دمائنا، أسألك بـالله إن قتلـته إلا قتلـتني معه. فتركه. فلما أُتي يزيد بن معاوية بثقل الحسين ومـن بقي من أهله فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام فقال: إن سباءهم لـنا حـلال. فقـال علـي بـن حسين: كذبت ولؤمت ما ذاك إلا أن تخرج من ملتنا وتأتي بغير ديننا. فأطرق يزيد مليًّا ثم قال للشامي: اجلس. وقال لعلي

بن حسين: إن أحببت أن تقيم عندنا فنصل رحمك ونعرف لك حقك فعلت، وإن أحببت أن أردك إلى بلادك وأصلك. قال: بل تردني إلى بلادي. فرده إلى بلاده ووصله.

وروى أهل السير والتاريخ أن يزدجرد كان آخر ملوك الفرس وكان له ثلاث بنات وقعن في السبي في زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ فكانت واحدة منهن لعبد الله بن عمر فأولدها سالماً، والثانية لمحمد بن أبي بكر فأولدها القاسم، والثالثة للحسين بن علي فأولدها عليًّا زين العابدين هذا. فسالم والقاسم وعلي كلهم بنو خالة.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه: ما رأيت فيهم مثل علي ابن الحسين قط.

وقال عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه: ما رأيت هاشميًّا أفضل من على بن الحسين.

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري قال: سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته.

وقال العجلي: علي بن الحسين مدني تابعي ثقة.

وعن صالح بن حسان قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحدًا أورع من فلان. قال: هل رأيت عليَّ بن الحسين ؟ قال: لا. قال: ما رأيت أورع منه.

وعن جويرية بن أسماء : ما أكل عليٌّ بن الحسين بقرابته من



رسول الله ﷺ درهماً قط.

وعن عبد الله بن أبي سليمان: كان علي بن الحسين إذا مشي لا تجاوز يده فخذيه ولا يخطر بيده.

وقال: وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْدةٌ فقيل له: ما لك؟ فقال: ما تدرون بين يدي من أقوم ومن أناجي.

وعن عبد الرحمن بن حفص القرشي: كان علي بن الحسين إذا توضأ اصفر فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟!

وعن سفيان بن عيينة قال: حج عليّ بن الحسين فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرَّ لونه وانتفض ووقع عليه الرِّعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له: مالك لا تلبي؟ فقال: أخشى أن أقول: لبيك، فيقول، لي: لا لبيك. فقيل له: لا بد من هذا. فلما لبَّى غُشِيَ عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه.

وعن أبي حمزة الثُّماليِّ أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب.

وعن محمد بن إسحاق قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات عليٌّ بن الحسين فقدوا ما كانوا يُؤْتون به بالليل.

وعـن عمـرو بـن ثابـت قـال: لما مـات علي بن الحسين وجدوا بظهره أثراً فسألوا عنه فقالوا: هذا مما كان ينقل الجُرْبَ بالليل على ظهره إلى منازل الأرامل.

وعـن ابـن عائشـة عن أبيه عن عمه : قال أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرِّ حتى مات علي بن الحسين.

وعـن إبـراهيم بـن سـعد سمـع علـي بـن الحسـين واعية في بيته (أي صـائحة صـارخة) وعـنده جماعة، فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه، فقيل لــه : أمـرٌ حدث؟ قال: نعم. فعزوه وتعجبوا من صبره، فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب، ونحمده فيما نكره.

وعـن عبد الغفار بن القاسم: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقـيه رجـل فسـبه فثار إليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الـرجل. ثـم أقـبل علـيه، فقال: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعيـنك علـيها؟ فاسـتحى الـرجل ورجـع إلى نفسه، قال: فألقى عليه خميصة كانـت علـيه وأمـر لــه بألـف درهـم، وقال: وكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد المرسلين.

وعـن أبـي يعقوب المدني قال: كان بين حسن بن حسن وبين علي بن حسـين بعـض الأمر قال: فجاء حسن بن حسن إلى علي بن حسين وهو مع أصـحابه في المسـجد، فمـا تـرك أمـراً إلا قالـه لــه، قـال: وعلـيٌّ سـاكت، فانصـرف حسـن، فلمـا كـان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه بابه فخرج إليه فقـال لــه علـيّ: يـا أخـي إن كـنتَ صادِقاً فيما قلتَ لي فغفر الله لي، وإن

كـنتَ كاذبـاً فغفر الله لك، السلام عليكم. وولّى. قال: فاتبعه حسن فلحقه فالتـزمه مـن خلفـه وبكـى حتى رثى لـه، ثم قال: لا جرم لا نُحدّث في أمر تكرهه، فقال عليّ : وأنت في حِلٍّ مما قلت لي.

وعـن جعفر بن محمد: سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه، فقال: لا تلوموني، فإن يعقوب فقد سبطاً من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنـه مـات، ونظـرت أنـا إلى أربعـة عشـر رجـلاً من أهل بيتي ذبحوا في غداة واحدة فترون حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟!

وقـال الـذهبي في (السير): وكـان لـه جلالـة عجيبة، وحُقَّ لـه والله ذلـك، فقـد كان أهلاً للإمامة العظمى لشرفه وسؤدده وعلمه وتألهه وكمال عقله. قد اشتهرت قصيدة الفرزدق ـ وهي سماعنا ـ أن هشام بن عبد الملك حـجَّ قبيل ولايـته للخلافـة، فكان إذا أراد استلام الحجر زُحِمَ عليه، وإذا دنـا عليٌّ بـن الحسين مـن الحجـر تفرقوا عنه إجلالاً لـه، فوجم لها هشام، وقال: من هذا؟ فما أعرفه، فأنشأ الفرزدق يقول:

هـذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبـيت يعـرفه والحـلُّ والحـرمُ
هـذا ابـن خـير عـباد الله كلـهم ... هـذا التقـيُّ النقـيُّ الطاهـر العلمُ
إذا رأتــه قــريش قــال قائلــها ... إلى مكــارم هــذا ينتهـي الكـرمُ
يكــاد يمســكه عــرفان راحــته ... رُكـن الحطـيم إذا مـا جـاء يستلم
يغضـي حـياءً ويغضي من مهابته ... فمــا يكلــم إلا حــين يبتســم
هـذا ابـن فاطمـة إن كنت جاهله ... بجــدِّه أنبــياءُ الله قــد خــتموا

وهي قصيدة طويلة. قال: فأمر هشام بحبس الفرزدق، فحبس بعسفان.

وبعث إليه عليٌّ بن الحسين باثني عشر ألف درهم، وقال: اعْذِرْ أبا فراس. فردَّها وقال: ما قلت ذلك إلا غضبًا لله ولرسوله. فردَّها إليه، وقال: بحقي عليك لما قبلتها، فقد علم الله نيتك ورأى مكانك. فقبلها.

وذكر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» عن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين قوم فاستعجل خادمًا له بشواء كان له في التنور، فأقبل به الخادم مسرعًا وسقط السفود من يده على بُنيٍّ لعلي أسفل الدرجة، فأصاب رأسه فقتله، فقال علي للغلام: أنت حر، لم تعمده، وأخذ في جهاز ابنه.

وكان زين العابدين كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها.

وعن عمرو بن دينار قال: دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة ابن زيد في مرضه، فجعل يبكي فقال: ما شأنك؟ قال: عليّ دين. قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار أو بضعة عشر ألف دينار قال علي بن الحسين: فهى عليَّ.

وقال علي بن الحسين: إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة، قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل.

وعن سفيان قال: أراد علي بن الحسين الخروج في حج أو عمرة فاتخذت له سكينة بنت الحسين سفرة أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك، وأرسلت



بها إليه، فلما كان بظهر الحرة أمر بها، فقسمت على المساكين.

وقال شيبة بن نعامة : لما مات عليٌّ وجدوه يعول مئة أهل بيت.

قال الذهبي في (السير): لهذا كان يُبَخَّلِ، فإنه ينفق سرًّا ويظن أهله أنه يجمع الدراهم.

عن المقبري قال: بعث المختار إلى علي بن الحسين بمئة ألف فكره أن يقبلها، وخاف أن يردها، فاحتبسها عنده، فلما قتل المختار بعث يخبر بها عبد الملك وقال: ابعث من يقبضها. فأرسل إليه عبد الملك: يا ابن العم خذها قد طيبتها لك. فقبلها.

وعن أبي نوح الأنصاري قال: وقع حريق في بيت فيه علي بن الحسين وهو ساجد فجعلوا يقولون: يا ابن رسول الله النار. فما رفع رأسه حتى طفئت. فقيل له في ذلك فقال: ألهتني عنها النار الأخرى.

وعن محمد بن علي بن الحسين قال: جاء رجل إلى أبي، فقال: أخبرني عن أبي بكر: قال: عن الصديق تسأل؟ قال : قلت رحمك الله وتُسمِّيه الصديق؟! قال علي بن الحسين: ثكلتك أمك قد سماه صديقا من هو خير مني ومنك، رسول الله ﷺ والمهاجرون والأنصار، فمن لم يسمه صديقاً فلا صدّق الله قوله في الدنيا ولا في الآخرة، اذهب فأحب أبا بكر وعمر وتولهما، فما كان من أمر ففي عنقي.

وكان علي يقول : يا أيها الناس أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عاراً. وقال في رواية : حتى بغضتمونا إلى الناس.

وقـال أيضـاً: يـا أهـل العـراق أحـبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شيناً.

وعـن هشـام بـن عـروة. كـان علي بن الحسين يخرج على راحلته إلى مكة ويـرجع لا يقـرعها، وكـان يجـالس أسـلم مولى عمر، فقال لـه رجل من قريش: تدع قريشا وتجالس عبد بني عدي؟! فقال عليٌّ: إنما يَجْلِسُ الرجلُ حيث ينتفع.

وعن عبد الرحمن بن أردك: كان علي بن الحسين يدخل المسجد فيشق الـناس حتـى يجلـس مـع زيد بن أسلم في حلقته، فقال لـه نافع بن جبير بن مطعـم: غفـر الله لـك، أنـت سـيد الـناس تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد. فقال علي بن الحسين: العلم يُبتغى ويؤتى ويطلب من حيث كان.

وقـال نافـع بـن جبير لعلي بن الحسين: إنك تجالس أقواماً دوناً. فقال لـه علي بن الحسين: إني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني.

وعـن أبي جعفر أن أباه عليّ بن حسين قاسم الله ما لـه مرتين، وقال: إن الله يحب المؤمن المذنب التوّاب.

ومن أقواله وحكمه ومواعظه :

- من قنع بما قسم الله لـه فهو من أغنى الناس.
- إن صدقة السر تطفئ غضب الرب ـ عز وجل ـ.
- لا يقـولن أحـدكم: اللـهم تصـدق علـيَّ بالجـنة، فإنما يتصدق أصحاب الذنوب، ولكن ليقولن اللهم ارزقني الجنة، اللهم منّ عليَّ بالجنة.
- عجـبت للمتكـبر الفخـور الـذي كـان بالأمس نطفة، ثم هو غداً جيفة،



وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء.

- العلم يُبتغى ويُوتَى ويُطلب من حيث كان.
- من ضحك ضحكة مجّ مجة من علم.
- إن الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر.
- اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي، وتقبح في خفيات العيون سريرتي، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ فإذا عُدْتُ فَعُد عليّ.
- اللهم لا تكلني إلى نفسي فأعجز عنها ولا تكلني إلى المخلوقين فيضيعوني.

وعن طاوس قال: سمعت عليَّ بن الحسين وهو ساجد في الحجر يقول: عُبَيْدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك. قال: فوالله ما دعوت بها في كرب قط إلاَّ كُشِفَ عنِّي.

وكان ـ رحمه الله ـ إذا أتاه السائل رحَّب به وقال له: مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة.

وكان لا يدع صلاة الليل في الحضر والسفر، ولا يحب أن يعينه أحد على طهوره.

وكان ـ رحمه الله ـ يسمى زين العابدين لعبادته.

وتوفي بالمدينة سنة أربع وثمانين، وروي ذلك عن جعفر الصادق،



وقيل سنة اثنتين وسنة ثلاث وقيل سنة خمس وتسعين، والأول الصحيح.

وقال أبو جعفر الباقر: عاش أبي ثمانيا وخمسين سنة.

وقبره بالبقيع، ولا بقية للحسين بن علي إلا من قبل ابنه زين العابدين - رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم -.

ورحم الله أبا نعيم القائل فيه: فمن هذه الطبقة علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله - تعالى عنهم - زين العابدين ومنار القانتين، كان عابداً وفيًّا وجوادًا حفيًّا.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٣/ ١٥٧-١٦٩ رقم ٢٢٩).
٢- السير (٤/ ٣٨٦-٤٠٠ رقم ١٥٧).
٣- الطبقات الكبرى (٥/ ١٦٢-١٧٢ رقم ٧٥٥).
٤- تهذيب الكمال (٢٠/ ٣٨٢-٤٠٤ رقم ٤٠٥٠).
٥- وفيات الأعيان (٣/ ٢٦٦-٢٦٩ رقم ٤٢٢).
٦- صفة الصفوة (٢/ ٤٤٧-٤٥٢ رقم ١٦٥).
٧- شذرات الذهب (١/ ٣٧٤-٣٧٦)
٨- تهذيب التهذيب (٣/ ١٥٤-١٥٥).
٩- البداية والنهاية (٩/ ١١٠-١٢٢).

٣٥ ـ سالم بن عبد الله بن عمر
أفضـل أهل زمـانـه

سـالم بـن عـبد الله بـن عمـر بـن الخطـاب الإمام الزاهد الحافظ مفتي المديـنة، أبـو عمـر وأبـو عـبد الله القرشـي العـدوي المدنـي وأمه بنت ملك الفـرس يزدجـرد خالـة زيـن العابـدين، كانـت في السـبي فصارت لعبد الله فأولدها سالماً.

عـن ابن المسيب قال: قال لي ابن عمر : أتدري لِمَ سميت ابني سالماً؟ قلت : لا. قال: باسم سالم مولى أبي حذيفة ـ يعني أحد السابقين.

فقـال مالـك : لم يكـن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الـزهد والفضـل والعـيش مـنه، كـان يلـبس الـثوب بدرهمين، ويشتري الشّمال ليحملها (وهي عبارة عن كساء دون القطيفة يشتمل به مفردها شملة).

قال العجلي : سالم بن عبد الله تابعي ثقة.

وقـال ابـن سـعد في (الطبقات): كان سالم ثقة، كثير الحديث عالياً من الرجال ورعاً.

وقـال ابـن كثير في (البداية) : أحد الفقهاء وأحد العلماء، وله روايات عن أبـيه وغـيره، وكـان مـن العباد الزهاد.. وكان سالم خشن العيش، يلبس الصوف الخشـن، وكـان يعـالج بيده أرضاً لـه وغيرها من الأعمال، ولا يقبل من الخلفاء، وكان متواضعاً، وكان شديد الأدمة وله من الزهد والورع شيء كثير.



وقال ابن الجوزي في (المنتظم) : وكان فقيهاً عابداً جواداً صالحاً، وكان أشبه أولاد أبيه به، وكان أبوه شديد المحبة له، فإذا ليم على ذلك أنشد:

يلومونني في سالم وألومهم   وجلدة بين العين والأنف سالم

فهو أحد فقهاء المدينة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم.

وقال ابن حبان في (الثقات) : كان يشبه أباه في السمت والهدي.

وقال سليمان بن عبد الملك لسالم ـ ورآه حسن السحنة ـ : أي شيء تأكل ؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته فقيل له: أو تشتهيه؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه.

وعن ميمون بن مهران قال: دخلت على ابن عمر، فقومت كلَّ شيء في بيته فما وجدته يساوي مئة درهم، قال: ثم دخلت مرة أخرى فما وجدت ما يسوى ثمن طيلسان، قال: ودخلت على سالم من بعده، فوجدته على مثل حالة أبيه.

وعن عبد الله بن المبارك قال: كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت قال: وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً، فنظروا فيها ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم فينظرون فيها فيصدرون.

وعن يزيد بن رومان عن سالم بن عبد الله أنه كان يخرج إلى السوق في



حـوائج نفسه قال: واشترى سالم شملة، فانتهى بها إلى المسجد فرمى بها إلى عـبد الملـك بـن عمر بن عبد العزيز فحبسها عنده ساعة، ثم قال: ألا تبعث مـن يحملها لك؟ فقال: بل أنا أحملها. قال: وحدثني مالك قال: كان عبد الله ابـن عمـر يخـرج إلى السـوق فيشتري، وكان سالم دهره يشتري في الأسواق، وكان من أفضل أهل زمانه.

وعـن يحيـى بـن بكـير قـال: قدم جماعة من المصريين المدينة فأتوا باب سـالم بـن عـبد الله، فسـمعوا رغاء بعير فبينما هم كذلك خرج عليهم رجل آدم شـديد الأدمـة متزر بكساء صوف إلى تَنْدُوَتِه، فقالوا لـه: مولاك داخل؟ فقـال: من تريدون؟ قالوا: سالم بن عبد الله. قال ابن بكير: فلما كلمهم جاء شـيء غَيَّـر المنظر. قال: من أردتم؟ قالوا: سالم قال: ها أنا ذا، فما جاء بكم؟ قالـوا : أردنـا أن نسـائلك. قال: سلوا عمَّا شئتم. وجلس ويده مُلَطَّخ بالدم والقَيْحِ الذي أصابه من البعير، فسألوه.

وعـن العتبي عن أبيه قال: دخل سالم بن عبد الله على سليمان بن عبد الملـك وعلى سالم ثياب غليظة رثة فلم يزل سليمان يرحب به، ويرفعه حتى أقعـده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال لـه رجل من أُخـريات الـناس: أمـا اسـتطاع خالك أن يلبس ثياباً فاخرة أحسن من هذه، ويـدخل فـيها على أمير المؤمنين؟! قال : وعلى المتكلِّم ثياب سرية لها قيمة، فقـال لــه عمـر : مـا رأيـت هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك هذا، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك.

وذكـر الـذهبي في «السـير»: وقـيل: كان سالم يركب حماراً عتيقاً زريـًّا، فعمـد أولاده فقطعـوا ذنـبه حتـى لا يعـود يـركبه سالم، فركب وهو أقطش الـذنب، فعمـدوا إلـيه فقطعـوا أذنـه، فركبه ولم يغيره ذلك، ثم جدعوا أذنه الأخرى، وهو مع ذلك يركبه تواضعاً واطِّراحا للتكلف.

وعـن موسـى بـن عقـبة أنـه رأى سالم بن عبد الله بن عمر لا يمر بقبر بلـيل ولا نهـار إلا سـلَّم علـيه، يقـول: السـلام عليكم. فقلت لـه في ذلك، فأخبرني عن أبيه أنه كان يقول ذلك.

وعـن عكرمة بن عمار قال: سمعت سالماً يلعن القدرية الذين يكذبون بالقدر حتى يؤمنوا بخيره وشره.

وعـن عطـاء بـن السـائب قال: دفع الحجاج إلى سالم بن عبد الله سيفاً وأمره بقتل رجل، فقال سالم للرجل: أمسلم أنت؟ قال نعم، امض لما أمرت بـه. قـال: فصـليت الـيوم صـلاة الصبح؟ قال: نعم قال: فرجع إلى الحجاج فرمـى إلـيه السـيف وقـال : إنه ذكر أنه مسلم، وأنه قد صلى صلاة الصبح فهـو في ذمـة الله، وأن رسـول الله ﷺ قال: «**من صلى صلاة الصبح فهو في ذمـة الله**» قـال الحجاج: لسنا نقتله على صلاة الصبح، ولكنه ممن أعان على قـتل عـثمان. فقال سالم: ها هنا من هو أولى بعثمان مني. فبلغ ذلك عبد الله ابـن عمـر فقـال: مـا صـنع سـالم؟ قالـوا: صنع كذا وكذا. فقال ابن عمر : مكيس مكيس.

ومن أقواله ومواعظه وحكمه:

- إياكم ومداومة اللحم، فإن لـه ضراوة كضراوة الشراب.
- يـا عمـر (أى ابـن عـبد العزيـز) اذكـر الملـوك الذين تفقأت أعينهم التي كانـت لا تنقضي لذتهم بها، وتفقأت بطونهم التيِ كانوا لا يشبعون بها، وصـاروا جـيفًا في الأرض تحـت آكامهـا، لو كانت إلى جنب مساكن لنا لتأذينا بريحهم.

وعن أشعب بن أم حميد قال: أتيت سالم بن عبد الله وهو يقسم صدقة عمـر، فسـألته فأشـرف علـى خـوخة فقال: ويحك يا أشعب لا تسأل. وفى رواية: لا تسأل أحدًا غير الله.

وعـن أبـى عـبد الملـك مروان بن حبر البزاز قال : جاءنا سالم بن عبد الله يطلـب ثـوبًا سباعيًّا فنشرت عليه ثوباً فإذا هو أقل من سبعٍ فقال: أليس قالت لى سباعى؟ فقلت: كذلك نسميها. فقال : كذلك يكون الكذب.

ولـما دخـل هشام بن عبد الملك الكعبة فإذا هو بسالم بن عبد الله فقال لــه: يـا سـالم سلني حاجة، فقال لـه: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غـيره. فلما خرج خرج في أثره فقال لـه: الآن قد خرجت فسلني حاجة، فقـال لــه سـالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا. فقال لـه : ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها.

قـال أبـو ضـمرة الليثي : حج هشام بن عبد الملك فجاءه سالم بن عبد الله، فأعجبـته سـحنته فقال: أي شيء تأكل؟ قال : الخبز والزيت. قال: فإذا لم تشـتهه؟ قـال: أخمره حتى أشتهيه. فعانه هشام (أي حسده وأصابه بالعين)

فمرض ومات، فشهده هشام (أي شهد جنازته وقيل: إنه صلى عليه) وأجفل الناس في جنازته، فرآهم هشام، فقال: إن أهل المدينة لكثير. فضرب عليهم بعثاً أخرج فيه جماعة منهم فلم يرجع منهم أحد، فتشاءم به أهل المدينة، فقالوا: عان فقيهنا وعان أهل بلدنا. مات سنة ستٍّ ومائة.

وعن أبي سعد قال: كان سالم غليظاً كأنه حمَّال، وقيل: كان على سمت أبيه في عدم الرفاهية. فرحمه الله رحمة واسعة.

ورحم الله أبا نعيم إذ قال فيه: ومنهم الفقيه المتخشع الرهاب، أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، كان لله خاشعاً في نفسه خاضعاً، وبما يدفع به وقته قانعاً.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٢١-٢٢٦ رقم ١٧٧).
٢- السير (٤/ ٤٥٧-٤٦٦ رقم ١٧٦).
٣- تهذيب الكمال (١٠/ ١٤٥-١٥٤ رقم ٢١٤٩).
٤- الطبقات الكبرى (٥/ ١٤٩-١٥٤ رقم ٧٤١).
٥- المنتظم (٧/ ١١٣-١١٥ رقم ٥٨٣).
٦- صفة الصفوة (٢/ ٤٤٥-٤٤٧ رقم ١٦٣).
٧- وفيات الأعيان (٢/ ٣٤٩-٣٥٠ رقم ٢٥٢).
٨- تهذيب التهذيب (١/ ٦٧٦-٦٧٧).
٩- البداية والنهاية (٩/ ٢٤١).

٣٦ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر
الـــورع الشفيـــق

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق الإمام القدوة الحافظ الحجة، عالم وقته بالمدينة مع سالم وعكرمة مع سالم وعكرمة، أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي التيمي البكري المدني.

ولد في خلافة علي بن أبي طالب، وقتل أبوه محمد وهو صغير فتربى القاسم في حجر عمته عائشة أم المؤمنين وتفقه منها وأكثر عنها.

وأمه بنت آخر ملوك الفرس يزدجرد يقال لها سودة فهو ابن خالة سالم بن عبد الله وابن خالة زين العابدين علي بن الحسين.

وقال ابن أبي الزناد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد حتى نشأ فيهم الغر السادة : علي بن الحسين، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، ففاقوا أهل المدينة علماً وتقىً وعبادة وورعًا، فرغب الناس حينئذ في السراري.

قال ابن المبارك : كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة: ابن المسيب، وسليمان بن يسار، وسالم، والقاسم، وعروة، وعبيد الله بن عبد الله، وخارجة بن زيد. وكانوا إذا جاءتهم مسألة دخلوا فيها جميعًا فنظروا فيها، ولا يقضي القاضي حتى يرفع إليهم، فينظرون فيها فيصدرون.

قال ابن سعد في الطبقات : أمه أم ولد يقال لها سودة، وكان ثقة عالمًا

رفيعًا فقيهًا إمامًا ورعًا كثير الحديث.

وعن يحيى بن سعيد قال: ما أدركنا بالمدينة أحدًا نفضله على القاسم.

وعن أيوب، وذكر القاسم فقال: ما رأيت رجلاً أفضل منه، ولقد ترك مئة ألف وهي له حلال.

وعن البخاري، حدثنا علي، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الرحمن بن القاسم وكان أفضل أهل زمانه، أنه سمع أباه، وكان أفضل أهل زمانه يقول: سمعت عائشة تقول : طيبت رسول الله ﷺ .. الحديث.

وروى عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحدًا أعلم بالسنة من القاسم بن محمد، وما كان الرجل يعد رجلاً حتى يعرف السنة، وما رأيت أحدً ذهنًا من القاسم، إن كان ليضحك من أصحاب الشبه كما يضحك الفتى.

وعن ابن عيينة قال: أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة: القاسم وعروة وعمرة.

وقال يحيى بن معين: عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة ترجمة مشبكة بالذهب.

قال مصعب الزبيرى: القاسم من خيار التابعين.

وقال العجلي: كان من خيار التابعين وفقهائهم.

وقال: مدني تابعي ثقة، نزِهٌ، رجل صالح.

قال ابن وهب: ذكر مالك القاسم بن محمد فقال: كان من فقهاء هذه الأمة، ثم حدثني مالك أن ابن سيرين كان قد ثقل وتخلف عن الحج، فكان

يأمر من يحج أن ينظر إلى هدي القاسم ولُبوسه وناحيته، فيبلغونه ذلك، فيقتدي بالقاسم.

وعن ابن إسحاق قال: رأيت القاسم بن محمد يصلي فجاء أعرابي فقال: أيما أعلم أنت أم سالم؟ فقال: سبحان الله ! كلٌّ سيخبرك بما علم، فقال: أيكما أعلم؟ قال: سبحان الله! فأعاد، فقال: ذاك سالم، انطلق فَسَلْهُ، فقام عنه. قال ابن إسحاق: كره أن يقول: أنا أعلم، فيكون تزكية، وكره أن يقول: سالم أعلم مني فيكذب، وكان القاسم أعلمهما.

وعن محمد بن خالد بن الزبير قال: كنت عند عبد الله بن الزبير، فاستأذن القاسم بن محمد، فقال ابن الزبير: ائذن له، فلما دخل عليه قال له: مَهْيم؟ (أي ما حالك وما شأنك؟) قال: مات فلان. فذكر قصته، قال: فولَّى، فنظر إليه ابن الزبير وقال: ما رأيت أبا بكر ولد ولدًا أشبه به من هذا الفتى.

وعن القاسم قال: كانت عائشة قد استقلت بالفتوى في خلافة أبي بكر وعمر، وإلى أن ماتت، وكنت ملازمًا لها مع ترهاتي، وكنت أجالس البحر ابن عباس، وقد جلست مع أبي هريرة وابن عمر فأكثرت. فكان هناك - يعني ابن عمر - وَرَعٌ وعلمٌ، جمٌّ ووقوف عمَّا لا علم له به.

وحدَّث الحميدي عن سفيان قال: اجتمعوا إلى القاسم بن محمد في صدقة قسمها. قال: وهو يصلي فجعلوا يتكلمون، فقال ابنه: إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهما ولا دانقًا. قال: فأوجز القاسم ثم قال: يا بني قل فيما علمت. قال سفيان: صدق ابنه، ولكنه أراد تأديبه في النطق وحفظه.



وعن أيوب قال: رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيء من زعفران، ويدع مائة ألف لم يتلجلج في نفسه شيء منها.

عن أبي الزناد: ما رأيت فقيهًا أعلم منه.

وقال ابن عيينة : كان القاسم أفضل أهل زمانه.

وعن عمر بن عبد العزيز قال: لو كان أمر الخلافة إليّ لما عدلت عن القاسم. أي وذلك لأن سليمان بن عبد الملك عهد إلى عمر بالخلافة وليزيد ابن عبد الملك من بعد عمر.

وكان القاسم ـ رحمه الله ـ أحد الفقهاء المشهورين، له روايات كثيرة عن الصحابة وغيرهم، وكان من أفضل أهل المدينة وأعلم أهل زمانه.

وقال ابن حبان في ثقات التابعين : كان من سادات التابعين من أفضل أهل زمانه علمًا وأدبًا وفقهًا، وكان صموتًا، فلما ولي عمر بن عبد العزيز قال أهل المدينة : اليوم تنطق العذراء، أرادوا القاسم.

قال مالك: كان قليل الحديث والفتيا.

وقال ابن عون : كان القاسم وابن سيرين ورجاء بن حيوة يحدثون بالحديث على حروفه.

وعن أبي الزناد عن أبيه قال: ما كان القاسم يجيب إلا في الشيء الظاهر.

وقال ابن وهب: حدثني مالك أن القاسم بن محمد كان يكون بينه وبين الرجل المداراة في الشيء فيقول له القاسم : هذا الذي تريد أن تخاصمني فيه هو لك، فإن كان حقًّا فهو لك، فخذه ولا تحمدني فيه. وإن



كان لي فأنت منه في حلٍّ، وهو لك.

وقال يحيى بن سعيد : كان القاسم لا يكاد يعيب على أحد فتكلم ربيعة يومًا فأكثر، فلما قام القاسم، قال وهو متكئ عليَّ: لا أبا لغيرك، أتراهم كانوا غافلين عمَّا يقول صاحبنا ـ يعني عما يقول ربيعة برأيه ـ.

وقال عبيد الله بن عمر: كان القاسم لا يفسر القرآن.

وقال عكرمة بن عمار : كان القاسم وسالمًا يلعنان القدرية.

وعن سليمان بن قَتَّة قال: أرسلني عمر بن عبيد الله التيمي إلى القاسم بخمس مئة دينار، فأبى أن يقبلها.

ومن أقواله وحكمه ومواعظه:

- إن من إكرام المرء نفسه أن لا يقول إلا ما أحاط به علمه.
- لأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله عليه خيرٌ له من أن يقول ما لا يعلم.
- قد جعل الله في الصديق البار المقبل عوضًا من ذي الرحم العاق المدبر.
- إن من مضى من سلفنا كانوا يحبون استقبال المصائب بالتجمل ومواجهة النعم بالتذلل.

عاش القاسم بن محمد حياة طيبة في ظل طاعة الله ـ عز وجل ـ وتجاوز السبعين، وقد ذهب بصره ومات بعد أن فقد بصره بثلاث سنوات بالقديد بين مكة والمدينة وكان حاجًّا أو معتمراً فقال لابنه: شن عليَّ التراب شنًّا، وسوِّ عليَّ قبري والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان.

وقال: كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، قميصي وإزاري وردائي، هكذا كُفِّن أبو بكر في ثلاثة أثواب، والحي أحوج إلى الجديد من الميت.

وأوصى أن لا يبنى على قبره ومات سنة ثمان ومائة وقيل سبع ومائة - رحمه الله رحمة واسعة -.

ورحم الله أبا نعيم إذ قال فيه: ومنهم الفقيه الورع الشفيق، الضرع نجل الصديق، ذو الحسب العتيق، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان لغوامض الأحكام فائقاً، وإلى محاسن الأخلاق سابقاً.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٠٩-٢١٣ رقم ١٧٢).
٢- السير (٥/ ٥٣-٦٠ رقم ١٨).
٣- تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٢٧-٤٣٥ رقم ٤٨١٩).
٤- الطبقات الكبرى (٥/ ١٤٢-١٤٨ رقم ٧٣٧).
٥- وفيات الأعيان (٤/ ٥٩-٦٠ رقم ٥٣٣).
٦- المنتظم (٧/ ١٢٣-١٢٤ رقم ٥٩٤).
٧- صفة الصفوة (٢/ ٤٤٣-٤٤٥ رقم ١٦٢).
٨- شذرات الذهب (٢/ ٤٤).
٩- تهذيب التهذيب (٣/ ٤١٩-٤٢٠).
١٠- البداية والنهاية (٩/ ٢٥٦).

٣٧ ـ رجاء بن حَيْوة
سيد أهل الشام

هو رجاء بن حيوة بن جرول، وقيل: ابن جزل، وقيل: ابن جندل، الإمام القدوة الوزير العادل أبو نصر الكندي الأزدي، ويقال: الفلسطيني، الفقيه، من جِلَّةِ التابعين ولجدهِّ جرول بن الأحنف صحبة فيما قيل.

حدَّث عن معاذ بن جبل وأبي الدرداء وعبادة بن الصامت.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وأبي سعيد الخدري وجابر وأبي أمامة الباهلي وغيرهم.

وقال ابن سعد : كان ثقة عالماً فاضلاً كثير العلم.

وقال النسائي وغيره: ثقة .

وعن مطر الوراق قال: ما رأيت شاميًّا أفضل من رجاء بن حيوة.

وقال ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة قال نعيم بن سلامة : ما من رجل من أهل الشام أحبُّ إليَّ أن أقتدي به من رجاء بن حيوة.

وكان عبد الله بن عون إذا ذكر من يعجبه ذكر رجاء بن حيوة.

وعنه قال: رأيت ثلاثة ما رأيت مثلهم كأنهم التقوا فتواصوا: محمد ابن سيرين بالعراق، والقاسم بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام.

وعن موسى بن يسار: كان رجاء بن حيوة وعدي بن عدي ومكحول في المسجد، فسأل رجل مكحولاً مسألةً، فقال مكحول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة.

وقال ابن حبان في (الثقات): كان من عُبَّاد أهل الشام وفقهائهم وزهادهم.

وقال مكحول: ما زلت مضطلعاً على من ناوأني حتى عاونهم عليَّ رجاء بن حيوة، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم.

وقال الذهبي في (السير) معقباً على هذا القول : كان ما بينهما فاسداً، وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض، ومكحول ورجاء إمامان، فلا يلتفت إلى قول أحد منهما في الآخر.

وعن ابن عون قال: كان رجاء بن حيوة يحدث بالحديث على حروفه.

وقال عبيد بن السائب : أنبأ أبي قال: ما رأيت أحداً أحسن اعتدالاً في صلاة من رجاء بن حيوة.

وعن مسلمة بن عبد الملك قال: إن في كندة لثلاثة إن الله لينزل بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء : رجاء بن حيوة، وعُبادة بن نُسيّ، وعَدِيّ بن عدىّ.

وقال مطر الوراق: ما نعلم أحداً جازت شهادته وحده إلا رجاء بن حيوة، يعني: أنه صدّق على عهد عمر بن عبد العزيز وحده.

وقال سُهيل القطعي عن ابن عون: ما أدركت من الناس أحداً أعظم رجاء لأهل الإسلام من القاسم بن محمد ومحمد بن سيرين ورجاء بن حيوة.

قال إبراهيم بن يزيد: قدمت بحلل من عند عروة بن محمد بن عطية السعدي إلى عمر بن عبد العزيز فعزل منها حُلَّة، قال : هذه لخليلي رجاء ابن حيوة.

قال ابن العماد في (الشذرات): وكان شريفاً نبيلاً كامل السؤدد.



وقال ابن كثير في (البداية): وهو تابعي جليل، كبير القدر، ثقة فاضل عادل وزير صدق لخلفاء بني أمية.

فكان يوماً عند عبد الملك بن مروان، وقد ذكر عنده شخص بسوء، فقال عبد الملك: والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به ولأصنعن، فلما أمكنه الله منه هم بإيقاع الفعل به، فقام إليه رجاء بن حيوة وقال: يا أمير المؤمنين قد صنع الله لك ما أحببت فاصنع ما يحب الله من العفو، فعفا عنه وأحسن إليه.

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: كنا مع رجاء بن حيوة فتذاكرنا شكر النعم، فقال: ما أحد يقوم بشكر نعمة، وخلفنا رجل على رأسه كساء فكشف الكساء عن رأسه فقال: ولا أمير المؤمنين؟ قلنا : وما ذِكْر أمير المؤمنين ها هنا؟ إنما أمير المؤمنين رجل من الناس فغفلنا عنه فالتفت رجاء فلم يره، فقال: أتيتم من صاحب الكساء، ولكن إن دُعيتم واستحلفتم فاحلفوا. فما علمنا إلا بحرسي قد أقبل فقال: أجيبوا أمير المؤمنين فأتينا باب هشام، فأذن لرجاء من بيننا فلما دخل عليه قال: هيه يا رجاء يذكر أمير المؤمنين فلا تحتج له؟ قال: فقلت. وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذكرتم شكر النعم فقلتم: ما أحد يقوم بشكر نعمة، قيل لكم: ولا أمير المؤمنين؟ فقلتم : أمير المؤمنين رجل من الناس. فقلت : لم يكن ذلك. قال: آلله؟ قلت : آلله . قال رجاء: فأمر بذلك الساعي فضُرِبَ سبعين سوطاً، وخرجت وهو متلوث في دمه، فقال: هذا وأنت ابن حيوة!! قلت: سبعون سوطاً في ظهرك خير من دم مؤمن. قال ابن جابر: وكان رجاء بن حيوة

بعد ذلك إذا جلس في مجلس التفت فقال: احذروا صاحب الكساء.

وعن رجاء بن حيوة قال: إني لواقف مع سليمان بن عبد الملك وكانت لي منه منزلة، إذ جاء رجل ـ ذكر رجاء بن حيوة من حسن هيئته، قال: فسلم فقال: يا رجاء إنك قد ابتليت بهذا الرجل وفي قربه الوتغ (أي الهلاك) يا رجاء عليك بالمعروف وعون الضعيف، واعلم يا رجاء أنه من كانت له منزلة من السلطان فرفع حاجة إنسان ضعيف وهو يستطيع رفعها لقي الله يوم يلقاه وقد ثبت قدميه للحساب، واعلم يا رجاء أنه من كان في حاجة أخيه المسلم كان الله في حاجته، واعلم يا رجاء أن من أحب الأعمال إلى الله فرحاً أدخلته على مسلم.

فكان ـ رحمه الله ـ وزير صدق وناصحاً أميناً.

فعن سهيل بن أبي سهيل قال: سمعت رجاء بن حيوة يقول: لما كان يوم الجمعة لبس سليمان بن عبد الملك ثياباً خضراً من خز، ونظر في المرآة فقال: أنا والله الملك الشاب، فخرج إلى الصلاة فصلى بالناس الجمعة فلم يرجع حتى وعك، فلما ثقل عهد في كتاب كتبه لبعض بنيه وهو غلام ولم يبلغ، فقلت ما تصنع يا أمير المؤمنين؟ إنه مما يحفظ الخليفة في قبره أن يستخلف على المسلمين الرجل الصالح، فقال سليمان : أنا أستخير الله وأنظر فيه، ولم أعزم عليه. قال: فمكث يوما أو يومين، ثم خرقه فدعاني فقال: ما ترى في داود بن سليمان؟ فقلت: هو غائب عنك بقسطنطينية وأنت لا تدري أحي هو أم ميت! فقال لي : فمن ترى؟ قلت : رأيك

يا أمير المؤمنين، ـ وأنا أريد أنظر من يذكر ـ قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز ؟ فقلت: أعلمه ـ والله ـ خيراً فاضلاً مسلماً. فقال: هو ـ والله ـ على ذلك، ثم قال: والله لئن وليته ولم أوَلّ أحداً سواه لتكونن فتنة، ولا يتركونه أبداً يلي عليهم إلا أن يجعل أحدهم بعده، ويزيد بن عبد الملك غائب على الموسم، قال: فيزيد بن عبد الملك أجعله بعده، فإن ذلك مما يسكنهم ويرضون به، قلت: رأيك. قال : فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم.

وختم الكتاب، وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب شرطة فقال: مُرْ أهل بيتي فليجتمعوا فأرسل كعب إليهم أن يجتمعوا فاجتمعوا، ثم قال سليمان لرجاء بعد اجتماعهم: اذهب بكتابي هذا إليهم فأخبرهم أن هذا كتابي وأمرهم فليبايعوا من وليت فيه، ففعل رجاء، فلما قال رجاء ذلك لهم قالوا: ندخل نسلم على أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فدخلوا فقال لهم سليمان: في هذا الكتاب ـ وهو يشير لهم إليه، وهم ينظرون إليه في يد رجاء ابن حيوة ـ عهدي، فاسمعوا وأطيعوا وبايعوا لمن سميت في هذا الكتاب، فبايعوه رجلاً رجلاً، ثم خرج بالكتاب مختوماً في يد رجاء بن حيوة.

قال رجاء : فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز فقال: أخشى أن

يكـون هـذا أسند إليَّ شيئًا من هذا الأمر، فأنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمـتني إن كـان ذلـك حتـى أسـتعفيه الآن قـبل أن تأتي حال لا أقدر فيها علـى مـا أقـدر علـيه السـاعة. قال رجاء: لا والله ما أنا بمخبرك حرفاً، قال: فذهب عمر غضبان.

قـال رجـاء : لقـيني هشـام بـن عبد الملك، فقال: يا رجاء: إن لي بك حـرمة ومـودة قديمة، وعندي شكر، فأعلمني هذا الأمر فإن كان إليّ علمت وإن كان إلى غيري تكلمت، فليس مثلي قصَّر به، فأعلمني فلك الله عليَّ ألا أذكـر مـن ذلـك شـيئاً أبـداً، قال رجاء: فأبيت فقلت: والله لا أخبرك حرفاً واحداً مما أسرَّ إليَّ.

قـال: فانصـرف هشـام وهـو قـد يـئس، ويضـرب بإحـدى يديه على الأخرى وهو يقول: فإلى من إذا نُحِّيَتْ عني؟ أتخرج من بني عبد الملك؟ قال رجـاء: ودخلـت على سليمان فإذا هو يموت فجعلت إذا أخذته السكرة من سـكرات المـوت صرفته إلى القبلة، فجعل يقول حين يفيق: لم يأن لذلك بعد يـا رجـاء. ففعلـت ذلـك مرتين فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كـنت تـريد شـيئاً، أشـهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قـال: فحـرفته ومـات فلمـا غمضته سجيته بقطيفة خضراء وأغلقت الباب، وأرسـلت إلـيَّ زوجـته تقول: كيف أصبح؟ فقلت : نائم، وقد تغطى، فنظر الرسـول إلـيه مغطًّـى بالقطـيفة فرجع فأخبرها فقبلت ذلك وظنت أنه نائم. قـال رجـاء : وأجلست على الباب من أثق به، وأوصيته ألاّ يبرح حتى آتيه،



ولا يدخل على الخليفة أحد.

قال : فخرجت فأرسلت إلى كعب بن حامد العبسي، فجمع أهل بيت أمير المؤمنين، فاجتمعوا في مسجد دابق، فقلت: بايعوا. فقالوا: قد بايعنا مرة ونبايع أخرى! قلت : هذا عهد أمير المؤمنين فبايعوا على ما أمر به ومن سمَّى في هذا الكتاب المختوم، فبايعوا الثانية، رجلاً رجلاً . قال رجاء : فلما بايعوا بعد موت سليمان رأيت أني قد أحكمت الأمر، قلت: قوموا إلى صاحبكم فقد مات، قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون! وقرأت الكتاب عليهم، فلما انتهيت إلى ذكر عمر بن عبد العزيز نادى هشام بن عبد الملك: لا نبايعه أبداً. قلت: اضرب ـ والله ـ عنقك، قم فبايع . فقام يجر رجليه.

قال رجاء : وأخذت بضبعي عمر بن عبد العزيز فأجلسته لما وقع فيه، وهشام يسترجع على المنبر وهو يسترجع لما أخطأه ، فلما انتهى هشام إلى عمر قال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون حين صارت إليَّ لكراهته إياها، والآخر يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون حيث نحيت عني.

قال الذهبي في (تاريخ الإسلام) : ورجاء هو الذي نهض بأخذ الخلافة لعمر بن عبد العزيز، وكان كالوزير لسليمان بن عبد الملك، ومناقبه كثيرة.

وقال في (السير) : كان رجاء كبير المنزلة عند سليمان بن عبد الملك وعند عمر بن عبد العزيز، وأجرى الله على يديه الخيرات، ثم إنه بعد ذلك أُخِّر، فأقبل على شأنه.

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: كان يزيد بن عبد الملك يُجري على

رجاء بن حيوة ثلاثين ديناراً في كل شهر، فلما ولي هشام الخلافة قال: ما هذا برأي، فقطعها، فرأى هشام أباه في النوم، فعاتبه في ذلك فأجراها.

قال الذهبي في (السير): كان في نفس هشام منه شيء لكونه عمل على تأخيره وقت وفاة أخيه سليمان، و عقد الخلافة لابن عمه عمر بن عبد العزيز.

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: قدم يزيد بن عبد الملك بيت المقدس، فسأل رجاء بن حيوة أن يصحبه فأبى واستعفاه، فقال له عقبة بن وساج: إن الله ينفع بمكانك، فقال: إن أولئك الذين تريد قد ذهبوا، فقال له عقبة : إن هؤلاء القوم قال ما باعدهم رجل بعد مقاربة إلا ركبوه، قال : إني أرجو أن يكفيهم الذي أدعوهم له.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله:

- ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح.
- ما أحسن الإسلام بزينة الإيمان، وما أحسن الإيمان بزينة التقى، وما أحسن التقى بزينة العلم، وما أحسن العلم بزينة الحلم، وما أحسن الحلم بزينة الرفق.
- من لم يؤاخ إلاَّ من لاعيب فيه قل صديقه، ومن لم يرض من صديقه إلا بالإخلاص دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه.

وعن عبد الرحمن بن عبد الله أن رجاء بن حيوة قال لرجلين وهو يعظهما: انظرا الأمر الذي تحبان أن تلقيا الله ـ عز وجل ـ، فخذانيه الساعة، وانظرا الأمر الذي تكرهان أن تلقيا الله عز وجل عليه فدعاه الساعة.



وكـان ـ رحمـه الله ـ يصـحب الخلفـاء ويأمـرهم بالمعروف، فلما مات عمـر بـن عـبد العزيـز انقطـع عـن صـحبتهم، فسأله يزيد بن عبد الملك أن يصـحبه فأبـى واستعفاه، فقيل لـه : نخاف عليك من هؤلاء، فقال: يكفينهم الذي تركتهم له.

وفي أخـريات حـياته أقـبل على خاصة نفسه اجتهاداً في الطاعة وتقرباً إلى مـولاه ـ سـبحانه وتعـالى ـ حتـى آتاه اليقين سنة اثنتي عشرة ومائة فرحمه الله رحمة واسعة.

ورحـم الله ـ أيضـا ـ أبـا نعـيم القائـل في الحلـية: ومنهم الفقيه المفهم المطعام، مشير الخلفاء والأمراء، رجاء بن حيوة أبو المقدام.

مصادر الترجمة :

١- حلية الأولياء (٥/ ١٩٣-٢٠١ رقم ٣١٥).
٢- السير (٤/ ٥٥٧-٥٦١ رقم ٢٢٠).
٣- وفيات الأعيان (٢/ ٣٠١-٣٠٣ رقم ٢٣٧).
٤- تهذيب الكمال (٩/ ١٥١-١٥٧ رقم ١٨٩٠).
٥- الطبقات الكبرى (٧/ ٣١٦-رقم ٣٨٥٣).
٦- صفة الصفوة (٤/ ٤٣١ رقم ٧٤٦).
٧- تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١-١٢٠هـ) (ص٣٦٠-٣٦٣ رقم ٣٨٧).
٨- تاريخ الطبري (٤/ ٥٩-٦٠) سنة ٩٩.
٩- تهذيب التهذيب (١/ ٦٠١-٦٠٢).
١٠- الشذرات (٢/ ٦٤).
١١- البداية والنهاية (٩/ ٣٠٨).

٣٨ ـ صلة بن أشيم العدوي
صاحب الكرامات

صلة بن أَشْيَم الزاهد العابد القدوة العدوي البصري، زوج العالمة معاذة العدوية، يكنى أبا الصهباء، كان عابداً من سادة التابعين، وكان ذا فضل وورع وعبادة وزهد، وكان يصلي حتى تتورم قدماه فعن معاذة زوجته قالت: كان أبو الصهباء يصلي حتى ما يستطيع أن يأتي فراشه إلا زحفاً.

قال ابن سعد في «الطبقات»: وكان ثقة له فضل وورع.

وقال الذهبي في «السير»: سيد كبير.

فكان ـ رحمه الله ـ صاحب كرامة فقد روى ابن المبارك في «الزهد» عن حميد بن هلال عن صلة بن أشيم قال: خرجنا في بعض قرى نهر تيري وأنا على دابتي في زمن فيوض الماء فأنا أسير على مسنَّاة فسرت يوماً لا أجد شيئاً آكله فلقيني علج يحمل على عاتقه شيئاً فقلت : ضعه، فوضعه، فإذا هو خبز فقلت: أطعمني قال: إن شئت، ولكن فيه شحم خنزير، فتركته، ثم لقيت آخر يحمل طعاماً فقلت : أطعمني، فقال: تزودت بهذا لكذا وكذا من يوم، فإن أخذت منه شيئاً أجعتني فتركته ومضيت، فوالله إني لأسير إذ سمعت خلفي وجبة كوجبة الطير فالتفت، فإذا هو شيء ملفوف في سبٍّ أبيض ـ أى خمار ـ فنزلت إليه فإذا هو دَوْخلَّة من رطب في زمان ليس في الأرض رطبة، فأكلت منه، ثم لففت ما بقي، وركبت الفرس وحملت معي نواهُنَّ.



قال جرير: فحدثني أوفى بن دِلهم قال: رأيت ذلك السِّبَّ مع امرأته ملفوفا فيه مصحف ثم فقد بعد.

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: هذا حديث صحيح ـ وقال في «السير»: فهذه كرامة ثابتة.

وروي أيضا في «الزهد» عن جعفر بن زيد قال: خرجنا في غزاة إلى كابل وفي الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة فقلت: لأرمقن عمله، فصلى، ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، ثم وثب فدخل غيضة فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة وجاء أسد حتى دنا منه فصعدت في شجرة. قال: أفتراه التفت إليه أو اعتد به حتى سجد؟ فقلت: الآن يفترسه فلا شيء فجلس، ثم سلم، فقال: أيها السبع اطلب رزقك من مكان آخر. فولى وإن له لزئيراً، أقول: تصدع منه الجبال، فما زال كذلك حتى إذا كان عند الصبح جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع، فأصبح كأنه بات على الحشايا، وقد أصبحت وبي من الفترة شيء الله به عليم.

وكان ـ رحمه الله ـ حكيماً في دعوته، رفيقاً بمن يأمره وينهاه، عليماً بمداخل النفوس فقد أخبر ثابت البناني أن صلة بن أشيم وأصحابه مر بهم فتى يجر ذيله فهم أصحاب صلة أن يأخذوه بألسنتهم أخذاً شديداً فقال صلة: دعوه أكفكم أمره، فقال له: يا ابن أخ لي إليك حاجة. قال الفتى:

وما حاجتك؟! قال أحب أن ترفع من إزارك. قال الفتى: نعم ونعمة عين. قال: فرفع الفتى إزاره فقال صلة لأصحابه: كان هذا أمثل مما أردتم، لو شتمتوه وآذيتموه شتمكم.

وكان ـ رحمه الله ـ ربما لا يواجه أهل المنكر بمنكرهم فكان يستخدم معهم التعريض والتورية في النصح فقد حدث ثابت البناني فقال: كان صلة ابن أشيم يخرج إلى الجبانة فيتعبد فيها، فكان يمر على شباب يلهون ويلعبون فقال لهم: أخبروني عن قوم أرادوا سفراً فحادوا النهار عن الطريق وناموا الليل متى يقطعون سفرهم. قال : فكان كذلك يمر بهم ويعظهم، فمر بهم ذات يوم فقال لهم هذه المقالة، فانتبه شاب منهم فقال: يا قوم إنه لا يعني بهذا غيرنا نحن بالنهار نلهو وبالليل ننام. ثم اتبع هذا الشاب صلةَ لم يزل يختلف معه إلى الجبانة فيتعبد معه حتى مات.

وكان ـ رحمه الله ـ صبوراً على المصائب مؤمناً بقدر الله يتلقى أمر الله وقدره بصدر رحب ونفس راضية مرضية مطمئنة فقد أخبر ثابت أن أخاً لصلة مات فجاءه رجل ـ وكان صلة يأكل ـ فقال له: يا أبا الصهباء إن أخاك مات. فقال صلة لذاك الرجل هلم فكل، فقد نعي لنا، أدن فكل هيهات قد نعي، فقال الرجل: والله ما سبقني إليك أحد فمن نعاه؟! فقال صلة: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

وكان ـ رحمه الله ـ ناصحاً لا يدخر وسعاً في نصح إخوانه وتوجيههم الوجهة الصحيحة فعن أبي السليل قال: أتيت صلة العدوي فقلت له:

علمني مما علمك الله ـ عز وجل ـ. قال: أنت اليوم مثلي، حيث أتيتُ أصحاب رسول الله ﷺ أتعلم منهم فقلت لهم: علموني مما علمكم الله، فقالوا: انتصح للقرآن وانصح للمسلمين وأكثر من دعاء الله ما استطعت، ولا تكونن قتيل العصا، قتيل عمية يا آل فلان، فإني لا أبالي أبرجله مدت أم برجل خنزير، وإياك وقوم يقولون: نحن المؤمنون وليسوا من الإيمان على شيء، هم الحرورية، هم الحرورية.

وكان ـ رحمه الله ـ مجاب الدعوة شديد البأس على الأعداء فعن جعفر بن زيد قال: فلما دنوا من أرض العدو قال الأمير: لا يشذن أحد من العسكر. قال: فذهبت بغلة صلة بثقلها. فأخذ يصلي، فقالوا له: إن الناس قد ذهبوا فمضى ثم قال: دعوني أصلي ركعتين. فقالوا: الناس قد ذهبوا. قال: إنهما خفيفتان. قال. فدعا ثم قال: اللهم إني أقسم عليك أن ترد بغلتي وثقلها قال: فجاءت حتى قامت بين يديه. قال: فلما لقينا العدو حمل هو وهشام بن عامر، فصنع بهم طعناً وضرباً وقتلاً. فكسر ذلك العدو، فقالوا: رجلان من العرب صنعا بنا هذا فكيف لو قاتلونا؟ فأعطوه المسلمين حاجتهم.

وكان ـ رحمه الله ـ ذا موعظة حية تأخذ بمجامع القلوب فعن الحسن قال: مات أخ لنا فصلينا عليه، فلما وضع في قبره ومد عليه الثوب جاء صلة بن أشيم، فأخذ بناحية الثوب، ثم نادى. يا فلان بن فلان.

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجياً

قال : فبكى وأبكى الناس.

وكان ـ رحمه الله ـ رقيق القلب لا يمر بشيء في الدنيا إلا ويذكره بالآخرة، فيملأ عليه حياته ويشغل عليه قلبه ولا يلتفت إلى أمر سواه، فها هو في يوم عرسه في أول يوم يجتمع بزوجته فيقوم يصلي وينشغل عنها بالصلاة حتى الصباح. قال ابن كثير في «البداية»: ولما أهديت معاذة إلى صلة أدخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله بيت العروس بيتا مطيناً فقام يصلي فقامت تصلي معه، فلم يزالا يصليان حتى برق الصبح. قال: فأتينا فقلت لـه: أي عم أهديت إليك ابنة عمك الليلة فقمت تصلي وتركتها؟ قال: إنك أدخلتني بيتا أول النهار أذكرتني به النار، وأدخلتني بيتاً آخر النهار أذكرتني به الجنة، فلم تزل فكرتي فيهما حتى أصبحت. البيت الذي أذكره به النار هو الحمام، والبيت الذي أذكره به الجنة هو بيت العروس.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله:

- ليكن شعارك الموت، فإنك لا تبالين على يسر أصبحت من الدنيا أم على عسر.
- رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ورزقك اليقين الذي لا يركن إلا إليه، ولا يعول في الدين إلا عليه.
- ما أدري بأي يومي أنا أشد فرحاً: يوماً باكرت فيه ذكر الله ـ عز وجل ـ أو يوماً غدوت فيه لبعض حاجتي فيعرض لي ذكر الله ـ تعالى ـ.
- طلبت المال من وجهه فأعياني إلا رزق يوم بيوم، فعرفت أنه قد خير لي.



- طلبت الدنيا من مظان حلالها فجعلت لا أصيب منها إلا قوتاً، أما أنا فلا أعبأ فيه، وأما هو فلا يجاوزني، فلما رأيت ذاك قلت: أي نفسي جعل رزقك كفافاً فاربعي فربعت ولم تكد.
- إن الشهادة في الناس كثرت، فإذا شهدت فاشهد شهادة يصدقك الله بها، وأولو العلم من الناس، أشهد أن الله أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.

وعن حميد بن هلال قال: خرج صلة بن أشيم في جيش معه ابنه وأعرابي من الحي، فقال الأعرابي: يا أبا الصهباء رأيت كأنك أتيت على شجرة ظليلة فأصبت تحتها ثلاث شَهَدَاتٍ فأعطيتني واحدة وأمسكت اثنتين فوجدت في نفسي ألا تكون قاسمتني الأخرى.

وروى ابن المبارك عن العلاء بن هلال الباهلي أن رجلاً قال لصلة: يا أبا الصهباء إني رأيت أني أعطيت شهادة وأعطيت شهادتين فقال صلة. تستشهد واستشهد أنا وابني، فلما كان يوم يزيد بن زياد لقيهم الترك بسجستان فكان أول جيش انهزم من المسلمين فقال صلة : يا بني ارجع إلى أمك فقال: يا أبت تريد الخير لنفسك وتأمرني بالرجوع! ارجع أنت. قال: وأما إذ قلت هذا فتقدَّمْ فتقدّمَ فقاتل حتى أصيب فرمى صلة عن جسده، وكان رجلاً راميا حتى تفرقوا عنه، وأقبل حتى أقام عليه فدعا له، ثم قاتل حتى قتل. ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ

فاجتمعت النساء عند امرأته معاذة العدوية فقالت: مرحبا بكن إن

كنتن جئتن تهنئنني، وإن كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن.

وكانت شهادة صلة وابنه سنة اثنتين وستين من الهجرة ـ رحمهما الله تعالى ـ.

ورحـم الله أبـا نعيم القائل في صلة بن أشيم: ومنهم أبو الصهباء صلة بـن أشـيم العـدوي. المنتصح بكتاب الله، والمتحبب إلى عباد الله، وكان عند النوازل محتسباً صابراً، وفي الحنادس منتصباً ذاكراً.

مصادر الترجمة:

١- حلية الأولياء (٢/ ٢٧٠-٢٧٤ رقم ١٨٤).
٢- السير (٣/ ٤٩٧-٥٠٠ رقم ١١٣).
٣- الطبقات الكبرى (٧/ ٩٦-٩٩ رقم ٣٠٢٢).
٤- صفة الصفوة (٣/ ١٥١-١٥٣ رقم ٤٨٩).
٥- تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٦١-٨٠) (١٢٧-١٣١ رقم ٤٣).
٦- البداية والنهاية (٩/ ١٨-١٩).

٣٩ ـ الأحنف بن قيس
هذا والله السيد

الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين، الأمير الكبير، العالم النبيل أبو بحر التميمي، أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل. اسمه ضحَّاك، وقيل: صخر، وشُهِر بالأحنف لحنف رجليه، (وهو العوج والميل). كان سيد تميم. أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر.

قال ابن سعد في «الطبقات»: كان ثقة مأموناً، قليل الحديث، وكان صديقاً لمصعب بن الزبير.

وقال العجلي: الأحنف بصري ثقة، كان سيد قومه، وكان أعور أحنف دميماً قصيراً كوسجاً، له بيضة واحدة، حبسه عمر سنة يختبره (أي احتجزه عنده بالمدينة) فقال: هذا والله السيد.

وعن أيوب عن محمد قال : نبئت أن عمر ذكر بني تميم فذمهم، فقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي، قال: تكلم.قال : إنك ذكرت بني تميم، فعممتهم بالذم، وإنما هم من الناس، فيهم الصالح والطالح. فقال: صدقت. فقام الحُتات ـ وكان يناوئه ـ فقال: يا أمير المؤمنين! ائذن لي فلأتكلم . قال: اجلس، فقد كفاكم سيدكم الأحنف.

وقال الحسن: ما رأيت شريف قوم كان أفضل من الأحنف، ومناقبه كثيرة، وحلمه يضرب به المثل.

وقال خالد بن صفوان: كان الأحنف يفر من الشرف، والشرف يتبعه.

وعن السري عن يحيى: عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة.

وعن بعض أصحاب الحسن عن الحسن: نعم السيدان: الجارود والأحنف.

وعن الأحنف بن قيس قال: قدمت على عمر بن الخطاب فاحتبسني حولاً، فقال: يا أحنف إني قد بلوتك وخبرتك، وخبرت علانيتك فلم أر إلا خيراً، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، وإنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم، وكتب إلى أبي موسى: أن انظر الأحنف فادنه، وشاوره واسمع منه.

وعن ابن شوذب، وفد الأحنف على عمر فاحتبسه بالمدينة سنة ثم أذن له قال: تدري لِمَ حبستك؟ قال : لا. قال : لأني كنت ـ يعني ـ أخاف أن تكون منافقاً عليم اللسان، فإذا أنت مؤمن عليم اللسان.

كان من جلة التابعين وأكابرهم، وكان سيد قومه، موصوفاً بالعقل والدهاء والعلم والحلم.

وقال يعقوب بن شيبة: كان جواداً حليماً، وكان رجلاً صالحاً .

قيل للأحنف: إنك كبير والصوم يضعفك. قال: إني أعده لسفر طويل. وقيل: كانت عامة صلاة الأحنف بالليل، وكان يضع أصبعه على المصباح، ثم يقول: حَسٍّ. ويقول: ما حملك يا أحنف على أن صنعت كذا يوم كذا.

وعن الشعبي قال: وَفَّدَ أبو موسى وَفْداً من البصرة إلى عمر، منهم الأحنف بن قيس فتكلم كل رجل في خاصة نفسه، وكان الأحنف في آخر

القـوم، فحمـد الله، وأثنـى عليه، ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين، فإن أهل مصر نـزلوا منازل فرعون وأصحابه، وإن أهل الشام نزلوا منازل قيصر وأصحابه، وإن أهـل الكـوفة نـزلوا مـنازل كسـرى ومصـانعه في الأنهـار والجنان، وفي مثل عين الـبعير وكالحُـوار في السَّـلَى، تأتـيهم ثمارهم قبل أن تبلغ، وإن أهل البصرة نزلوا في أرض سـبخة زعقـة نشاشـة، لا يجف ترابها، ولا ينبت مرعاها، طرفها في بحر أجـاج وطـرف في فـلاة لا يأتينا شيء إلا في مثل مريء النعامة، فارفع خسيستنا، وانعـش وكيسـتنا، وزد في عيالـنا عـيالاً وفي رجالـنا رجالاً، وصغّر درهمنا وكبِّر قفيـزنا ومُـرْ لـنا بنهـر نسـتعذب منه، فقال عمر: عجزتم أن تكونوا مثل هذا، هذا والله السيد. قال: فمازلت أسمعها بعد.

وعـن الأصـمعي عـن عـبد الملـك بـن عمير قال: قدم علينا الأحنف الكـوفة مـع مصـعب، فما رأيت صفة تذم إلا رأيتها فيه، كان ضئيلاً، صَعْلَ الـرأس، متراكـب الأسـنان، مائل الذقن، ناتئ الوجنة، باخِقَ العين، خفيف العارضين، أحنف الرجلين، فكان إذا تكلم جلا عن نفسه.

قـال الـذهبي في «السـير»: الصَّـعَل :صِـغَر الـرأس، والبخق: انخساف العين، والحنف: أن تفتل كل رجل على صاحبتها.

وقيل: كان ملتصق الألية، فَشُقَّ له.

وقال ابن الأعرابي: الأحنف الذي يمشي على ظهر قدمه.

قـيل: كـان زيـاد معظماً للأحنف فلما ولي بعد ابنه عبيد الله تغيَّر أمر الأحـنف، وقـدَّم علـيه من هو دونه، ثم وفد على معاوية في الأشراف فقال

لعبـيد الله: أدخلهـم عليَّ على قدر مراتبهم. فأخر الأحنف. فلما رآه معاوية أكرمه لمكان سيادته.

وقـال: إلـيَّ يـا أبا بحر. وأجلسه معه وأعرض عنهم، فأخذوا في شكر عبـيد الله بـن زيـاد، وسـكت الأحـنف. فقـال لــه: لِـمَ لا تتكلم؟ قال: إن تكلمـت خالفـتهم. قـال: اشهدوا أني قد عزلت عبيد الله فلما خرجوا كان فـيهم مـن يروم الإمارة. ثم أتوا معاوية بعد ثلاث، وذكر كل واحد شخصاً وتـنازعوا فقـال معاويـة: مـا تقـول يا أبا بحر؟ قال: إن ولَّيت أحداً من أهل بيـتك لم تجـد مـثل عبـيد الله. فقـال: قد أعدته. قال: فخلا معاوية بعبيد الله وقـال: كـيف ضـيعت مثل هذا الرجل الذي عزلك وأعادك وهو ساكت؟! فلما رجع عبيد الله جعل الأحنف صاحب سرِّه.

ويـروى أنـه وفـد علـى معاويـة فقـال: أنت الشاهر علينا سيفك يوم صـفين والمخـذِّل عـن عائشـة أم المؤمنين! فقال الأحنف: لا تؤنبنا بما مضى مـنا، ولا تـرُدَّ الأمـور علـى أدبارهـا، فـإن القلـوب الـتي أبغضـناك بها بين جوانحـنا، والسـيوف الـتي قاتلناك بها على عواتقنا. في كلام غيره، فقيل: إنه لمـا خـرج قالـت أخـت معاويـة: مـن هذا الذي يتهدد؟! قال: هذا الذي إن غضب غضب لغضبه مائة ألف من تميم، لا يدرون فيم غضب.

ولمـا بايع معاوية لولده يزيد حسَّن لـه بعض الحاضرين ذلك فقال لـه معاويـة: فمـا تقول أنت يا أبا بحر؟ فقال: أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صـدقت. فقـال معاوية : جزاك الله من الطاعة خيراً. وأمر لـه بألوف. فلما

خرجا قال لـه ذلك الرجل: إني لأعلم ذم يزيد، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال نستخرجها بما سمعت، فقال الأحنف: إن ذا الوجهين خليق أن لا يكون لـه وجه عند الله.

ونقل الإمام الطُّرطُوشي أن بعض الخلفاء سأل رجلاً عن الأحنف بن قيس وعن صفاته، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن شئت أخبرتك عنه بواحدة، وإن شئت أخبرتك عنه بثنتين، وإن شئت أخبرتك عنه بثلاث. فقال: أخبرني عنه باثنتين. فقال: كان الأحنف يفعل الخير ويحبه، ويتوقى الشر ويبغضه. قال: فأخبرني عنه بثلاث. قال: كان لا يحسد أحداً، ولا يبغي على أحدٍ، ولا يمنع أحداً حقه، قال: فأخبرني عنه بواحدة قال: كان من أعظم الناس سلطانا في قيامه على نفسه. قيل للأحنف: بم سوّدوك؟ قال: لو عاب الناسُ الماءَ لم أشربه.

وعن أبي الأصفر أن الأحنف بن قيس استُعمل على خراسان فلما أتى فارس أصابته جنابة في ليلة باردة. قال: لم يوقظ أحداً من غلمانه ولا جنده، وانطلق يطلب الماء. قال: فأتى على شوك وشجر حتى سالت قدماه دماً، فوجد الثلج، قال: فكسره واغتسل، قال: فقام فوجد على ثيابه نعلين محذوّتين جديدتين قال: فلبسهما فلما أصبح أخبر أصحابه، فقالوا: والله ما علمنا بك.

وعن هشام بن عقبة أخي ذي الرُّمَّة قال: شهدت الأحنف بن قيس وقد جاء إلى قوم في دم فتكلم فيه وقال: احتكموا. قالوا نحتكم ديتين. قال:

ذاك لكم. فلما سكتوا قال: أنا أعطيكم ما سألتم فاسمعوا : إن الله قضى بدية واحدة، وإن النبي ﷺ قضى بدية واحدة، وإن العرب تعاطي بينها دية واحدة، وأنتم اليوم تُطالبون، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين، فلا ترضى الناس منكم إلا بمثل ما سننتم. قالوا: رُدَّها إلى دية.

وعن مغيرة قال: اشتكى ابن أخي الأحنف إلى الأحنف بن قيس وجع ضرسه فقال الأحنف : لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد.

وقيل له : ألا تأتي الأمراء؟ فأخرج جرَّةً مكسورة فكبَّها فإذا كِسَرٌ فقال: من كان يُجزئه مثل هذا ما يصنع بإتيانهم؟!

وحدث الكندي عن أبيه قال: إن معاوية بن أبي سفيان بينا هو جالس وعنده وجوه الناس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيباً، فكان آخر كلامه أن سبَّ عليًّا ـ رضي الله عنه ـ، فأطرق الناس وتكلم الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا القائل آنفاً لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لفعل، فاتق الله ودع عنك عليًّا فقد لقي ربه وأفرد في قبره وخلا بعمله، وكان والله المبرز سيفه، الطاهر ثوبه، الميمون نقيبته، العظيم مصيبته. فقال معاوية : يا أحنف لقد أغضيت العين عن القذى وقلت فيما ترى وايم الله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعاً أو كرهاً. فقال له الأحنف: يا أمير المؤمنين إن تعفني فهو خير لك، وإن تجبرني فوالله لا تجري به شفتاي أبداً قال. قم فاصعد، قال الأحنف: أما والله مع ذلك لأنصفنك في القول والفعل. قال: وما أنت قائل يا أحنف إن أنصفتني؟ قال: أصعد

المنبر فأحمد الله ـ تعالى ـ بما هو أهله وأصلي على نبيه ﷺ ثم أقول: أيها الناس إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن عليًّا، ألا وإن عليًّا و معاوية اقتتلا واختلفا فادعى كل منهما أنه مبغي عليه وعلى فئته، فإذا دعوت فأمِّنوا ـ رحمكم الله ـ. ثم أقول: اللهم ألعن أنت وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلقك الباغي منهما على صاحبه، والعن الفئة الباغية لعناً كثيراً، أمنوا ـ رحمكم الله ـ. يا معاوية لا أزيد على هذا حرفاً ولا أنقص منه حرفاً، ولو كان فيه ذهاب نفسي. فقال معاوية: إذن فعفيك أبا بحر.

وقيل : كان الأحنف إذا أتاه رجل وسَّع له، فإن لم يكن له سعة، أراه كأنه يوسع له.

وعن الحسن قال: رأى الأحنف في يد رجل درهماً، فقال: لمن هذا؟ قال الرجل: لي. قال الأحنف : ليس هو لك حتى تخرجه في أجرٍ أو اكتساب شكر، وتمثل:

أنت للمال إذا أمسكته وإذا أنفقته فالمال لك

وقيل: إنه كلّم مصعباً في محبوسين وقال : أصلح الله الأمير، إن كانوا حبسوا في باطل فالعدل يسعهم، وإن كانوا حبسوا في حقٍّ فالعفو يسعهم.

وسمع الأحنف رجلاً يقول: ما أبالي أمُدحت أم ذُممت. فقال له: لقد استرحت من حيث تعب الكرام.

وسئل عن الحلم: ما هو؟ فقال: هو الذل مع الصبر. وكان يقول إذا عجب الناس من حلمه: إني لأجد ما تجدون، ولكني صبور. وكان يقول:

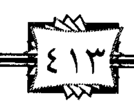
وجدت الحلم أنصر لي من الرجال، وكان يقول: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري، لأنه قَتَلَ ابنُ أخ له بعض بنيه، فأُتي بالقاتل مكتوفاً يقاد إليه، فقال ذعرتم الفتى. ثم أقبل على الفتى فقال: يا بني! بئس ما صنعت، نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمتَّ عدوَّك، وأسأت بقومك، خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته فإنها غريبة. ثم انصرف القاتل، وما حل قيس حبوته ولا تغير وجهه.

وقال الأحنف: شكوت إلى عمي مصيبة نزلت بي فأسكتني ثلاثاً ثم قال لي: يا أبا بحر! لا تشكُ الذي نزل بك إلى مخلوق فإنما هو صديق تسوءه أو عدو تسره.

سئل عن المروءة؟ فقال: كتمان السر، والبعد عن الشر.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله:

- عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر.
- ثلاث فيّ ما أذكرهن إلا لمعتبر : ما أتيت باب السلطان إلا أن أدعى، ولا دخلت بين اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندى إلا بخير.
- ما نازعني أحد إلا أخذت أمري بأمور، إن كان فوقي عرفت له، وإن كان دوني رفعت قدري عنه، وإن كان مثلي تفضلت عليه.
- ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دنيء، وبرٌّ من فاجر، وحليم من أحمق.



- من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه ما لا يعلمون.
- الكامل من عدت سقطاته.
- لست بحليم ولكني أتحالم.
- رأس الأدب آلـة المنطق، لا خير في قول بلا فعل، ولا في منظر بلا مخبر، ولا في مـال بلاجود ولا في صديق بلا وفاء، ولا في فِقهٍ بلا ورع، ولا في صدقة إلا بنية ولا في حياة إلا بصحةٍ وأمن.
- العتاب مفتاح الثقالى والعتاب خير من الحقد.
- جنـبوا مجالسـنا ذكـر النسـاء والطعـام، إنـي أبغض الرجل يكون وصَّافاً لفرجه وبطنه.
- لا ينبغى للأمير الغضب، لأن الغضب في القدرة لقاح السيف والندامة.
- لا يـتم أمـر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة،ولا تنفع المودة والنصيحة، إلا بالرأي والعفة.
- ألا أدلكـم علـى المحمـدة بلا مرزئة؟ الخلق السجيح والكف عن القبيح، ألا أخبركم بأدوإ الداء؟ الخلق الدنيء واللسان البذيء.
- ما خان شريف ولا كذب عاقل ولا اغتاب مؤمن.
- مـا ادخـرت الآبـاء للأبـناء ولا أبقت الموتى للأحياء أفضل من اصطناع معروف عند ذوي الأحساب والآداب.
- كثـرة الضـحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شيئا عُرِف به.

- أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والنار.
- إني لأدع كثيراً من الكلام مخافة الجواب.
- اللهم إن تغفر لي فأنت أهل ذاك، وإن تعذبني فأنا أهل ذاك.
- والله ما سمعت كلمة إلا طأطأت لها رأسي لما هو أعظم منها.
- لا مروءة لكذوب ولا راحة لحسود، ولا حيلة لبخيل، ولا سؤدد لسيّئ الخلق، ولا إخاء لملول.

قيل إن رجلاً خاصم الأحنف، وقال: لئن قلت واحدة لتسمعن عشراً. فقال له الأحنف: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة.

قال محمد بن سعد: كان الأحنف صديقاً لمصعب بن الزبير فوفد عليه الكوفة، ـ ومصعب واليها يومئذ-، فتوفي الأحنف عنده، فرئي مصعب في جنازته يمشى بغير رداء وقال: ذهب اليوم الحزم والرأي.

عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة، قال : حضرت جنازة الأحنف بالكوفة فكنت فيمن نزل قبره، فلما سويته رأيته قد فُسِحَ له مد بصري، فأخبرت بذلك أصحابي فلم يروا ما رأيت.

ولما دُلِّي في حفرته أقبلت بنتٌ لأوسٍ السعدي وهي على راحلتها عجوز، فوقفت عليه، وقالت: مَنِ المُوافى به حفرته لوقت حِمامِهِ؟ قيل لها: الأحنف بن قيس قالت: والله لئن كنتم سبقتمونا إلى الاستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثناء عليه بعد وفاته. ثم قالت : للهِ درُّك من مجنٍّ في جنن، ومُدرَجٍ في كفن، وإنا لله وإنا إليه راجعون. نسأل من ابتلانا بموتك وفجعنا بفقدك أن

يوسع لك في قبرك، وأن يغفر لك يوم حشرك. أيها الناس إن أولياء الله في بلاده هم شهوده على عباده، وإنا لقائلون حقًّا ومثنون صدقاً، وهو أهل لحسن الثناء، أما والذي كنت من أجله في عدَّة ومن الحياة في مُدة، و من المضمار إلى غاية، ومن الآثار إلى نهاية، الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك، لقد عشت مودوداً حميداً، ومت سعيداً فقيداً، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، عظيم الرماد، قريب البيت من الناد، ولقد كنت في المحافل شريفاً، وعلى الأرامل عطوفاً، ومن الناس قريباً، وفيهم غريباً، وإن كنت فيهم مسوَّداً وإلى الخلفاء لموفداً، وإن كانوا لقولك لمستمعين ولرأيك لمتبعين، رحمنا الله وإياك.

مصادر الترجمة :

١- سير أعلام النبلاء (٤/ ٨٦-٩٦ رقم٢٩).
٢- تهذيب الكمال (٢/ ٢٨٢-٢٨٧ رقم ٢٨٥).
٣- الطبقات الكبرى (٧/ ٦٤-٦٨ رقم ٢٩٧٧).
٤- صفوة الصفوة (٣/ ١٣٩-١٤٠ رقم ٤٨١).
٥- وفيات الأعيان(٢/ ٤٩٩-٥٠٦ رقم ٣٠٥).
٦- شذرات الذهب (١/ ٣٠٢-٣٠٤).
٧- تاريخ الإسلام (وفيات ٦١: ٨٠هـ) (٣٤٥-٣٥٣رقم ١٣٦).
٨- تهذيب التهذيب (١/ ٩٩).

٤٠ـ الأعمـــش
علاّمة الإسلام

هـو سـليمان بـن مهران الإمام شيخ الإسلام شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي الحافظ.

قـال سـفيان بـن عيينـة: كـان الأعمـش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض.

وقال يحيى القطان: هو علاَّمة الإسلام.

قـال وكـيع بـن الجـراح: كـان الأعمـش قـريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه قريباً من سنتين فما رأيته يقضي ركعة.

وقال عبد الله الخُرْبِيُّ: ما خلف الأعمش أعبد منه، وكان صاحب سنة.

وعـن الأعمش قال: دخلت على مجاهد، فلما خرجت من عنده تبعني بعـض أصـحابه فقال: سمعت مجاهداً يقول: لو كانت بي قوة لاختلفت إلى هذا ـ يعني الأعمش ـ .

وعنه قال: كنت آتي مجاهداً فيقول: لو كنت أطيق المشي لجئتك.

وعـن زيـاد بـن أيـوب، سمعت هشيماً يقول: ما رأيت بالكوفة أحداً أقرأ لكتاب الله ولا أجود حديثاً من الأعمش.

وقـال يحيـى القطـان: كـان مـن النسـاك، وكان محافظاً على الصلاة في جماعة وعلى الصف الأول .

وقـال أحمـد بـن عبـد الله العجلـي : الأعمـش ثقـة ثبت، كان محدث



الكـوفة في زمانه. يقال: إنه ظهر لـه أربعة آلاف حديث، ولم يكن لـه كتاب. قال : وكان يقرئ القرآن وهو رأس فيه، وكان فصيحاً.

وقـال عيسـى بـن يـونس: لم نـر نحن والقرن الذي قبلنا مثل الأعمش : ما رأيت الأغنياء والسلاطين عند أحد أحقر منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته.

قـال عيسـى بـن موسـى لابـن أبـي ليلى : اجمع الفقهاء . قال : فجمعهم، فجـاء الأعمـش في جـبة وفـرو، وقـد ربط وسطه بشريط فأبطأوا فقام الأعمش فقـال: إن أردتم أن تعطـونا شـيئاً وإلا فخلـوا سبيلنا. فقال عيسى لابن أبي ليلى: قلت لك تأتي بالفقهاء فتجيء بهذا؟! فقال : هذا سيدنا ، هذا الأعمش.

قـال الذهبي في «السير» : كان عزيز النفس، قنوعًا، وله رزق على بيت المال في الشهر خمسة دنانير قررت لـه في أواخر عمره.

وقـال ابـن المـديني : حفـظ العلـم على أمة محمد ﷺ ستة : عمرو بن ديـنار بمكـة، والزهـري بالمديـنة، وأبـو إسـحاق السبيعى والأعمش بالكوفة وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة.

وقال هشيم : ما رأيت بالكوفة أحدًا أقرأ لكتاب الله منه.

وقـال ابن عيينة : سبق الأعمش وأصحابه بأربع : كان أقرأهم للقرآن وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى.

وقـال يحيـى بـن معـين : كان جرير إذا حدَّث عن الأعمش قال: هذا الديباج الخسرواني.

وقال شعبة : ما شفاني أحد في الحديث ما شفاني الأعمش.

وقال عبد الله بن داود الخريبي: كان شعبة إذا ذكر الأعمش قال: المصحف المصحف.

وقال عمرو بن علي : كان الأعمش يُسمَّى المصحف لصدقه.

وقال ابن عمار : ليس في المحدثين أثبت من الأعمش، ومنصور ثبت أيضاً إلا أن الأعمش أعرف بالمسند منه.

وحكى الحاكم عن ابن معين أنه قال: أجود الأسانيد: الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله فقال له إنسان : الأعمش مثل الزهري؟ فقال: برئت من الأعمش أن يكون مثل الزهري، الزهري يرى العرض والإجازة ويعمل لبني أمية، والأعمش فقير صبور مجانب للسلطان ورعٌ عالمٌ بالقرآن .

وقال عاصم الأحول: مر الأعمش بالقاسم بن عبد الرحمن فقال: هذا الشيخ أعلم الناس بقول عبد الله بن مسعود.

وعن طلحة بن مصرف: كنا عند يحيى بن وثَّاب نقرأ عليه والأعمش ساكت ما يقرأ، فلما مات يحيى بن وثَّاب فتشنا أصحابنا فإذا الأعمش أقرأنا.

وقال زهير بن معاوية: ما أدركت أحداً أعقل من الأعمش ومغيرة.

وقال أحمد بن حنبل: أبو إسحاق والأعمش رجلا أهل الكوفة.

كتب إليه هشام بن عبد الملك : أن اكتب لي فضائل عثمان ومساوئ علي، فأخذ كتابه ولقَّمه شاة عنده، وقال لرسوله : هذا جوابك. فألح عليه الرسول في جواب. وتحمل عليه بإخوانه، وقال : إن لم آتِ بالجواب قتلني . فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فلو كان لعثمان مناقب أهل

الأرض ما نفعتك، ولو كانت لعليٍّ مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك بخويصة نفسك، والسلام.

وعن ابن عيينة قال: رأيت الأعمش لبس فرواً مقلوباً وتباناً تسيل خيوطه على رجليه، ثم قال: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم من كان يأتيني؟ لو كنت بقالاً كان يقذرني الناس أن يشتروا مني.

وقال محمد بن عبيد الطنافسي: جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعمش فسأله عن مسألة خفيفة من الصلاة، فالتفت إلينا الأعمش وقال: انظروا إليه، لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكُتَّاب.

وقال ضرار بن صرد: سمعت شريكا يقول: ما كان هذا العلم إلا في العرب وأشراف الملوك، فقال له رجل من جلسائه: وأي نبل كان للأعمش؟! قال شريك: أما لو رأيت الأعمش ومعه لحم يحمله وسفيان الثوري عن يمينه وشريك عن يساره وكلاهما ينازعه حمل اللحم لعلمت أن ثم نبلاً كبيراً.

وعن عيسى بن يونس قال: بعث عيسى بن موسى بألف درهم إلى الأعمش وصحيفة ليكتب له فيها حديثاً، فأخذ الأعمش الألف درهم وكتب في الصحيفة : بسم الله الرحمن الرحيم .(قل هو الله أحد). حتى ختمها، وطوى الصحيفة وبعث بها إليه، فلما نظر فيها بعث إليه: يا ابن الفاعلة ظننت أني لا أحسن كتاب الله؟! فكتب الأعمش إليه: أفظننت أني أبيع الحديث؟! ولم يكتب له، وحبس المال لنفسه.

وعن عبد الرزاق، قال: أخبرني بعض أصحابنا أن الأعمش قام من

النوم لحاجة فلم يصب ماءً، فوضع يده على الجدار فتيمم ثم نام، فقيل له في ذلك قال: أخاف أن أموت على غير وضوء.

وقال الأعمش : استعان بي مالك بن الحارث في حاجة، فجئت في قباء مخرّق فقال: لو لبست ثوباً غيره؟ فقلت : امش، فإنما حاجتك بيد الله. قال: فجعل يقول في المسجد: ما صرت مع سليمان إلا غلاماً.

وكان الأعمش ـ رحمه الله ـ إذا حدَّث يتخشع ويعظم العلم. وكان يقول: انظروا أن لا تنثروا هذه الدنانير على الكباش ـ يعني الحديث ـ وقال أيضا: لا تنثروا اللؤلؤ تحت أظلاف الخنازير.

وكان ثقة عالماً فاضلاً يرجو الخير له وللكافة فقد أراد إبراهيم النخعي أن يماشيه فقال الأعمش : إن الناس إذا رأونا معاً قالوا: أعور وأعمش. قال النخعي : وما عليك أن نؤجر ويأثموا؟ فقال له الأعمش: وما عليك أن يسلموا ونسلم.

وكانت فيه دعابة ومزاح ومرح عرف به، وكان لطيف الخلق فقد جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه فخرج إليهم، وقال: لو لا أن في منزلي من هو أبغض إليَّ منكم ما خرجت إليكم.

وقيل عنده يوماً: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه**» فقال الأعمش: ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني.

وهو ـ رحمه الله ـ لم يكن كذلك بل المعروف عنه أنه كان صاحب تهجد وقيام الليل فهو إما قال ذلك ليخفي عن الناس طاعته ويريهم أنه

مقصر، وإما قاله مزاحاً ومداعبة.

ودخل الحمام يوماً وجاء رجل حاسر، فقال لـه الرجل: متى ذهب بصرك؟ فقال الأعمش مذ بدت عورتك.

وقد جرى بينه وبين زوجته كلام، وكان يأتيه رجل يقال لـه أبو ليلى مكفوف فصيح يتكلم بالإعراب يتطلب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى! امرأتي نشزت عليَّ وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها وكانت من أجمل أهل الكوفة، فقال: يا هنتاه إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا وحلالنا وحرامنا، فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه فغضب الأعمش وقال: يا أعمى يا خبيث! أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتها بعيوبي كلها؛ اخرج من بيتي.

وقال جرير : جئنا الأعمش يوماً فوجدناه قاعداً في ناحية فجلسنا في ناحية أخرى، وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجلٌ عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة قال: قم فعبرني هذا الخليج، وجذب يده وأقامه وركبه، وقال: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج فرمى به وقال: ﴿رَّبِّ أَنزِلۡنِي مُنزَلٗا مُّبَارَكٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾ ثم خرج وترك الأسود يخبط في الماء.

ويقال : إن الإمام أبا حنيفة ـ رضي الله عنه ـ عاده يوماً في مرضه فطوّل القعود عنده، فلما عزم على القيام قال لـه: ما كأني إلا ثقلت عليك.



فقال: والله إنك لتثقل عليَّ وأنت في بيتك.

وعـاده أيضاً جماعة فأطالوا الجلوس عنده فضجر منهم، فأخذ وسادته وقام، وقال: شفى الله مريضكم بالعافية.

ويقـال: إن الأعمـش كـان ربمـا خرج إليهم وعلى كتفه مئزر العجين، وإنـه لـبس مرة فرواً مقلوباً، فقال لـه قائل. يا أبا محمد ، لو لبستها وصوفها إلى داخل كان أدفأ لك . قال: كنت أشرت على الكبش بهذه المشورة.

وعـن أبـي بكـر بن عياش قال: كنا نسمي الأعمش سيد المحدثين. كنا نجـيء إلـيه إذا فرغنا من الدوران. فيقول: عند من كنتم؟ فنقول: عند فلان. فـيقول : طبل مخرّق. ويقول : عند من كنتم؟ فنقول : عند فلان فيقول: طير طـيَّار . ونقـول : عند فلان فيقول: دُفّ. وكان يخرج إلينا شيئاً فنأكله. فقلنا يـوماً : لا يخرج شيئاً إلا أكلتموه فأخرج شيئاً فأكلناه وأخرج فأكلناه. فدخل فأخـرج فتيـتاً فشـربناه. فـدخل وأخـرج إجانـاً وقـتًّا (والقـت: ما يعلف به الـدواب) وقـال: فعـل الله بكـم وفعـل. أكلـتم قوتي وقوت المرأة وشربتم فتيـتها. هـذا علـف الشـاة. قـال: فمكثنا ثلاثين يوماً لا نكتب عنه فزعاً منه حتى كلمنا إنساناً عطاراً كان يجلس إليه حتى كلّمه لنا.

وقـيل: إن الأعمـش كـان لــه ولـد مغفَّل فقال لـه : اذهب فاشتر لنا حـبلاً للغسـيل. فقـال: يـا أبة طول كم؟ قال: عشرة أذرع. قال : في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك.

وقال عبد الله بن إدريس : قلت للأعمش : يا أبا محمد! ما يمنعك من أخذ شعرك؟ قال: كثرة فضول الحجامين. قلت : فأنا أجيئك بحجامٍ لا يكلمك حتى تفرغ. فأتيت جُنيداً الحجام، وكان محدثاً فأوصيته. فقال: نعم. فلما أخذ نصف شعره قال: يا أبا محمد! كيف حديث حبيب بن أبي ثابت في المستحاضة؟ فصاح صيحة، وقام يعدو، وبقي نصف شعره بعد شهر غير مجزوز.

ومن حكمه ومواعظه وأقواله:

- أعظم الخيانة أداء الأمانة إلى الخائنين. ونقض العهد وفاء العهد لمن ليس له عهد.
- يوشك أن احتبس على الموت إن وجدته بالثمن اشتريته.
- كنا نعد أهل السوق شرارنا وإنا لنعدهم اليوم خيارنا.
- إن كنا نشهد الجنازة فلا ندري من نعزي من حزن القوم.
- إذا فسد الناس أُمَّر عليهم شرارهم.
- لا تنثروا اللؤلؤ تحت أظلاف الجنازير.
- من يعلق الدر على الخنازير ؟!
- إن الله يرفع بالعلم أو بالقرآن أقوامًا ويضع به آخرين، وأنا ممن يرفعي الله به لولا ذلك لكان على عنقي دن صحنا أطوف به في سكك الكوفة.

قال زائدة بن قدامة : تبعت الأعمش يومًا، فأتى المقابر فدخل في قبر محفور، فاضطجع فيه، ثم خرج منه وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول: واضيق مسكناه.

وقـال أبـو بكر بن عياش: دخلت على الأعمش في مرضه الذي توفي فـيه، فقلـت: أدعـو لك طبيبًا؟ فقال: ما أصنع به؟ فوالله لو كانت نفسي في يـدي لطـرحتها في الحـش، إذا أنـا مـت فـلا تـؤذنن بـي أحًدا، واذهب بي فاطرحني في لحدي.

ومـات الأعمـش ـ رحمـه الله ـ في ربيع الأول سنة ثمان وأربعين ومئة وهو ابن ثمان وثمانين سنة تقريبًا.

عـن هشـام الـرازي قال: سمعت جريرًا يقول: رأيت الأعمش بعد موته في منامي فقلت: أبا محمد كيف حالكم؟ قال: نجونا بالمغفرة والحمد لله رب العالمين.

فغفر الله لـه ورحمه رحمة واسعة.

ورحـم الله أبـا نعـيم حـيث قـال فـيه: ومـنهم الإمام المقري، الراوي المفـتي، كـان كثير العمل قصير الأمل، من ربه راهباً ناسكًا، ومع عباده لاعبًا ضاحكًا، سليمان بن مهران الأعمش.

مصادر ترجمته :

١- حلية الأولياء (٥/ ٥٤ – ٧٠ رقم ٢٨٨).
٢- تاريخ بغداد (٩/ ٤ – ١٤ رقم ٤٦١١).
٣- سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦ – ٢٤٨ رقم ١١٠).
٤- الطبقات الكبرى (٦/ ٣٣١ – ٣٣٣ رقم ٢٥٣٠)
٥- صفة الصفوة (٣/ ٨٣ – ٨٤ رقم ٤٣٠)
٦- وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٠ – ٤٠٣ رقم ٢٧١)
٧- تهذيب الكمال (١٢/ ٧٦ – ٩٠ رقم ٢٥٧٠)
٨- المنتظم (٨/ ١١٢ – ١١٤ رقم ٧٨٨)

٩- تهذيب التهذيب (٢/ ١٠٩ - ١١١).
١٠- شذرات الذهب (٢/ ٢١٧ - ٢١٩).

الفهـــرس

فهرس الفوائد والفرائد